كتاب الهلال

سلسلة
ثقافية
شهرية

مأساة عبد الحكيم عامر

حمدى لطفى

كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيسة مجلس الإدارة : أمينة السعيد

نائب رئيس مجلس الإدارة : صبري أبو المجد

رئيس التحرير : د. حسين مؤنس

سكرتير التحرير : عايد عياد

العدد ٣٥٤ – رجب ١٤٠٠ – يونيه ١٩٨٠

No. 354 — June 1980

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ محمد عز العرب

تليفون ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى – ١٢ عددا – فى جمهورية مصر العربية جنيهان مصريان بالبريد العادي • وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى وباكستان ثلاثة ونصف جنيه مصرى بالبريد الجوى • وفى سائر انحاء العالم سبعة دولارات بالبريد العادى وخمسة عشر دولارا بالبريد الجوى •

دل فى ج٠ م٠ ع٠
بصرفى لامر مؤسسة
عار الموضحة اعلاه

إهـــــداء 2005

الأستاذ الدكتور/ أحمد حمدي محمود

القاهرة

كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

الغــــلاف بريشـــــة :
الفنانة سميحة حسنين

حمدى لطفى

مأساة...
عبد الحكيم عامر

دار الهلال

كلمة .. للحقيقة

هل هناك جديد يمكن أن يضاف الى ما نشر وأذيع عن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، والمشير المرحوم عبد الحكيم عامر ؟! .

نعم ... هناك « الكثير » الذى لم تعرفه جماهير شعبنا حتى الآن ــ عن العلاقة أو الصراع السرى بين الرجلين قبل أن ترتفع عنه الستائر فى يونيو ١٩٦٧ ، ويذهب عبد الحكيم عامر للقاء ربه ــ وكان لهذا « الكثير » تأثيره على عبد الناصر ما قبل ٦٧ ، وطوال السنوات الثلاث التى عاشها الرئيس الراحل بعد ذلك .

● لقد ظهر عدد ليس بقليل من الصحفيين والكتاب المصريين ، استطاع الانتفاع سرا بالرجلين ــ خاصة بعد أن وقعا فى مصيدة السيطرة الروسية ــ وجرا معهما بعض هؤلاء الصحفيين والكتاب ، وهم غير الفئة التى تدين بالماركسية ، وليس سرا أن هذا البعض انضم الى « التنظيم الطليعى تحت الأرض » كما كانوا يطلقون على أنفسهم ، وجرى لهم غسيل مخ سياسى بتخطيط من الخبراء السوفييت ــ فى مصر أو خارجها ــ وأذكر أن صديقا صحفيا حاول تجنيدى للتنظيم الطليعى السرى مرتين ، فى عامى ١٩٦٦ و ١٩٧٠ ، فاعتذرت له ، ولأنه صديقى قبل كل شىء لم يش بى .

● وفى رأيى ومن خلال معـاناة شخصية أعتقد أن عددا من هؤلاء « المسيريين » الذين رفعوا شـعارات ثورة مايو ١٩٧١ ، لا زالوا يطبقون سرا تعـاليم أسياد أسيادهم ، ويبذلون جهدا مستمرا فى حجب ما يجب أن ينشر ويذاع على الجماهير من حقائق الستينات ، وصراع السـلطة الذى أصاب شعبنا بأفدح الخسائر التاريخية فى هزيمة يونيو وسنظل والى سنوات طويلة قادمة ندفع الثمن رغم انتصار أكتوبر ١٩٧٣ .

● ان الحقيقة لا يمكن أن تغيب الى الأبد ... فهى كالشمس لابد أن تسطع مهمـا حاولوا طمسها لذلك لم أحاول الانتفاع بعبد الناصر أو عامر ، كما فعل كثيرون غيرى طوال ١٨ عاما من عمر الثورة ، كثيرون غيرى من الصحفيين والعسـكريين ، ومختلف المهن الأخرى للأسف ! .

● ولقـد فكرت فى اعـداد هذا الـكتاب حبا فى عبد النـاصر الزعيم العربى الذى غير مجرى التاريخ فى الشرق الأوسط وأفريقيا ، وبالتالى فى وطنه مصر أيضا ...

أحببته دون أن أتخذ منه آلها كما فعل المنتفعون به ، ولذلك أخذت أبحث فى مرحلة حكمه بالايجاب والسلب، السلب الذين يصفونه « بالحـكم الشمولى » بدلا من استخدام حكم الفرد ، وما فعلته السلطة بعبد الناصر ، وما فعله هو بشعبه من خلال السلطة ! .

● فى رأيى أن عبد الناصر الزعيم القومى العربى ، يختلف تماما عن عبد الناصر « السلطة » داخل بلاده ، وهذه هى الرؤيا التى ضاعت منا ونحن ننظر الرجل بعد

وفاته ، ونفحص آثار تكوينه النفسى ونسيجه البشرى فى حياتنا .

● وأعددت هذا الكتاب لغرض ثان أيضا ، وهو انصاف بعض المراحل العسكرية التى حاولوا فصلها عن المرحوم عبد الحكيم عامر ، لتشويه الرجل الى أقصى المدى والمشوار ، الذى قطعه بجانب عبد الناصر ، وليس معنى ذلك أن عامرا كان مجنيا عليه ، لا ، فهو بالضرورة يقف فى مجموعة الصف الأول من الجناة ، وما أكثر صفوفهم ، ولكن التاريخ سيظل يلح فى وضع النقط فوق الحروف ، خاصة حين نتحدث عن « جرائم تاريخية » زلزلت الوطن ، أخذ البعض يمهد لها طويلا أو يعمل بجهد مكثف على المستويات العليا ، عمدا أو جهلا ليسود مناخها ، تماما مثلما حدث قبل وبعد جريمة أو نكبة يونيو ١٩٦٧ .

● ان الهزيمة يمكن أن تلحق بأى دولة ، ولكن الغريب والمثير أن نصاب بهزيمة يونيو ١٩٦٧ والثورة ، ثورة يوليو ١٩٥٢ تحكم مصر ، والعالم بأكمله ينظر اليها اكبارا واعجابا من خلال شخص جمال عبد الناصر كزعيم عربى له مكانته الدولية ، وليس « كحاكم وسلطة » فى مصر ... وربما كانت هذه النظرة هى التى دفعت بعض الصحفيين الأوروبيين ليقول فى ٢٩ سبتمبر ١٩٧٠ ، بعد يوم من وفاة عبد الناصر ، انه مات من قبل ، فى يونيو ١٩٦٧ .

●

والحمد لله ان اسمى لم يكن بين الأسماء التى ضمتها عشرات من الكشوف التى تركها عبد الحكيم عامر بعد اعتقاله أو مماته قتلا أو انتحارا ، العديد من الأسماء

التى كانت تتقاضى مرتبات سرية شهرية ثابتة ، أسماء يتوقف المرء أمامها ، دهشة ويهز رأسه غير مصدق لما يقرأه !! .

● ومن خلال ايمانى بجنديتى فى خدمة مصر الثورة ، لا السلطة أو الحاكم الذى يعمل على اخضاع الرجال لسلطانه بالأموال والمناصب ـ أعددت هذه المقدمة « ردا » على تعليقات بعض المنتفعين القدامى بالثورة ، أو عواجيز الفرح الآن ، اذا تفضل أحدهم وقرأ كتابي .

حمدي لطفي

الفصل الأول :

الرجل الأول ..
والأول مكرر في مصر

مقدمة

ستبقى قصة المرحوم المشير عبد الحكيم عامر نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة المصرية حتى هزيمة يونيو ١٩٦٧ - العسكرية - علامة مأساوية - فوق تاريخ مصر أو تاريخ ثورة يوليو ١٩٥٢ - فعبد الحكيم عامر ، كما قال لى من اقترب منه كثيرا مذ كان طالبا بالكلية الحربية فى نهاية الأربعينات ، حتى ما بعد منتصف الستينات حيث انتهت حياته ، وكما عرفته جيدا عام ١٩٥٠ ، ثم ابتعدت عنه تماما فى نهاية يونيو ١٩٥٣ ، بعد أيام قليلة من اعلان النظام الجمهورى فى مصر ، وترقيته من رتبة « الصاغ » أو « الرائد » حاليا الى رتبة « اللواء » وتعيينه قائدا عاما للجيش المصرى ، عبد الحكيم عامر هو واحد من تلك الفصائل البشرية التى تكمن فيها « المأساة » فى مرحلة الصبا ، وتبقى فى مكمنها حتى تدفعها الأحداث الى الظهور والسيادة .

ان نهاية عبد الحكيم عامر انتحارا أو قتلا ليست المأساة التى أعنيها ، فحين ذهب الى لقاء ربه ، انتهت المأساة انسانيا ، ولم ينته الصراع الذى خلفته المأساة نفسها ، الصراع المقنع غير العلنى بين الرئيس الراحل

جمال عبد الناصر ، ونائبه أو ذراعه اليمنى عبد الحكيم عامر ، وهو صراع يستطيع أن يتكلم فيه كثيرون ممن شهدوا « العلاقة » عن قرب ولكن أكثرهم يتحرج من الحديث عن هذا الصراع رغم أهميته فى تاريخ مصر .

● وفى رأيى ورأى كثيرين أن الاقتراب من شخصية جمال عبد النـــاصر التى لم تكتب بعد حتى الآن ليس تطاولا وليس خطأ ، بل هو مطلب سيظل يلح فى الظهور من أجل الحقيقة ، ولن يبقى غيرها للأجيال القــادمة والتاريخ ، مهما طال حجم الصمت ، ومهما حوول طمس الحقيقة أو اخفائها ، فستسطع يوما كالشمس فى كبد السماء .

● وليس عيبـــــا أن أعتـــرف بأن الـكتابة عن عبد الناصر الذى لم يعرف أو يكتب بعد ، عمل ضخم للغاية ، فى حاجة الى دارس تتوفر فيه عدة شروط ، أهمهـــا الاقتراب من الرئيس الراحل منذ طفـولته حتى رحيله ، مع رؤية واعية بحركة التاريخ ، وأمانة متميزة بالدقة البعيدة عن الانفعالات والعواطف ، وقدرة على التحليل العـلمى لما يعتمل فى نفس الانسان بعيدا عن السلطة ، وفى قمة الســـلطة ، والمثالب البشرية حين تهزمها التربية والبيئة والثقافة والثراء الانسانى ، وحين تسود هذه المثالب ســـلوكا أو طموحا ، أو خوفا فى أكثر الحالات ! .

● وعبد الحكيم عامر الثائر والمأساة والعصر ، مهما اختلفت الآراء السريعة فى دوره ، هو أحد شباب مصر الذين اسهموا سرا بقدر بارز من النشاط الثورى بين قطاع من ضباط الجيش المصرى من أجل تحويل عجلة التاريخ فى وطنه ، خرج ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ مع زملائه

قـادة الضـبـاط الأحرار بكل الجرأة الوطنيـة المقترنة بالفداء ، والاخلاص للهدف ، ليصنعوا مصر الثورة ، ومع الاخلاص للهـــدف الذى يتمتع به عبد الحكيم عامر الانسان ، ظهرت أو كانت بداية ظهور بذرة « المأساة » فوق السطح ! .

ولقد ترك المشير عبد الحكيم عامر « بصماته » بلا شك فوق تاريخ ثورة يوليو ١٩٥٢ ، ولمدة خمسة عشر عاما متصلة عاشتها مصر « بالعرض وليس بالطول » كما نقول فى بعض الأحيان ، وشهدنا خلالها تحولات تاريخية هامة ، كان للرجل دوره فيها سلبا أو ايجابا ، كما لعب دوره أيضا وراء الكواليس فى الصراع « المقنع » بينه وبين الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، ذلك الصراع « السرى » الذى بلغ الذروة فى بداية عام ١٩٦٤ ، وتأجج اشتعالا فى الأشهر الأولى من عام ١٩٦٧ ، ولم يتوقف بوفاة عبد الحكيم عامر — فى أغسطس ١٩٦٧ — انتحـارا أو قتلا ، بل بقيت جـذوره ، وازداد نموها بطيئا ، واستمر الرئيس الراحل محاولا اقتلاعها حتى يناير عام ١٩٧٠ ، أى قبل رحيله بثمانية شهور فقط ، وقد أرقته طويلا .

● ماذا حدث فى يناير عام ١٩٧٠ ؟

— كان الرئيس الراحل يهتم شـخصيا بمتابعة تطهير القوات المسلحة من الضـبـاط الذين يدينون بالولاء لعبد الحكيم عامر — وما أكثرهم — ايمانا منه بأن هؤلاء سيصبحون بالضرورة تربة صالحة لقيام تنظيم عسكرى يعمل ضده ، ومنذ الهزيمة العسكرية فى يونيو ١٩٦٧ ، أخذ يقوم بمعاونة الفريق اول محمد فوزى القائد العام الذى حل محل عبد الحكيم عامر بابعاد عناصر كثيرة من

الضباط ، وبشكل أخذ طابع الاستمرار — أحيل عدد ليس بقليل من خيرة الضباط الى التقاعد ، وقبض على أعداد أخرى بحجة الاشتراك فى تجمعات سرية لقلب نظام الحكم بالقوة ، وحقق معهم بواسطة النيابة العسكرية ، وقدموا لمحاكمات عسكرية سرية ، لم يعلن عنها أو عن أحكامها ، وآخر هذه القضايا حملت رقم ٨ — أمن دولة — يناير ١٩٧٠ ، وحوكم فيها « النقباء حسن محمد بهجت ومحمد أحمد خميس وهشام مصطفى حسين » وآخرون .

وقيل انهم من بقايا ضباط عبد الحكيم عامر ، وتردد عنهم فى تشكيلاتهم العسكرية أنهم من الاخوان المسلمين، ولم تكن جريمتهم فى الحقيقة غير جلسة نقاش حول العوامل الحقيقية للهزيمة العسكرية فى يونيو ١٩٦٧ ، وكيف يبقى من ساهم فى صنع النكسة الى ما بعد النكسة فى موقعه ؟! .

● والمثير فى الأمر ، انه فى تلك الفترة ما بين يونيو ١٩٦٧ ، حتى وفاة الرئيس الراحل فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ، قبض على عدد من الضباط الذين عملوا مع عبد الحكيم عامر وقياداته ، وكان موكولا اليهم قبل يونيو ٦٧ — مهام القبض على الضباط وتعذيبهم والتنكيل بهم جزاء لما فكروا فيه ضد فساد النظام فى الخمسينات أو الستينات ، وهكذا تدور العجلة ... أو كما نقول « يوم لك ويوم عليك » !! .

● ان الصراع السرى الذى دار بين الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وذراعه اليمنى المشير عبد الحكيم عامر ، واستمر لعدة سنوات ، لا شك انه كان مدخلا لهزيمة يونيو ١٩٦٧ ، وأذكر ان الفريق صلاح الدين

الحديدى رئيس المحكمة العسكرية العليا التى حاكمت قادة القوات الجوية المصرية حتى النكسة ذكر أمامى فى لقاء وحوار معه ، ان الهزيمة صنعت صنعا ، أى عن عمد ، وانه يقول لى هذا الرأى بضمير القاضى ، بعد أن شاهد الكثير من أشكال الصراع بين عبد الناصر وعامر ، ودرس مئات من صفحات التحقيق الضخم الذى اجرى مع عشرات من القيادات العسكرية بعد يونيو ١٩٦٧ ، قبل أن يبدأ فى محاكمة الفريق أول صدقى محمود قائد القوات الجوية وثلاثة من قادة الطيران ، ويستمع الى عشرات الشهود ، بعضهم قال كلمة صدق دون خوف أو تردد ... مما أغضب عبد الناصر فى النهاية .

● ويبقى السؤال :

كيف صنعت الهزيمة صنعا أو عن عمد ؟

ـ هل كانت « الخيانة » خلف الهزيمة ؟

ـ ولحساب من تمت الخيانة ؟ ومن هم الذين كان بامكانهم تنفيذ مثل هذا المخطط ؟

ـ هل هى القيادة السياسية ممثلة فى الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وعلى صبرى بصفته أحد رجاله الذين يعتلون قمة القيادة السياسية بنفوذهم وأعوانهم وعلاقاتهم المريبة بموسكو ؟ أم هى القيادة العسكرية ؟ .

وبالطبع سنفصل « عبد الحكيم عامر » عن دائرة المشكوك فى أمرهم لأن الهزيمة اذا وقعت ستودى به فى الدرجة الأولى ... نفصل « عامرا » بعيدا لنجد أن المخابرات الروسية كان لها السيطرة الكاملة على بعض القادة العسكريين فى الطيران والجيش والبحرية ،

وبأسلوب العسكريين فى الطيران والجيش والبحرية ، وبأسلوب حسابات رجال المخابرات نستطيع أن نقول بعد استقراء للمناخ أن هزيمة القوات المسلحة المصرية فى يونيو ١٩٦٧ يمكن أن تؤدى الى احكام قبضة السوفييت على مصر سياسيا وعسكريا سواء بقى عبد الناصر وعبد الحكيم عامر بعد الهزيمة أو ذهب أحدهما الى ما وراء الشمس ... كما حدث بالفعل ! .

●● ولقد التقيت بعدد قليل من قادة قواتنا المسلحة ، بقى بالخدمة بعد يونيو ١٩٦٧ ، فكانوا موضع ثقة جمال عبد الناصر ـ هذا العدد القليل من الضباط القادة ، وفى مقدمتهم الفريق صلاح الحديدى ، قالوا لى انهم لا يستبعدون قيام خبراء موسكو بعمليتى غسيل رأس أو غسيل مخ للرجل الأول فى مصر « عبد الناصر » والرجل الأول « مكرر » كما كانوا يطلقون عليه سرا « عبد الحكيم عامر » تهدف الى الآتى :

ـ أن يقتنع عبد الناصر بضرورة هزيمة عبد الحكيم عامر هزيمة محدودة ـ تجعل عبد الناصر قادرا ومسيطرا على عبد الحكيم عامر ، وعلى القوات المسلحة ، بعد أن أفلت الزمام من أيدى عبد الناصر ، وأصبح رئيس الجمهورية خاضعا كل الخضوع لمزاج وفكر عبد الحكيم عامر ، وهو خضوع شعر به عدد قليل من المحيطين بهما ، ولم يخرج الى العلانية على الاطلاق ، وكان عبد الناصر وحده حريصا على تكتم واخفاء انباء وتفاصيل هذا التطور الذى ساد علاقته بعامر !

● ومن هنا يرى البعض ان عبد الناصر صنع مناخ الهزيمة ودفع بالجيش المصرى اليه ، ولكنه لم يكن يتوقع أن تأتى الهزيمة بمثل هذا الحجم ! .

● ويدلل هؤلاء البعض على صدق هذا الاستنتاج ، بقول الفريق أول محمد صدقى محمود قائد القوات الجوية عندما طلب عبد الناصر اليه أن يتحمل الطيران المصرى « الصدمة الأولى » التى تقوم بها اسرائيل ، فى الاجتماع العسكرى الذى عقد يوم ٢ يونيو ١٩٦٧ ، فقد اعترض « صدقى محمود » كما هو ثابت فى أوراق التحقيق ، اعترض قائلا :

ـ « تفرق كثير يا ريس ! » .

ولم يهتم عبد الناصر !! .

وهؤلاء أيضا يعتقدون ان عملية غسيل مخ أجريت لعدد ليس بقليل من قادة قواتنا المسلحة فى موسكو وفى القاهرة ، وأن هذه العملية بدأت بطيئة بطيارينا مع بداية الستينات ، ونمت بداية بعام ١٩٦٤ على مستوى القوات كلها واستمرت دون توقف ، حتى خروج الخبراء السوفييت من مصر بقرار ثورى أصدره الرئيس أنور السادات فى أكتوبر ١٩٧٢ ، ومن الممكن أن يتحول نفر من هؤلاء الى أدوات فى أيدى الخبراء السوفييت ومخابراتهم ، ويقومون بالخيانة تلبية لأوامر موسكو .. ولكنهم يستبعدون مثل هذا الخاطر لعدم وجود دليل مادى واحد على حدوثه ! .

● وانصافا لكلمة حق تقال ، لابد أن نجيب على سؤال هام وخطير ، لكى نضع النقط فوق الحروف .. والسؤال هو ... كيف ظهر الصراع بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ؟ ولماذا ؟ .

انه من المثير حقا وأمر يدعو الى الدهشة أن يقوم مثل هذا الصراع بين الرجلين وقد ربطت بينهما صداقة

عميقة قوية منذ التقيـــا فى « منقباد » عام ١٩٤٠ ، وتوطدت هذه الصداقة عمليا بقيام ثورة يوليو ١٩٥٢ ، ومساندة عبد الحكيم عامر لعبد الناصر فى كل المعـارك السرية والعلنية التى خاضها .. ضد اللواء محمد نجيب أول رئيس للجمهورية ، وضد الضباط الذين تصدوا لعبد الناصر وزحفه الى الحكم المطلق تدريجيا ، ثم تأييد عامر لحركات التطهير التى أجراها عبد الناصر بين ضباط الجيش المصرى وفى مقدمتهم الضباط الأحرار ابتداء من الأسبوع الثانى للثورة ، وعلى مدى خمسة عشر عاما بعد ذلك ، قضاها عبد الحكيم عامر يحكم بجانبه ، ليعاود عبد الناصر بعد يونيو ١٩٦٧ ، عمليات التطهير فى القوات المسلحة ابعـادا للعناصر التى ثبت فشلها فى الحرب ، وتأمينا لبقائه فى السلطة ! .

● اذن كيف يمكن أن يقوم صراع من نوع ما ، بين هذين الصديقين ؟!

● هل هو الصراع على قمة السلطة ؟

● هل كان عبد الحكيم عامر طموحا الى حد التفكير فى رئاسة الجمهورية بدلا من عبد الناصر ؟!

● لقد ظلت هــذه الأسئلة تلح على عقلى كصحفى منذ بداية عام ١٩٦٣ ، وأعترف أن الخوف الذى كان يسيطر علينا كشعب خلال هذه المرحلة جعلنى لا أجرؤ على طرح ما يدور فى ذهنى من تساؤلات ... ولقــد وقفت على بعض الكثير من تفاصيل هــذا الصراع ، بحكم ارتباطى كصـحفى بثورة يوليو ، ذلك اننى كنت أصغر الصحفيين « سنا » حين قامت الثورة ، ولقــد ذهبت الى مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة صباح

٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وكنت أعمل تلك الأيام « بمجلة روز اليوسف » ، بعد أن علمت بقيام انقلاب عسكرى ، واذاعة البيان « رقم ١ » للثورة بصوت الرئيس أنور السادات ، ومنذ ذلك الصباح ارتبطت بالثورة وبالجيش المصرى عاشقا بكل كيانى ، وكنت كأى شاب يرى فى الثورة أملا وغدا أكثر سعادة واشراقا ، ثم تفرغت للعمل كصحفى فى قطاع القوات المسلحة ، ولى الشرف أن أقول أن ارتباطى بالعسكرية المصرية ظل مستمرا حتى اليوم ، وطيلة ٢٨ عاما مضت ، وبحكم هذا الارتباط وهذه العلاقة وقفت على أسرار كثيرة عما يدور خلف الستائر أو وراء الكواليس ، ولكننى لم أستطع أبوح به حتى أصدرت كتابى السابق « ثوار يوليو الوجه الآخر » فى يوليو ١٩٧٧ ، وضمنته بعض أسرار الثورة ، وبينها ما أذيع لأول مرة .

واسمحوا لى أن أعود الى الوراء قليلا ..

● لقد تصادف ان جمع بيت أحد الأصدقاء بينى وبين المرحوم عبد الحكيم عامر فى احدى ليالى عام ١٩٥٠ ، وتكررت سهراتنا ، وأعجبت « بالصاغ » الشاب الذى يفيض حماسة ووطنية ولا يتردد أمام شلتنا الصغيرة فى هذه اللقاءات عن ادانة الملك فاروق وكبار القادة العسكريين ، بعد الجولة الأولى مع اسرائيل عام ١٩٤٨ ، وكان بين أصدقاء هذه الشلة اثنان من ضباط الشرطة ، وملحن موسيقى معروف الآن ، وقد أصابتهم الدهشة جميعا عندما ظهرت الصحف اليومية فى اليوم الثانى أو الثالث للثورة وفوق صفحاتها « صور » من قاموا بالثورة ، وبينهم الصاغ عبد الحكيم عامر ، صديقهم الذى لم يكن حديثه وأفكاره العلنية فى

سهراته بينهم ينبىء بأن له « نشاطا سريا » يدفع به فى النهاية الى حكم البلاد ! .

● ولقد عاوننى المرحوم عبد الحكيم عامر « صحفيا » طوال العام الأول من عمر الثورة ـ حتى أعلن النظام الجمهورى فى ١٨ يونيو ١٩٥٣ ، وصدر قرار ترقيته من رتبة الصاغ الى رتبة اللواء ، وتعيينه قائدا عاما للقوات المسلحة المصرية فى الوقت نفسه .. وبعد أيام من هذا الحدث التاريخى وجدت « لصوص الثورة » من الضباط الذين هربوا خوفا وجبنا ليلة الثورة يلتفون حوله وحول عبد الناصر بتشجيع من الرئيس الراحل ـ ووجدت اللواء عبد الحكيم عامر يفقد تواضعه ، ويسلك سلوك « المتعالى » بين من عرفوه قبل الثورة ، فأيقنت أن السلطة صنعت منه رجلا مختلفا ... وابتعدت عنه تماما رغم ارتباطى كصحفى بالقوات المسلحة ، وللحقيقة ... أقول ان عبد الحكيم عامر عدل أو قرر أن لا يستمر بهذا السلوك ، واستعاد « تواضعه » بعد أن شبع سريعا من السلطة قبل نهاية الخمسينات .

●● وبعد رحيل عبد الناصر جلست الى كمال الدين حسين وعبد اللطيف بغدادى وعبد المنعم أمين أعضاء مجلس قيادة الثورة ، والى المرحوم يوسف صديق أبرز الضباط الأحرار ليلة ٢٣ يوليو بدوره الجرىء ، والى السيد صلاح نصر المدير السابق للمخابرات العامة ، والى السيد ابراهيم بغدادى محافظ القاهرة سابقا ، وكان يعمل كجامع معلومات عن الضباط الأحرار لحساب جمال عبد الناصر سرا قبل الثورة ، وهو ضابط مشاة ممتاز ، وقد خدم أكثر من عشر سنوات بجهاز المخابرات العامة ، وكان أحد نجومه الذين استطاع « صلاح نصر »

بعدهم الى مواقع أخرى بعيدا عن جهـــازه أو مملكته الـــكبرى ! .

وتحدثت طويلا الى هؤلاء الثوار ، واستمعت اليهم طويلا أيضا ..

● ماذا قال لى هؤلاء ؟ .

● وبماذا خرجت به من الجلوس اليهم والاستماع الى أحاديثهم عن عبد الناصر وعامر ؟! .

ــ لقد أجمعوا كلهم على أن عبد الناصر كان امتدادا لطفولته القاسية ، فقد ولد لأب فقير العواطف بالنسبة لأبنائه شديد الحسم فى تربيتهم ، فتعلق الابن البـــكر للسيد عبد الناصر حسين بأمه التى ماتت دون أن يعلم بوفاتها ... كانت تعيش مع زوجهـــــا وأبنائها بقرية الخطاطبة ــ بحيرة ــ بينما انتقل الصبى « جمـــال » ليعيش مع عمه « بحى الخـــــرنفش بباب الشعرية » بالقاهرة ، حيث التحق بالمدارس الابتدائية ... وحين عاد الى الخطاطبة فى أجازة العام الدراسى فوجىء بوفاة أمه وزواج أبيه من سيدة أخرى ... وكانت صدمة شديدة جعلته يشك فى نوايا كل الناس ويسبق تعامله مع الآخرين حذر شديد ، كمـــا بدأ يميل الى الانطوائية والعزلة ... مكتفيا بصديق واحد فقط يختاره بعناية ، بحيث يسهل له السيطرة على هذا الصديق .

● ولقد ذهبت الى « الخطاطبة » ذات يوم باحثا عن طفولته أو مرحلة الصبا فى حياة جمال عبد الناصر ، والتقيت هناك بصديق المدرسة الأولية ، المدرسة التى التحق بها جمـــــال طفـلا وهو يعيش برفقة أبيه فى الخطاطبة ، وقال لى هذا الصديق أشياء يتوقف المرء عند تفاصيلها بالضرورة ..

● روى لى ان أحد مفتشى اللغـــة العربية زار مدرستهم ، ووقف يستمع الى شرح المدرس للفصـل الرابع ـ وعبد الناصر لطول قامته يجلس فى نهـاية الفصل ـ وطلب المدرس الى تلاميذه أن يضعوا كلمة « كتابة » فى جملة مفيدة يكون موقعها فاعلا ـ وعجز كل التلاميذ عن تقديم هذه الجملة ـ وبلل العرق وجه المدرس خجلا أمام المفتش ، وجاء دور عبد الناصر فقال :

ـ « ظهرت كتابة القرآن واضحة » ...

ونال تهنئـة الجميع ، وبعـد انصراف المفتش طلب المدرس من « جمال » أن يضرب كلّ تلميذ « عصايتين » جزاء لهم على تخلفهم وجهلهم ، فاعتذر عبد الناصر عن تنفيذ هذا الطلب ـ مما أغضب المدرس وكان فى حالة هياج شديد لما حدث له أمام المفتش ، فخير جمال بين تنفيذ ما طلب أو يضربه كل تلميذ « عصايتين » جزاء له على رفضه أوامر مدرسه ! .

وصمم عبد الناصر على موقفه وتحمل أكثر من ٦٠ عصا فوق يد واحدة دون أن يتألم ! .

● ويقول الرجل : منذ تلك اللحظة تحول التلميذ عبد الناصر الى زعيم لنـا ، فى فنـاء المدرسة نقف خلفه ، اذا لعب لعبنا ، واذا توقف توقفنـا جميعا فى صمت دون حركة حتى يتحرك هو ... وأدركت بعـد الثورة انه خلق ليكون زعيما منذ طفولته » .

● ويروى لى أيضـا عن « دهاء » عبد الناصر فيقول :

ـ « كان أبوه يمنعه من ممارسة السباحة فى ترعة

القرية حتى انه كان يوقع باسمه فوق قدم جمال ، ولكن « جمالا » ظل يتدرب على تقليد امضاء أبيه ، ونجح فى ذلك سريعا ، فعاد الى السباحة بالترعة ، وعلم ابوه بما حدث فضربه ضربا مبرحا ، بعدها وقع باسمه فوق ظهر ولده .. ولم يعجز جمال فى العثور على تلميذ ممن يدورون حوله ، دربه على تقليد امضاء أبيه ثم يجلس هذا التلميذ على ضفة الترعة حتى يخرج جمال ، فيوقع له على ظهره ، ويعود عبد الناصر مطمئنا الى أن احدا من أصدقائه لن يجرؤ على نقل ما حدث لأبيه ... وكان ذلك صحيحا » .

●● وقال لى رفاق الثورة حين رويت لهى هـذه القصة :

ـ لقـد كان عبد الحكيم عامر أحـد الذين وهبوا عبد الناصر كل اهتمامهم وصداقتهم ، حتى يمكن القول بأنه ذاب فى شخص عبد الناصر حقيقة وواقعا ـ وكان « جمال » يسند الى عامر مهمـة البحث عن الضباط الذين يصلحون للانضمام الى خـلايا التشكيل السرى للأحرار ـ ونجح عبد الحكيم فى هذه المهـام لارتباطه بصداقات قوية مع زملاء الـكلية الحربية وسلاح المشاة الذى انضم اليه ، وضـباط آخرين بأسلحة اخرى مختلفة ، يحملون كل التقدير للصاغ عبد الحـكيم عامر ومشاعره الريفية الصادقة وسلوكه الانسانى دائما ... بينما حجم عبد الناصر كضابط وصديق وقائد ينمو فى عقل وقلب عبد الحكيم حتى كان للأول كل السيطرة التامة على الثانى .

● كانت هذه الرؤى وهذه العـلاقة خلف ترشيح جمال عبد الناصر للصاغ عبد الحكيم عامر كى يتولى

قيادة الجيش المصرى ، أمام مجلس قيـادة الثورة حين طرح هذا الأمر للمناقشة مع بداية عام ١٩٥٣ ، وكان كل من كمال الدين حسين وصلاح سالم وعبد اللطيف بغدادى يرى انه أحق بهذا المنصب ، ولكنهم فى النهاية أذعنوا لرغبة جمال ووافقوا بالاجماع على ترقيته الى رتبة اللواء فى يونيو ١٩٥٣ وتعيينه قائدا عاما للقوات المسـلحة المصرية فى الوقت الذى يرى فيه عامر أن « جمال عبد الناصر » هو الذى يجب أن يتولى منصب القائد العام خاصة وأن البكباشى جمال كان يقوم منـذ الأيام الاولى لنجاح الثورة بمهام مدير مكتب القـائد العام اللواء محمد نجيب ـ ولـكن فكر عبد الناصر كان قد بلغ أبعادا أكثر عمقا من التفكير فى منصب القـائد العام فقط !! .

● ولقد قال لى بعض كبار الضباط أصحاب الكلمة الصادقة والسمعة النقية ـ أن عبد الحكيم عامر شعر بمناخ الـكراهية المقنعة من حوله تصدر من بعض زملائه أعضاء مجلس الثورة أو رفاق السلاح من ضباط المشاة ممن استمروا فى الخدمة العسكرية ، أو عدد ليس بقليل من الضباط الأحرار وأصحاب الرتبة المـاثلة ، رتبة الصاغ من الضباط الذين هربوا ليلة الثورة كما ذكرت من قبل ، ورأى عبد الناصر أن يستعين بهم وقد اطمئن تماما لخضوعهم له ... شـعر عبد الحكيم عامر بهذا المناخ حوله فاتجه الى الاستعانة بمن يثق منهم بين زملائه ليوزع عليهم أخطر المراكز القيـادية العسكرية ، مطبقا مبدأ الولاء قبل الخبرة ، وفى هذه الفترة الدقيقة من عمر الثورة بدأت أولى خطوات نشوء مراكز القوى ، كما ظهر بداية الصراع بين عبد الناصر وعامر ، عندما طلب

الأول اسناد بعض الوظائف الحساسة كمنصب مدير المخابرات الحربية ونوابه ، وبعض القيادات العسكرية فى أسلحة الجيش الى أشخاص يعينهم ، بينما يرى عامر ان هناك من هو أكفأ ، وفى الحقيقة كان عامر فى ذلك منفذا « لتلقينات » أعوانه ممن اختارهم ليعملوا بجانبه ، وقد اقتنع تماما بأنه وحده صاحب حق اصدار مثل هذه القرارات ، يصدرها وينفذها لا أن تصدر اليه ، حتى ولو جاءت من البكباشى جمال عبد الناصر الرئيس الشرعى للهيئة التأسيسية للضباط الأحرار !! .

● ولقد حرص عبد الناصر بعد ذلك على محاصرة هذه الخلافات بينه وبين عامر ، وأخمدها سريعا دون أن يتحدث عنها مع رفاقه أعضاء مجلس قيادة الثورة ، ولكنه فى الوقت نفسه كان يفكر بدهائه فيما يمكن أن يبلغه عبد الحكيم عامر من استقلال بعيدا عن سيطرته ، فنشر حوله وحول أعوانه من القادة العسكريين شبكة من عناصر المخابرات تجمع عن عامر ورجاله كل سكناتهم وتحركاتهم ، وكل ما يتصل بحياتهم الشخصية .. ويقال أن عبد الناصر كان مغرما بالوقوف على أدق الأسرار الشخصية لكل من يعمل معه أو يتصل به ـ ثم يفاجىء هؤلاء بما بلغه عنهم من معلومات ... فعل هذا مع « عامر » حين أخفى عنه علاقته بمطربة غير مصرية ، وحين تزوج من الممثلة برلنتى عبد الحميد ـ ومع صحفى كبير من أصدقائه القلائل المقربين ، ارتبط بعلاقة حب مع احدى الملكات العربيات السابقات ، وجاء عبد الناصر وأدار أمام هذا الصحفى تسجيلا لحديث تليفونى دار بين الصحفى وعشيقته ، وقد ظن العاشق أنه قام بكل ترتيبات تأمين علاقته وضمان سريتها ، واذا به مجردا من كل ملابسه أمام عبد الناصر ! .

● نعود الى عبد الحكيم عامر وقد شعر بالرقابة عليه ، فعمل من جانبه على اجتذاب عناصر المخابرات وقادتهم المنتشرين حوله وحول أعوانه ـ وليس سرا أن منافسة ضخمة قامت بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ، على صلاح نصر ، كل منهما يبذل جهده لكى يبقى مدير المخابرات العامة رجله دون الآخر ، وفى عام ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧ ـ كان « عامر » يردد فى سهراته بين خلاصة أصدقائه ساخرا من عبد الناصر :

ـ « الريس فاكر انه أخذ منى صلاح نصر ... وانا سايبه يفكر زى ما يعجبه !! » .

● ويرد « أفراد الشلة » على المشير عبد الحكيم عامر فى نفاق مدفوع الثمن وهم ينادونه « يا ريس » :

ـ « الى متى تترك هذا الرجل يا ريس ، انه لا يدرك أن وجوده رئيسا للجمهورية حتى الآن مرتبط بك وبرضائك عنه ! » .

● ويقول آخر :

ـ « آن الأوان يا ريس لتأخذ مكانك الحقيقى .. كفاية كده عليه ! » .

● ويضحك عبد الحكيم عامر فى سعادة محاولا اخفاءها ، ويقول لرجاله وكأنه يؤنبهم :

ـ « اختشى يا واد منك له ، ايه اللى جرى لعقولكم ! » .

● كان لعبد الحكيم مجموعة من الفيللات والشقق الفاخرة فى القاهرة والاسكندرية بحجة تأمين حياته ، وفى كل ليلة يقضى سهرته بين شلته ، يدور مثل هذا الحديث ، وذات يوم فوجىء عامر بعبد الناصر يدير أمامه عدة أشرطة لتسجيلات مختلفة دارت فى شقق

وفيللات المشير ، وأمسكت المفاجأة بعامر فظل صامتا مستمعا للأشرطة ، وفى النهاية أراد بخبث أن يخرج من المأزق فثار على عبد الناصر لأنه يقوم بمثل هذه الأعمال الصبيانية بدلا من الاهتمام بمشاكل الجماهير وشكواهم من حكومة زكريا محيى الدين !! .

واندفع واقفا فى غضب مفتعل ... بينما خشى عبد الناصر أن يكون قد أغضب عامر حقيقة ، فأخذ يعتذر له معاتبا مستعيدا ذكريات صداقتهما القديمة النادرة ، مستنكرا أن يسمح « عبد الحكيم » لأحد محاسيبه بالخوض فى مثل هذه الموضوعات والحديث عن عبد الناصر بهذا المستوى !! .

●● هنا يبرز سؤال هام ... من أين حصلت كصحفى على مثل هذه المعلومات ، أو هذا الحوار الذى دار فى بيت عبد الناصر ؟ .

– لقد روى لى هذه القصص المرحوم لواء عصام خليل وسنتحدث عنه طويلا عبر الفصول القادمة وكان المشير عامر يحترمه ، لأنه يحترم نفسه أمامه ... ويفتح قلبه ليحدثه بكل ما جرى بينه وبين عبد الناصر أو بقية أعضاء القيادة السياسية فى مصر ... ومن بين ما روى ذلك الحديث الذى ذكرته فى نهاية المقدمة الطويلة التى أعددتها لتكون مدخلا لهذا الكتاب .

● ولقد قال المشير عامر أكثر من ذلك ... قال ان عبد الناصر لم يعد بالنسبة له صديق الأمس ، وانه يشعر بكراهيته له – كراهية عبد الناصر – رغم حرصه على أن يبدى أمامه حبا وتعاطفا ، ولكنه حب العاجز الذى ينتظر الفرصة لينقض بلا رحمة ، وان عبد الناصر يعتزم أمرا ، ولأنه يعرفه أكثر من اى انسان آخر فلا

يستبعد أن يفكر فى التخـلص منه ... التخلص من عبد الحكيم عامر ! .

● وقال المشير عبد الحكيم عامر أيضا : انه لو فكر فى عزل عبد الناصر ، فانه سيجد ألف مبرر يقـدمها للشعب المصرى تبريرا لعزله ، وانه متأكد تماما من تأييد الشعب له اذا أقدم على مثل هذا العمل ... ولكنه لا يجد ما يقوله لقادة العالم فى موسكو وشرق أوروبا ـ والشعوب العربية بصفة خاصة ... وانه من المحتمل أن تقوم موسـكو بتوجيه ضربتها لـكى يظهر فى مصر حزب شيوعى يتلقى أوامره من الاتحـاد السوفييتى ، ولديهم فى القاهرة ، لدى موسكو عدد لا بأس به من القادة السياسيين والعسـكريين والصحفيين يعملون لحسابها ! ولن يتركوا فرصة غياب عبد النـاصر دون استغلالها ! .

● وبين ما قاله المشير عبد الحكيم عامر رحمه الله .. ان عبد النـاصر أصبح يظن أنه قـادر على اللعب مع المعسكرين الغربى والشرقى ، لأن روح مقامر الشطرنج تسيطر على كثير من تصرفاته وقراراته ، ولذلك قرر التعاون مع أوروبا الغربية لاقامة الصناعات الحـربية الاسـتراتيجية المصرية فى مصر ، من خلف ظهـر السوفييت ، ولـكنه ، أى عامر ، لا يتوقع أن تتركه موسكو يمضى الى نهاية الشوط ! .

● وكأن « عبد الحكيم » يقرأ من كتاب مفتوح ... !

● ● وتمضى الأيام ويصـعد عامر الى خالقـه عبر مأساة درامية قاتمة السواد ... ولقد قيل أن احدا لم يكن يجرؤ على طرح اقتراح بقتل عبد الحكيم عامر امام الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، ولكن أكثر من واحد

كان على ثقة بأن عبد الناصر سيشعر بالراحة حتما حين ينتهى هـذا الصراع الذى بلغ الذروة للمرة الألف فى يوليو ١٩٦٧ ، بنهاية عبد الحكيم عامر ، فتقدم واحد ممن يجيدون اختيار توقيت المبادرة الشيطانية ، واحد أو أكثر ، وأنهى حياة الرجل « الأول مكرر » فى مصر ، ليبقى رجل واحد فقط يحمل لقب « الرجل الأول ! » .

● وقبل أن أنهى هذه الجزئية عن وفاة عبد الحكيم عامر ، أجدنى أتذكر تساؤلا أطلقه أحد رجال القضاء أمامى منذ عامين قائلا :

ـ « أين الجندى أو المراسلة الذى كان يتولى الخدمة فى استراحة المخابرات ، تلك التى شـهدت الساعات الأخيرة للمشير عبد الحكيم عامر ؟! » .

انه معروف لـكثير من رجال القضـاء الجالس أو الواقف والعسكريين أيضا ، أن جميع هذه الاستراحات الرسمية ، يعمل بها أكثر من جندى للخدمة وأعمـال النظافة ، وهؤلاء الجنود يختارون بعناية شديدة جدا ولهم مواصفات وشروط خاصة .

● لقد قيل أن عبد الحكيم عامر تناول علبة عصير جوافة ، محفوظة ثم أسلم الروح ، وكان بالاستراحة طبيبان عسكريان أدليا بأقوالهما ، وهما آخر من شاهد المشير عامر حيا ... لـكننا لم نسمع أو نقرأ أقوال هذا الجندى أو المراسلة ، وكأن الأرض انشقت وابتلعته ! .

● ترى من هو هذا المراسلة ؟ .

● هل كان حقا أحد الجنود ؟ واذا كان كذلك فلماذا لم يظهر فى الصورة ؟ أم رجلا له أهميته كلف بانهاء حياة عامر ؟! .

●● لقد توقفت طويلا كما توقف كثيرون غيرى عند نهاية المشير عبـد الحكيم عامر ــ خاصة حين ترددت شائعات كثيرة مختلفة بعد عام من موته ، ففى بداية أغسطس عام ١٩٦٨ ، بلغنى كصحفى يعمل مع القوات المسـلحة المصرية نبأ القبض على عدد ليس بقليل من ضـباط الجيش المصرى الذين أحيلوا للمعـاش قبل هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، لأنهم كانوا يتحدثون أحيانا سرا ، وأحيانا بلا حذر حول استفحال السيطرة الروسية على مقدرات البلاد سياسيا وعسكريا ، وبعضهم يرى فى حرب اليمن جريمة تاريخية ، قبضوا على هؤلاء الضباط ومعهم مجموعة من المدنيين بتهمة التآمر والاسـتعداد للقيام بانقـلاب عسـكرى ضـد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، ولم يكن مسموحا على الاطلاق اذاعة أو نشر هذه المعلومات حتى تصدر تعليمات صريحة بذلك ، وبعد أيام قليلة علمت أن زعيم المؤامرة هـو محمـود عبد اللطيف المحامى ، وأحد من كبار المحـامين فى مصر ، وكان معروفا فى بداية الثورة ما بعد يوليو عام ١٩٥٢ ، انه على صلة وطيدة بالرئيس الراحل جمـال عبد الناصر ، وقد تولى رئاسة اللجنة التشريعية بمجلس الأمة عام ١٩٥٧ ، الـذى دخله نائبا منتخبا عن دائرة ابنوب بأسيوط ، وتذكرت أول مرة التقى فيهـا بهذا الرجل ، فى محكمة الثورة مع بداية عام ١٩٦٨ ــ التى تشكلت عقب موت عبد الحكيم عامر والقبض على عدد كبير من ضباطه يتقـدمهم شمس بدران وزير الحربية حتى الهزيمة ، ومن بينهم عباس رضوان وزير الداخلية السابق ، والرجل الذى كان يتمتع بثقة وحب كل من عبد الناصر وعامر ــ وكانت المحكمة مشكلة برئاسه

السيد حسين الشافعى وعضوية كل من الفريق محمد على عبد الكريم من الضباط القدامى الذين عهد اليهم عبد الناصر برئاسة ادارة المخابرات الحربية بعد أن انفصلت واستقلت على اثر انشاء ادارة المخابرات العامة فى ١٩٥٦ ــ ١٩٥٧ ـ واللواء سليمان مظهر مدير ادارة سلاح المشاة وقتهـا كعضو يسار ، وجاء محمود عبد اللطيف المحامى ليترافع عن عباس رضوان ، وسمعنا يومها همسات من زملائه المحامين كانت تقول « ان محمود عبد اللطيف تلقى تحذيرا من عبد الناصر اذا وافق على الدفاع عن عباس رضوان ، ثم تلقى تهديدا ، وانه ضرب بكل هذا عرض الحائط ! » .

● ولم يكن بوسعى أو بوسع أى صحفى آخر غير الصمت دون تعليق على ما يسمعه من همسات أو اشاعات والا ذهب خلف الشمس كما كان يقال أيامها .. ثم سمعت بعد ذلك أن « محمود عبد اللطيف المحامى » هو الذى ساهم بقدر كبير فى الحاق جمال عبد الناصر بالكلية الحربية عام ١٩٣٦ ، وتذكرت هذه الحكاية وكنت قد سمعتها عام ١٩٥٤ ، خلال الصراع الذى دار بين اللواء محمد نجيب والرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وما أكثر القصص والاشاعات التى تناثرت هنا وهناك خلال السنوات الأولى للثورة ، حول السير الشخصية لقادة الثورة ، والبارزين من أعوانهم الضباط ... الحكام الجدد ! .

● أستعدت هذه المعلومات وأنا أشهد الجلسة الأولى أو « الجلسة العلنية » الوحيدة فى محاكمة محمود عبد اللطيف المحامى وزملائه الضباط والمدنيين بتهمة التآمر والاستعداد القيام بانقلاب عسكرى ، بجلسة

يوم ٢٥–١٢–١٩٦٨ ، أمام محكمة أمن دولة عليا ، برئاسة المستشار محمد فؤاد الرشيدى ، وعضوية اثنين من العسكريين أحدهما العقيد أحمد عبد الروءف وكان يشغل منصب مدير القضاء العسكرى بمدينة الاسكندرية، وقد أحيل للتقاعد بعد هذه القضية !

●● أتوقف لحظة لأرد على سؤال بالضرورة سيخطر على بال من يقرأ هذا الكتاب ... سيسأل ما صلة هذه القضية بموت المشير عبد الحكيم عامر ، قتلا أو انتحارا ؟! .

– لقد كان بين المتهمين المدنيين – الدكتور محمد صفوت سليمان – أحد أساتذة الطب الشرعى – وقد قبضوا عليه ، وكانت التهمة الموجهة اليه هى استغلال علمه الكيميائى فى صناعة قنبلة تلقى على موكب الرئيس الراحل جمال عبد الناصر – فتصيب الجميع بمخدر قوى وفى هذه اللحظات يتم الهجوم بالرشاشات على الرئيس ومعاونيه ! .

●● وجاء « الدفاع » وشرح فى جلسة سرية خلفية هذا الاتهام فقال أن « الدكتور محمد صفوت سليمان » كطبيب بمصلحة الطب الشرعى كان موكولا اليه مع عدد من الأطباء فحص جثمان المشير عبد الحكيم عامر ، واصدار وثيقة طبية رسمية تؤكد انتحاره ، لكن « المتهم » رفض أن يشترك فى التوقيع على هذه الوثيقة وقال انها جريمة ثانية فالرجل لم ينتحر !!! .

● وبلغت القصة مسامع المسئولين عن الأمن ، وبالضرورة نقلوها للرئيس الراحل ...

● وكان طبيعيا بعد ذلك أن ينتهز السيد شعراوى جمعة وزير الداخلية فى تلك الأيام ، والسيد سامى

شرف المسئول غير الرسمى عن المخابرات العامة ومكتب الرئيس الراحل ـ وأنا أنقل هنا عن الأستاذ محمود عبد اللطيف المحامى الذى قبل بعد طول الحاح منى أن يتكلم ــ وجاء لقائى به فى بيته بالهرم مع بداية عام ١٩٧٩ ـ « كان طبيعيا أن يبحث « شعراوى وسامى » وأعوانهما عن فرصة للتخلص من الرجل الذى أصبح يعرف سرا خطيرا ، وعندما قرروا القبض علينا ــ عملوا على ضمه الينا بهذه التهمة الخيالية ـ صناعة قنبلة بها مادة مخدرة تلقى على موكب جمال عبد الناصر ! » .

● وقبل أن أستطرد وأروى ما قاله لى « محمود عبد اللطيف المحامى » وكان من قبل أحد رجال القضاء البارزين حتى عام ١٩٥٧ ، ثم ترك القضاء وهو يشغل منصب مستشار ، ليشترك فى انتخابات عام ١٩٥٧ ، ويدخل مجلس الأمة ممثلا لدائرة أبنوب، قبل أن أستطرد فى سرد ما سمعته منه ، لأضمنه نهاية الفصل الأول من هذا الكتاب لما تضمه أسرار قضيته من خلفية سياسية وعسكرية تعكس المناخ الذى ساد قيادة البلاد فى الستينات ، وقد ظهرت بدايته .. بداية المناخ الفاسد بالضرورة فى الخمسينات ، وانتهى بهزيمة يونيو ١٩٦٧ ، ليعود ويسيطر على مقدرات البلاد بعد الهزيمة ، ويستمر بعض من ساهم فى صنع النكبة أو النكسة ، فى موقعه ثيس حتى رحيل عبد الناصر فى سبتمبر ١٩٧٠ ، بل بعد ذلك الى قيام ثورة مايو ١٩٧١ ، وليس سرا مايردده كثيرون من بقاء كثير من عناصر الفساد فى مواقعه حتى اليوم وقد رفع شعارات ثوره التصحيح ، يهمنى أن أقول أن القضاء المصرى مارس شرعيته فى هذه القضية وأصدرت « الدائرة » احكاما

أثارت ضجة كبرى فى الأوساط القضائية والعسكرية ، سرعان ما حوصرت وخمدت ..

كانت الأحكام تقضى ببراءة جميع المتهمين وسجن شاهد الاثبات الوحيد خمس سنوات !! .

● ولم تنشر الصحف غير الأحكام فقط بلا تعليق ، كما أنها لم تنشر بالطبع صدور قرار باعتقال جميع المتهمين الذين برأتهم المحكمة ، ومصادرة أموالهم ، وفرض الحراسة على ممتلكاتهم ، وتشريد أسرهم ، وكان لمحمود عبد اللطيف شقيق يكبره يشغل منصب محافظ مدينة الاسكندرية فأحيل الى التقاعد ... وظل المتهمون نزلاء بالسجون ، حتى أصدر الرئيس السادات قراره بالافراج عنهم بعد مايو ١٩٧١ مباشرة ، ثم رفع الحراسة بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

● ومنذ عاد محمود عبد اللطيف الى بيته وهو يرفض الكلام عن الماضى ، حتى وافق فى نهاية عام ١٩٧٨ ، على سرد القصة والاجابة على أسئلتى ...

● ان مبعث اهتمامى بهذه القضية التى أضمنها هذا الكتاب لا يعود الى أنها تمثل نموذجا يجب دراسته « للمناخ » الذى ساد البلاد قبل هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، واستمر لما بعد الهزيمة ، فقط هناك عشرات القضايا مثلها ، ولكن قضية محمود عبد اللطيف وزملائه بالتحديد تمثل عدة اعتبارات هامة :

أولها ــ أنها تتصل بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وبمقتل المرحوم مشير عبد الحكيم عامر ، والعلاقة بين الرجلين هى موضوع هذا الكتاب ...

ثانيا ــ الأحكام التى أصدرتها دائرة المستشار محمد فؤاد الرشيدى فى قضية تآمر محمود عبد اللطيف

المحامى وزملائه تستحق أكثر من وقفة، وهى براءة جميع المتهمين وسجن شاهد الاثبات الوحيد ، وكان يشغل منصب المدير الادارى لاحدى شركات القطاع العام .

ثالثا ـ ان الغوص فى حيـاة محمود عبد اللطيف المحامى خلال الثلاثينات حيث بدأت صـلته الوثيقـة ، بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، لننتقل بعد ذلك الى الخمسينات والستينات ، منـذ قيام الثورة عام ١٩٥٢ ، حتى القبض على الرجل « محمود عبد اللطيف » فى نهاية يوليو ١٩٦٨ ، الغوص فى أسرار تلك المرحلة من الأعوام يقترب بنا من النسيج البشرى لجمـال عبد الناصر ـ النسيج الذى لم نره ولم يسمح للشعب برؤيته ... كما قلت فى الصفحات الأولى من الفصل الأول ...

« ان الاقتراب من شخصية جمال عبد الناصر التى لم تكتب بعد حتى الآن ليس تطـاولا وليس خطأ ، بل هو مطلب سيظل يلح فى الظهور من أجل الحقيقة التى لن يبقى غيرها للأجيال القادمة » .

● وفى الصفحات القليلة القادمة ، ألخص ما سمعته من الرجل تلخيصا شديدا ، حتى ننتقل عبر الفصول الأخرى ، الى موضوع الكتاب .

● وليسمح لى الأستاذ محمود عبد اللطيف المحامى أن أعرض « الملخص » فى شكل سؤال وجواب ، هربا من الملل ، الى المعلومات الموضوعية فقط ، وكما دار الحوار بيننا ، بعيدا عن الاسترسال والتحليل السياسى الذى يلجـأ اليه محترفو الانتفـاع بالثورات ، والذين ظهروا على المسرح مع حركات التطهير التى أجريت للثورة مرارا ..

● سؤال : هـل عرفت الرئيس الراحل جمـال عبد الناصر فى طفولته ؟ .

● متى ؟ وكيف ؟ وأين ؟ وما هو فارق العمر بينكما ؟

ـ نعم عرفته ، أنا من مواليد عام ١٩١٠ وهو من مواليد يناير ١٩١٨ ، رأيته أول مرة عام ١٩٢٧ ، كنت طالبا بمدرسة الحقوق بالقاهرة ، وأسكن مع أبناء عمى بشقة بمنطقة النحاسين بجوار مسجد قلاوون ـ فى حى الصاغة بالجمالية ـ عمى هذا توسط للمرحوم « خليل حسين » عم جمال عبد الناصر لدى المرحوم محمد على علوبة باشا وزير الأوقاف أيامها ونائب دائرة أبنوب حيث مسقط راس أسرتنا ، وحيث تقع بالقرب منا قرية بنى مر ، بلدة عبد الناصر ، توسط له وحصل على وظيفة لخليل حسين بوزارة الأوقاف فى القاهرة ، ولم يـكن الرجل غير ساقط ابتدائية ، فكان طبيعيا أن يأتى ويعيش معنا فى مسكن الجمالية ، وقبلناه واحدا منا واعتذرنا عن أن يسهم فى أجر الشقة ، ثم ما لبث أن هبط علينا التلميذ جمال عبد الناصر قادما من الخطاطبة لينضم الى عمه بعد أن أنهى المرحلة الأولية وليلتحق بمدرسـة النحاسين الابتدائية وعاش معنـا هو الآخر ، وكانت البداية ...

رأيته صبيا مهذبا منطويا ذكيا محبا للكتب ، فكنت أصحبه الى مسجد الأزهر ، والحدائق ، ويستذكر معى دروسه فى صحن الأزهر ، وظللت أعطف عليه وأهتم به لاعتداده بنفسه ورفضه اللجوء الى الشكوى الكثيرة كما يفعل الصبيان فى عمره ، ثم تخرجت وعينت وكيلا للنيابة فى جرجا عام ١٩٣٢ ، وجمال مع عمه فى مسكن مستقل بالخرنفش .

● ما هى حكاية تدخلك ليلتحق بالمدرسة الحربية ؟

ــ عام ١٩٣٦ ، نقلت وكيلا لنيابة البدارى ، وكان جمال عبد الناصر على صلة بى من خلال الخطابات ، فجاءنى يطلب معاونتى لكى يلتحق بالمدرسة الحربية ــ قدمته « للرحوم حسن عبد التواب » عضو مجلس الشيوخ عن أبنوب ، وهو لواء سابق بالجيش فاتصل « بالمرحوم ابراهيم باشا خيرى » مدير المدرسة الحربية ولكن الوساطة لم تفلح لكراهية مختفية بين الرجلين لم نعرف بها الا بعد سنوات ، فعدت وقدمته « للمرحوم عبد المجيد ابراهيم باشا » ابن أبنوب أيضــا ووزير الأشغال والمواصلات أيامها ، فقام الرجل وذهب الى المدرسة الحربية مصطحبا جمال عبد الناصر ووالده عبد الناصر حسين حيث ركبا بجانب السائق ، والتحق جمال بالمدرسة الحربية هذه المرة .

بعد الثورة التقى عبد المجيد باشا ابراهيم بالبكباشى جمال عبد الناصر رئيس مجلس قيادة الثورة فقال له جمال : « لا أنسى يوم جعلتنا نركب بجانب السائق » .

ــ لقد روى لى الرجل هذه القصة ، وتحمل الكثير من أشكال التنكيل به حتى مات فى نهاية الخمسينات بحسرته .

● هل رأيت « عبد الناصر » قبل القيام بالثورة ؟ .

ــ مرات قليلة للزيارة ، أثناء خدمته فى منقباد ثم السودان والصحراء الغربية ــ وبعد عودته من الجولة الأولى فى فلسطين عام ١٩٤٩ ، كان يغالى فى الاعتداد بنفسه .

● سمعت ان علاقة صداقة كانت تربطك باللواء محمد نجيب قبل الثورة .. هل استمرت العلاقة بعد الثورة ؟

وهل كانت كمـــــا قال البعض سببا فى تباعد جمال عبد الناصر عنك ؟ .

ـ نعم كانت لى علاقة باللواء محمد نجيب قائد الثورة، قدمنى له صديقى المرحوم محمد خالد صاحب جريدة الدستور ، وهو صحفى قديم وزميل دراسة بالحقوق ، وصديق للواء محمد نجيب قبل ١٩٥٢ ، وصباح أول أيام الثورة ذهبنا الى مقر القيادة ، أنا ومحمد وخالد ، ورأينا جمال عبد الناصر يقاطع اللواء محمد نجيب كلما تكلم بأسلوب خشن فنهره المرحوم محمد خالد ، ولم أتدخل ولكنى رأيت جمال عبد الناصر صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، انسانا مختلفا ، أحسست به وكأنه يعتزم تدمير وقتل الجميع ، ثم طردت هذا الخاطر عنى .

● اسمح لى بسؤال : لقد قيل انك عارضت قانون الاصلاح الزراعى الذى صدر بعد خمسة أسابيع من الثورة لأنك كنت من الملاك الكبار .. ما حقيقة الأمر ؟ .

ـ أبى كان مزارعا مالـكا للأرض ، عند قيام الثورة كنا ـ أقصد ـ أسرتنا تملك ألف فدان أكثرها أرض بور ـ غير صالحة ، ولذلك كانت أسرتنا تستأجر حوالى ثلاثة آلاف فدان لزراعتها ـ وعندما قامت الثورة أيدتها بـكل ما أملك ، كثورى اشترك فى ثورة ٣٥ و ٣٦ ، وكنت أقول قبل ١٩٥٢ ، لا يجب أن نقبل حكم ـ ابن « نازلى » لمصر ـ وقد تدهش اذا قلت لك اننى اشتركت فى وضع القانون رقم ١٧٨ لعام ١٩٥٢ ، قانون الاصلاح الزراعى ، وقلت لمن كان يعـــارضه انه قـانون مطابق للقواعد الدستورية ولحكم الشريعة الاسلامية لانه لم يغتصب الأرض بل أعطى للمالك فرصة التصرف فيما يملكه من زيادة على الملكية بحدها الأقصى ، وطلبت من

اخي الأكبر « محمد » ورب أسرتنا ان يرسل برقية باسم الأسرة ـ الى المهندس سيد مرعى المشرف على تنفيذ القانون ، تقول فيها « اننا نقـوم بتسليم الأرض للفلاحين دون أن نسترد نفقات زراعتها ، واننا تنازلنا عن الأرض التى كنـــا نستأجرها ومساحتها حــوالى « ٣ » آلاف فدان .. » .

وتعاونت مع عبد النـــاصر وزملائه لكى يصبح هــذا القانون حقيقة واقعة ... حتى أن الصاغ امين شاكر وزير السياحة بعد ذلك ، وكان أيامهــــا أحد معاونى عبد الناصر قال لى « ان زملائنا الضباط غير مؤيدين لتعاونك مع البكباشي جمال عبد الناصر لأنك اقطاعى ، ولقد عاتبوه فى ذلك ! » .

وكان جمال عبد الناصر يدعونى لمرافقته وهو يزور مناطق توزيع الأرض على الفلاحين ـ ويحاول أن يجعلنى أتقدم الوزراء والضباط أثناء جولاتنا ... وفى هــذه الأثناء علمت ببعض تصرفات معيبة لـكثير من الضباط ، ناقشتها مع عبد الناصر امام زملائه فحنقوا على ، حتى جاءنى امين شاكر ليقول لى « ما معناه ابتعد .. انت اقطاعى ! » .

● اذن .. ما الذى جعل العلاقة بينكما تسوء ؟ .

ـ صراحتى ، ولقد استمرت صراحتى سلاحا أرد به على كل الأخطاء التى تقع والتى أعرف بها مصادفة ، واذا به يقول لي .. « تناسى ما تسمعه ، وعليك يا محمود أن تهادن ضباط الثورة » ... ثم اختلفت معه حين نكل بالاخوان المسلمين عام ١٩٥٤ ، ورأيته يحاول الابتعاد عن الصدق ، واختلفت معه على توقيت الوحدة مع سوريا ، واختلفت معه لأنه رفض مناقشة ما كتبته بعض

الصحف السويسرية عن السد العالى وقولها أن هذا المشروع سيفسد خصوبة ستة ملايين فدان من الأرض المصرية مقابل أن يكسب مصر ٢ مليون فدان فقط ، وأن السد العالى سيذهب بالطمى رسول الخصوبة على مر الزمان ، واختلفت معه لما تتحمله مصر من ديون تتزايد باستمرار ، ولما يرتكبه بعض رجاله من سرقات كبرى لأموال الشعب ، رأيته يسكت عنها ، ولعدائه غير العملى لأمريكا ، وارتمائه فى أحضان موسكو ، وتصديقه للتقارير الكاذبة ، وابعاد الشرفاء أصحاب الخبرات الذين لا يعرفون التكبير والتهليل والنفاق ، وسيادة وسيطرة اللصوص والبرامكة ! .

● ذات يوم قال لى : هل صحيح انك تقول عنى بين أصدقائك اننى مثل اسماعيل باشا ؟ .

● ورددت عليه : هذه أول مرة أسمع بهذا الكلام ، وانك تعرفنى صادقا دائما ، لكن اسمح لى ، فهناك من يصفك فعلا بأنك اغرقت مصر فى الديون ، والقيت بها فى أحضان الشيوعية — ويهمنى أن أقول لك ان هذا الكلام الذى بلغك « نذير » لنا جميعا .

وغضب من صراحتى ، وعاتبنى مرة على خشونتى فقلت له : « من مصلحتك أن يكون لك أخ مثلى يقول لك الحق بغير حياء ولا وجل ، وليس من صالحك أن يخافك كل الناس ، واننى أرجوك أن تتحدث معى بلسانك لا بسيفك » .

● كيف رد عليك ؟ .

— لم يجب ... نظر حولى فى برود واستياء ، وبعدها اعتذر مرة عن مقابلتى ، وكانت القطيعة ، ولكنى لم اتوقف عن الحديث برأيى بين أصدقائى ومعارفى وكل

١

من يلتقى بى ، وبيتى هنا فى الهرم كان وسيظل كما ترى أشبه « بالدوار » فى الريف .

● ما هو الباعث على القبض عليك وعلى زملائك فى القضية ... وما علاقتك بشاهد الاثبات الوحيد الذى صدر الحكم بسجنه ، وكيف تعرفت « بالدكتور محمد صفوت سليمان » الذى قيل انه رفض المشاركة فى اصدار تقرير يؤكد على انتحار المشير عبد الحكيم عامر ؟ .

ـ قبل هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ ، أبعد عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وأعوانهما أعدادا كبـــيرة من خيرة الضباط فى الجيش المصرى ، ليس فى الجيش فقط ، بل فى جميع قطاعات البلاد ، لأنهم كانوا يتحدثون فى جلساتهم عن فســـاد الحــكم وخطأ تورطنا فى حرب اليمن ، أحد هؤلاء الضباط كان صديقا لى ، وقد قدم ذات يوم ومعه عدد من زملائه الضباط الصفار المبعدين أو الذين اعتقلوا فترة من الوقت ثم أحالوهم للتقاعد ، وكثيرا ما سهرنا الليالى فى بيتى بالهرم نؤدى صـــلاة العشاء ثم نتحدث فى حال ـ مصرنا ـ وكان ياسر عرفات صديقا لابن عمى محمود عبد الرحيم ، ويتردد هو الآخر على بيتى الذى أصبح بالضرورة تحت الرقابة ، ولابد أن أجهزة الأمن استطاعت الوصول الى نوعية أحاديثنا .. حدث كل هذا قبل يونيو ١٩٦٧ ـ ثم وقعت النكبة ، وارتفع ايقاع حديثنا ـ ومات عبد الحكيم عامر ـ وقبض على شمس بدران وصلاح نصر وعباس رضوان وعدد كبير من الضباط بتهمة الاستعداد لانقـــلاب عسكرى لحساب عامر ، وقمت بالدفاع عن عباس رضوان وصلاح نصر حين جرت المحـــاكمة أمام محكمة برئاسة حسين

الشافعى ، أطلقوا عليها محكمة الثورة ، وغضب جمال عبد الناصر لما علم بأننى قبلت الدفاع عنهما .

● سؤال اعتراضي : كيف علمت بغضب عبد الناصر ، وهناك قطيعة بينكما ؟ ولماذا قبلت تولى الدفاع فى قضايا سياسية ، وكان معروفا عنك انك تعتذر بشكل قاطع عن قبول مثل هذه القضايا ؟ .

ـ كنت أرفض هذه النوعية من القضايا السياسية أو الاستثنائية أمام محاكم الفريق أول الدجوى ، أو أى محاكم عسكرية أخرى لأننى كنت اعرف تماما انه لا حصانات للمتهم أو محاميه أمام مثل هذه المحاكم ، وأن احكامها جاهزة من قبل ، والدفاع أمامها ليس بمرافعة بل مهاترة ، ولذلك كنت أوفر كرامتى وأعتذر عن قبول قضايا هذه الفترة من حكم الثورة ... لكن بالنسبة لعباس رضوان وصلاح نصر فيهمنى أن أوضح لك خلفية ما حدث ...

بالنسبة لعباس رضوان فقد قدمه لى أول مرة الرئيس الراحل نفسه وأشاد به ـ وكان المرحوم عمر زعفان خال عباس رضوان ، زميلا لى بالمحاماه وصديقا قديما ، وقد جاءت أسرته ، أسرة عباس برفقة صديقى الدكتور رياض فوزى أستاذ المسالك البولية وهو صديق العمر ، للضغط على وقبول القضية ـ فشرحت لهم تطور صلتى بعبد الناصر المنقطعة ، وكيف ان دفاعى قد يضره ، وأن عبد الناصر فى هذه الحالة لا محالة ، سيدينه حتى لو صدر الحكم ببراءته ، فطلبوا منى زيارة عباس رضوان بالسجن ، وهناك قال لى :

ـ « أنا لا أبالى بالحكم ، ولكنى أريدك لتقف بجانبى

وتفسر حقيقة موقفي بشجاعة وأمانة ، وأن محاميا كبيرا آخر اعتذر خائفا من البطش به »[1] .

ولم جد مفرا من تأدية واجبي كمحام — والتقيت في السجن « بصلاح نصر »[1] الذي أخذ يشكو لي غدر عبد الناصر به ، وانه سيذيع أسرارا خطيرة عند محاكمته حول المسروقات التي سرقت من خزينة سفارة احدى الدول العربية بالقاهرة ، وحول شركة السيارات والأتوبيسات التي كونها عبد الناصر وعامر ، وأدارها لهما ، فوافقت على الاشتراك في الدفاع عن صلاح نصر أيضا — وكنت قد « ألقيت بالقفاز » كما يقولون بالنسبة لعبد الناصر ! .

— أما كيف علمت بغضب عبد الناصر لأنني قبلت الدفاع عن عباس رضوان ، فقد فوجئت بزيارة حرم المرحوم عمه « خليل حسين » وهي تحمل رسالة شفوية منه مؤداها انني سأخسره نهائيا اذا قمت بدوري كمحام في هذه القضية ، ثم فوجئت أيضا بالنائب سيد جلال يبلغني بالرسالة نفسها — مما زادني تمسكا بالدفاع عن الرجل .

● نعود الى قضيتك ، والى علاقة المتهمين بك وشاهد الاثبات الوحيد ... ماذا حدث بعد ذلك ؟ .

— ظل بيتي يستقبل أصدقائي واصدقاء أصدقائي ، واستمر حديثنا المعتاد بلا خوف أو وجل ، ورويت لهم بعض ما بلغني أثناء الدفاع عن عباس رضوان أو صلاح نصر ، حول عامر وناصر ، قلت أن رجال عبد الحكيم عامر نصحوه يوم ٨ يونيو ١٩٦٧ بأن يعزل عبد الناصر فورا ، وأن هذا الاجراء هو أحسن الحلول العملية لستر الهزيمة ، وأن عامر رفض هذا الاقتراح ،

وقلت ايضا ان عبد الناصر وعامر تبادلا الشتائم الرخيصة يوم ٧ يونيو ، وأن عامر كان أقوى أصـــدقاء وزملاء عبد الناصر وأقدرهم على معاداته وتحطيمه ولـكنه لم يفعل لأنه حسن النية ، وأن أهل محـافظة المنيا جاءوا القاهرة لا من أجل المظـاهرات بل لأنهم عرفوا بمحنة عبد الحكيم فعملوا على أن يلتفوا حوله ، وأن عبد الحكيم كان يفكر فى الضغط على عبد الناصر لا خلعه .. وكلام كثير طرحناه للمناقشة فى سهراتنا ... وأصدقك القول فقد كنت أشـعر بأننى مراقب ، وكل ما نقـوله ينقل للرئيس الراحل عبر أجهـزة التسجيل ولم يداخلنى الخوف أو التردد .. الى أن قلت : عبد الحكيم عامر مات مقتولا بواسطة عبد الناصر ، وليس ذلك بنزوة ، كما يرى أحدنا ، بل ميلا كاملا للشر ... واستشهدت بحادث اطلاق جمال عبد الناصر ـ الرصاص ـ على اللواء حسين سرى عامر ـ عام ١٩٥١ ـ وهو يعرف أن قتل هذا الرجل لا يفيد مصر ! .

ـ أعتقد انهم هنا فكروا فى التخلص منى ـ فقد كان يزورنى ويقضى معنـــا أمسياته رجل يحمـل اسم « عبد التواب ... » ، حصـــل على منصب كبير باحدى شركات القطاع العام ، جاءنى أول مرة مع صديقه وصديقى اللواء صلاح الموجى وصديق ثالث هو الرائد طارق مسعود ، ورأيت « عبد التواب » هذا يتحمس كل ليلة ويقترح عشرات الحلول « العملية » على حد قوله، للتخلص من عبد الناصر ، ويحـدد لـكل منا دورا ، ونستمع اليه ثم نقول له : « نحن الآن فى مرحلة من العمر لا تسمح لنا بتحقيق خيالاتك ، دع عنك هـذه الأفكار الصبيانية » .

وضع « خطا أو خطين » تحت حكاية الاقتراحات التى كان يطرحها علينا للتخلص من عبد النـــاصر معلنا انه سيقوم بهـــا وحـــده اذا رفضنا مشاركته ـ لأن هـــذه الاعترافات التى كررها أمام المحكمة هى التى جعلتهـــا تصدر حكمها بسجنه خمس سنوات كمعترف بالتآمر ، وبراءة الباقى لعدم ثبوت الأدلة على الاطلاق .

لقد رأيت ضباطا في قفص الاتهام معى لم أرهم من قبل ، قيـــل انهم كانوا يتواجـــدون فى بيتى للاعـــداد للانقلاب ، وضباطا آخرين رأيتهم بالفعل فى بيتى ولكن أجهزتهم لم تقترب منهم ـ والبعض حقق معهم ثم أفرج عنهم ، مثل الصديق محمود الدينارى المحـــامى بشارع الأزهر ، قبض عليه لأننا كنا كما زعموا سنستخدم مكتبه لاطلاق الرصاص على موكب عبد الناصر ، وهو فى طريقه الى الجـــامع الأزهر ، لكنهم لم يقدموا « الدينارى » للمحاكمة ! .

● نصل الى « الدكتور محمد صفوت سليمان » الذى قيل انهم زجوا به فى هـــذه القضية ، لأنه رفض التوقيع على تقرير وفاة عبد الحكيم عامر انتحارا ... كيف التقيت به ؟ .

ـ هذه هى المهزلة أو خرافة التآمر فى القضية ـ ذات ليلة جاءنا رجل الأجهزة ـ أو شاهد الاثبات الوحيد ـ عبد التواب هذا ، ثم افتعل ألما شديدا بأمعائه ـ واذا به يمسك بالتليفون ، ويطلب الدكتور محمد صفوت سليمان مستنجدا به أن ينقذه ، ويلح فى حضوره ، ويعطيه العنوان .. عنوان بيتى ، وقد سجلوا هذه المكالمة .. ! .

ويصل الرجل ويقول « لعبد التواب » بعد أن كشف

على أمعـــــائه : لا شيء ولا خطـورة ، انه توتر عصبى فقط .

ودعاه عبد التواب لتناول فنجان شاى معنا ، ورجوته كصـــاحب بيت أن يقبـــل ، وجلس الرجـل بيننا فاذا بعبد التوب يقدمه لنا بقوله :

ــ « هذا هو الرجل الوطني الصادق بحق ، لقـد رفض أن يوقـع على تقـرير طبى يؤكـد على انتحـار عبد الحكيم عامر » .

واندهش الطبيب من حصول عبد التواب على هذه المعـلومات ، ولـــكنه لاذ بالصمت رفض أن يؤيدها أو يكذبها ... وفى النهاية انضم الينا فى قفص الاتهام !

●●

بعد حديث رجل القانون محمود عبد اللطيف المحامى أسوق بعض ما سجلته فى أوراقى من حديث مع الفريق طيار مدكور أبو العز ــ وقد جرى الحوار معه عام ١٩٧٥ ، وما يرويه الطيار القديم يضيف قليلا الى صورة الخلفية العســكرية والسياسية التى ســادت مناخ ما قبل ٦٧ وحتى ١٩٧١ .

ولقد كان لمدكور أبو العز شقيق أصغر هو المرحوم محيى الدين أبو العز من ضباط المشاة الذين اقتربوا من الرئيس الراحل جمال عبد الناصر منذ عام ١٩٤٨ ، وقد عمل فترة من الوقت مديرا لمكتبه ، ومات بأزمة قلبية .

ومنذ عام ٥٦ حتى ١٩٦٤ ، كان اللواء طيار مدكور أبو العز رئيسا الأركان قواتنا الجوية ، ثم صدر قرار ترقيته الى رتبة فريق ، ونقله محافظا لمدينة أسوان ! .

وثار « لغط » شديد فى الدوائر العسكرية بعد صدور هذا القرار ـ ومن بين ما تردد وسمعته من قيادات عسكرية مصرية كثيرة كصحفى يعمل مع القوات المسلحة المصرية منذ يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ أن السوفييت طلبوا اخراجه من القوات الجوية حرصا على استمرار التعاون العسكرى بين موسكو والقاهرة ، ولم يعترض احد فى القيادة العليا !! .

● وقال لى الطيار القديم الفريق أبو العز :

ـ « هذه الفترة كان على القائد العسكرى الذى يريد البقاء فى منصبه أن يتفرغ تماما للمؤامرات اشتراكا أو دفاعا عن نفسه ، لكنى تفرغت لعملى رافضا أن أكون فريسة لضباط عبد الحكيم عامر ، أو شمس بدران ، أو دمية فى أيدى السوفييت ـ وفى عام ١٩٦٤ وأنا صديق لزميلى « عبد اللطيف بغدادى » عضو مجلس الثورة والرئاسة بعد ذلك ، كان عبد الناصر قد واجه أربعة انقلابات عسكرية ضده خرجت كلها من بين ضباط مكتب عبد الحكيم عامر ، فظن عبد الناصر أن « البغدادى » ـ الذى اختلف معه واستقال ربما يفكر فى القيام بانقلاب ضده وفى هذه الحالة لابد أن يلجأ الى صديقه مدكور أبو العز رئيس أركان الطيران ، فقرر الرئيس الراحل ابعادى الى أسوان ، كاجراء حماية لنفسه ... هذا هو تحليلى لما حدث ...

● ما هى ظروف عودته واسناد منصب قائد القوات الجوية اليك يوم ١١ يونيو ١٩٦٧ ـ وكنت أيامها محافظا لأسوان ما يقرب من ثلاث سنوات ؟ .

ـ قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ كنت بالقاهرة ، ورأيت قواتنا وهى تحشد وتمر بالعاصمة الى سيناء فى وضح النهار ،

ففزعت وتوجهت الى « أمين هويدى » وكان مديرا لمكتب عبد الناصر وصلته وثيقة به ، منذ كان هويدى ضابطا صغيرا بالمشاة قبل ١٩٥٢ ، وذكرت أمامه توقعاتى وتنبأت بنتيجة سيئة ، واذا بهويدى يقول لى :

ــ « أنت تضع نظارة سوداء فوق عينيك » .

وعندما صدر قرار اسناد القوات الجوية لى ، عاد امين هويدى وقال :

ــ « ان حديثك معى قبل الهزيمة ، وكنت قد نقلته حرفيا للرئيس ، هو الذى جعله يصدر القرار » .

ولقد وجدت للأسف الشديد ، أنه مطلوب منى أن اتعاون بعد النكسة مع بعض القادة الذين ساهموا فى صنع النكسة ! .

وبقيت فى منصبى فترة تقل عن خمسة شهور ثم التقيت فى ٣٠ اكتوبر ١٩٦٧ بالرئيس الراحل ، ومن قبل أرسلت اليه أربع استقالات رفضها وطالبنى بالاستمرار فى موقعى ، ولكنى كنت قد ضقت بسيطرة السوفييت على قواتنا المسلحة ، وسلوكهم معى ومع القادة المصريين الآخرين ، كما ضقت بخنوع قيادتنا العليا السياسية والعسكرية لموسكو ــ وقبل لقائى به ، بالرئيس الراحل قابلنى البطل الشهيد الفريق عبد المنعم رياض وكان رئيسا لأركان قواتنا ، بعد عودته من موسكو فحدثنى بما فهمه من خلال أحاديثه مع قادة الكرملين من العسكريين وهو انهم طلبوا أبعادى عن القوات الجوية ! .

● وماذا قلت للرئيس الراحل فى لقائك به يوم ٣٠ اكتوبر ١٩٦٧ ؟ .

ـ قلت له : انني أعلم بغضبك الشديد ممن يقدم علي تقديم استقالته لك ، ولـكنني غير قـادر على أداء مهامي وحريص على اعلان ذلك أمامك ـ وهذه استقالتي الخامسة والأخيرة ... ثم مضيت الى بيتي .

● سؤال : ترددت اشاعة بين الجماهير تقول انك سافرت الى الاتحـاد السوفييتي للاشراف علي تدريب جيل جديد من الطيارين المصريين ... ما حقيقة هـذه الاشـــاعة التي انتشرت بعد استقالتك من القـوات الجوية ؟ .

ـ هي اشاعة فعلا ، مصدرها الاتحاد الاشتراكي الذي كانت القيادة السياسية ممثلة في الرئيس الراحل تعتمد عليه في نشر اشاعات تخدم بقائه في السلطة ، والهدف من الاشـاعة تهـدئة الجماهير التي اهتمت بي عنـدما سمعوا في الاذاعات الخارجية ـ اسرائيل وهي تطالب برقبتي وتصفني بمجرم حرب وسفاح ، لأنني خططت لعملية جـوية يوم ١٤ يوليو ٦٧ ، أعادت الثقة لطيارينا في أنفسهم بعد أن لقنوا اسرائيل درسا لن تنساه ، وقامت لجان الاتحاد الاشتراكي بنشر أكاذيبها حتى لا يتساءل أحد كيف يترك مثل هذا الرجل قواتنا الجوية ؟! .

لقد سمعت هـذه الاشاعة من بعض أفراد أسرتي ، وكنت وقتها محاطا بعيون الرقابة والمراقبة حولي وحول مكالماتي التليفونية في بيتي وكل مكان أذهب اليه ! .

لقـــــد هددت اذاعة اسرائيل بنسف قريتي « ميت أبو غالي » كفر سعد ـ بدمياط ، انتقاما من الهجوم الجوي الناجح الذي قام به طيارونا الأبطال ... ويكفيني هذا التهديد أتوج به حياتي العسكرية ..

وبعد ... هل استطعت فى هذا الفصل الأول من الـكتاب أن أضيف بمـا كتبته هنا عن قضية محمود عبد اللطيف المحامى ، وما نقلته عن طيار القاذفات القديم أبو العز بعض الملامح لصورة الصراع عنـد قمة السلطة وكيف كان لنجوم هـذا الصراع السيطرة المطـلقة على مقدراتنا ! .

● لقد انتهى بعض هذا المناخ برحيل الرئيس السابق جمال عبد النـاصر ، وتبقى الحقيقة تلح فى الظهـور من أجل التاريخ والأجيال القادمة .

ان البحث عن الحقيقة واعلانها ليس عملا سهلا ، بل هى مهمة دقيقة تتطلب اقتحام ميادين وقطـاعات عديدة متباعدة .. وفى الفصول القادمة من الـكتاب محاولة اجتهادية جادة داخل قطـاع لم يقترب منه من كتب واجتهد من قبل عن مصر الستينات ، أو هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، وهذا القطاع الذى أعنيه هو قطاع المشروعات الحربية المصرية الاستراتيجية ـ التى جاء ذكـرها فى حديث عبد الحكيم عامر عن عبد الناصر ، واعتقاده بأنه يستطيع اللعب على المعسكرين الغربى والشرقى معا ، وفى وقت واحد ، عندما قرر التعاون مع الغرب لاقامة هذه القاعدة الصناعية الحربية الجديدة فى الوقت الذى كان لموسكو فيه كل السيطرة على مصر ! ولكن من يدرى كيف كان يفكر عبد الناصر تلك الأيام ؟ .

● لقد استغرقت مهمة البحث والتقصى التى قمت بها فى أنحاء هذا « القطاع » فترة زمنية طويلة ، رغم الغاء هذه المشروعات نفسـهـا بعد النـكسة بعامين ، ووضعت نصب عينى هدفا واحدا فقط ، هو الحقيقة ولا شىء غيرها دون تحيز أو لجوء الى التشهير بأحد ،

استنادا الى أن رجال ذلك العهد قـد ذهبوا أو ذهبت عنهم السـلطة ، لأن كل الرجال الى زوال ، وستبقى مصر ، كما ستبقى الحقيقة ، والكلمة الشريفة ساطعة كالشمس ودوران الليل والنهار ..

● انها حلقة من حلقات نضـالنا التاريخى الوطنى الموصول ... منـذ كانت الـكلمة الصـادقة الجليلة المقدسة .

الفصل الثانى :

"أفندينا" يعمل فى مخابرات ثورة يوليو .....!

★ اللحظة التي اختارها السوفييت للانقضاض السلمي على القاهرة ..

★ مجموعة من « الصولات » أول من تعرضت للتعذيب الوحشي في السجن الحربي .. !



.. هل كان هناك تخطيط سري لضرب البداية الموفقة في التعاون مع الغرب عام ١٩٥٣ ، لتتجه مصر الثورة الى الاتحاد السوفييتي ؟! ..

وكيف بدأ التفكير لدى الروس في الانقضاض السلمي على ثورة يوليو ؟ ..

ارتفعت الاصوات بعد نصر أكتوبر ١٩٧٣ ، تطالب بالمسئولين عن الهزيمة العسكرية فى يونيو ١٩٦٧ .

ومرت الأعوام – ١٣ سنة – ولم تعلن الحقائق بعد أمام جماهير الشعب ... ورغم المسافة الزمنية الطويلة وما صدر من اجتهادات وطنية صحفية ورسمية لتحديد المسئولية التاريخية الا أن هناك زوايا لم يتطرق اليها البحث ، والأمل كبير فى تقرير اللجنة العسكرية المصرية التى تكونت برئاسة مقاتل المدفعية القديم لواء محمد حسن غنيم لتضع أمام الشعب المصرى الجانب العسكرى فى قصة ثورة يوليو ١٩٥٢ ، مرورا بجولة ١٩٤٨ – الأولى – فى فلسطين ، والعدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ وما حدث من تحول بعد ذلك ، حتى نكسة يونيو ١٩٦٧ وانتهاء بحرب أكتوبر ١٩٧٣ .

● ان ازاحة الستائر أمام ذلك العملاق الذى نطلق عليه « الرأى العام » عن أدق وأخطر جوانب مصر الستينات ، يعد جهدا وطنيا مطلوبا للاسهام به فى رحلة البحث عن الحقيقة ... ففى نهاية تلك الفترة اتجهنا الى « الغرب » للمرة الثانية بعد وقوع أزمة سياسية حادة بين القاهرة وموسكو فى بداية ١٩٥٩ ، لنعيش بعد ذلك مشوارا مزدحما بالاثارة والأحداث ! .

قبل هذه الأيام ، فى عام ١٩٥٨ ــ بدأ التعـــاون الروسى المصرى فى توريد السلاح الى قواتنا المسلحة فى شكله العلنى وكأنه يمضى فى تعاون واتفاق وتفاهم ، ولكن الحقيقة كانت مختلفة ، ذلك لأن السوفييت طبقوا قدرا من سياسة الابطاء والتجـــاهل للمطالب المصرية العســكرية ، وكان لدى قواتنا الجـوية « ٥٩ طائرة » روسية الصنع ما بين مقاتلة وقاذفة ونقل ، أقرب الى الخردة وفى حاجة الى قطـع غيـار ، تجاهلت موسكو ارسالها الينا ــ ولم يكن أمامنا غير الاتجاه غربا والالتجاء الى مصانع الطائرات وخبرائها فى غرب أوربا ... وهنا ظهر دور « المرحوم » لواء عصام الدين خليل ــ وكان نجما معروفا على المستوى الجمـــاهيرى بعد أن تحدث الرئيس الراحل جمال عبد الناصر عنه فى خطاب شهير له احتفالا بعيد النصر فى نهاية ديسمبر ١٩٥٨ ، حين كشف عن مؤامرة كانت تمول من الخارج ضد الثورة فى مصر ، وقد حصل الضـــابط الطيار عصام خليل على « ١٦٢٫٥٠٠ » ألف جنيه من المتآمرين بعض أفراد الأسرة المالكة المصرية السابقة ، وسلمها الى الخزينة ــ وقال عبد الناصر ضاحكا « وها نحن نؤمم المؤامرات أيضا » ثم أهدى ضابطه الطيار وسام الاستحقاق ...

وأذيعت بعد ذلك تفاصيل هذه القضية على الرأى العام المصرى ... وكانت واحدة من القضايا المثيرة ...

● ولقد ارتبط اسم اللواء طيار عصام الدين محمود خليل بالصواريخ المصرية « الظـافر والقـاهر والرائد » والطائرة المصرية الصنع « القاهرة ــ ٣٠٠ » ، وتساءل الشعب بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ ــ أين هذه الصواريخ ؟

ولماذا لم نستخدمها ؟ ولذلك قصة سنعود اليها عبر هذه الرحلة .

●● نعود الى عام ١٩٥٩ ، والأعوام التى تلته حتى يونيو ١٩٦٧ ، لنجد انه قد حدث تحول جديد الى الشرق مع عام ١٩٦٥ ، وهو تحول تدريجى بدأ عام ١٩٦٣ ، واكتمل بعد عامين ، وقد استطاع السوفييت بعد اعادتنا عسكريا وصناعيا الى حظيرته ، تجميد التعاون « الغربى المصرى » فى صناعة السلاح ... هذه الفترة من تاريخنا سادها الضباب بكثافة شديدة ، وتعذرت فيها الرؤيا جماهيريا ... لكن الحقيقة لم تذهب على الاطلاق وستبقى دائما كبقاء الأيام واللغة والانسان مهما حوول طمسها .

كيف كانت البداية ؟

بعد قيام الثورة وقبل أن ينتهى عام ١٩٥٢ ، قرأ الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ــ وكان مديرا لمكتب القائد العام للقوات المسلحة تقريرا سريا عن صناعة المعدات الحربية فى مصر ، وهو المشروع الذى بداه المرحوم مصطفى نصرت وزير الدفاع فى وزارة الوفد مع نهاية عام ١٩٥٠ ، بمعاونة ثلاثة من مهندسى وزارته : « أبو العطا والسباع وعبد المجيد العبد » وكانوا قد نجحوا فى التعاقد مع « شركة مانيوران الفرنسية » لتصنيع الذخيرة الصغيرة ــ ومع « أورلكون السويسرية » لتصنيع الذخيرة المتوسطة ــ وشركة « سيفى اكسفورد السويدية » لانتاج البندقية ــ وشركة « بوفرز » وهى سويدية أيضا لصناعة المواد الكيماوية المفرقعة والقاذفة ،

ومصانع «كروب» الألمانية للصناعات التحضيرية الخاصة بالصناعات الحربية كتجهيز الصلب والنحاس اللازم لخطوط الانتاج ـ وكانت هذه التعاقدات خطوة ايجابية أولى لاقامة صناعة متكاملة تنتج السلع الوسيطة والسلع النهائية فى شكل طلقات من مختلف الأعيرة .

● وبعد حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ ، كانت صناديق المعدات بدأت تصل تباعا الى مصر ، ولكنها تدخل الى المخازن مع صمت مطبق عن تفاصيل المشروع الطموح ، حتى قامت الثورة فى يوليو من نفس العام ثم أصدر جمال عبد الناصر قرارا بتعيين العقيد المهندس حسن رجب وكان يشغل وظيفة مدير البحوث والتطوير فى القوات المسلحة ، وكيلا للوزارة لشئون المصانع الحربية ودفع المشروع الى الحياة مرة أخرى وبأسلوب ثورى له ايجابياته فى بداية الثورة .

●● فى هذه الفترة ، تقرر ايفاد بعثات عسكرية مصرية لزيارة أمريكا واوربا من أجل الحصول على السلاح ، أشهرها مجموعة عقيد المدرعات على النكلاوى وقائد الجناح طيار على صبرى حيث سافرا الى امريكا وفشلت مهمتهما هناك ، وبعثة أخرى برئاسة المرحوم اللواء محمد ابراهيم أول رئيس أركان للجيش بعد الثورة ومدير مكتبه الفريق أول عبد المحسن مرتجى وكان برتبة مقدم تلك الأيام ، وبعثات أخرى ضمت عددا ليس بقليل من الضباط الثوار الذين لم يظهروا بعد فوق المسرح السياسى ، وقد استطاعوا اعادة الاتصالات مع الشركات العالمية التى سبق ذكرها ، وبدأت مرحلة جديدة من التعاون معها اعترضتها عقبات وعراقيل ما كادت تذلل حتى اصطدمت بصخرة العناد الوطنى

المصرى الثـورى ، وتصميم ثوار يوليـــو على جلاء القوات البريطانية عن منطقة القنـــاة ، وقد بدا ذلك واضحا للعالم عام ١٩٥٣ ، وفى بداية ١٩٥٤ ـ ثم تدخلت حكومة لندن لدى الشركات الأوربية المرتبطة بها لـكى توقف تعاونها مع مصر فى صناعة الأسلحة والذخائر ، بعد أن نجحت فى اقناع أمريكا باتخاذ الموقف نفسه ! .

● قيل فى تلك الفترة ، ان اللواء محمد نجيب هو أول من فاتح السـفير السـوفييتى فى مصر « بنيامين سولوف » للتعاون مع الثورة والحصول على السـلاح الروسى لمصر ... حدث ذلك عام ١٩٥٣ ، وقيل أن البكباشى جمال عبد الناصر وبعض رفاقه أعضاء مجلس قيادة الثورة رحبوا بذلك ، وان السوفييت منذ تلك اللحظة وهذا العرض يخططون لاحتضان الثورة المصرية واخذوا يتحينون الفرصة الناضجة للانقضـاض السلمى على القاهرة ، وعلى ثورة يوليو ! .

خلال هذه الأيام دارت اتصـــالات سرية بين ادارة المصانع الحربية وشركة « ف ـ ن » البلجيكية للحصول على صفقة كبسولات لمصنع المفرقعـــات ولكن لندن استطاعت تجميد الصفقة ، فلجأت القيـادة العسكرية المصرية الى أســلوب الالتفاف الذى تطبقه ادارات المخابرات العالمية ، وسافر بكباشى سعد الدين يوسف أحد قادة القطاع العام بعد ذلك الى تركيا مزودا بسلطة دفع رشاوى وهدايا لانجاز العملية ـ حاملا معه ١٥ ألف جنيه ، وهـدايا ذهبية ثمنهـا عـدة مئـات قليلة من الجنيهات ، واستطاع بالاتفـــاق مع احدى الشركات التركية أن تستورد الكبسولات من بلجيكا لحســابنا ،

واعاد المبلغ الذى سافر به ، وقرر أنه لم يستخدم الا المصوغات الذهبية فقط ! .

● ومضت خطوط الانتاج في الصناعات الحربية المصرية وفق خطة دقيقة محكمة يقودها فريق متجانس من المهندسين العسكريين على رأسهم اللواء مهندس حسن رجب ، يعاونه المهندس ضياء الدين طه الذى أشرف على انتاج طائرة التدريب المصرية ـ القاهرة ٢٠٠ ـ وقبل أن ينتهى عام ١٩٥٥ ، ويعلن الرئيس الراحل توصلنا الى عقد صفقة السلاح السوفييتى ـ التشيكى الشهيرة ، واحدة من المفاجآت المصرية التى هزت الدوائر العالمية الحكومية ـ كنا قد انتجنا الى جانب طائرة التدريب ـ البندقية ، والأسلحة والذخيرة الصغيرة والمتوسطة والسلع الوسيطة والمسبوكات والمفرقعات ، ولكن هذه الصناعات تجمدت مع تبدل سياسة تسليح مصر بصفقة السلاح الروسي ، وأصبحت معداتنا الحربية تتطلب طرازات شرقية من الذخائر مما جعل المعدات الغربية التى نملكها طاقة فائضة معطلة وضاع علينا كل ما أنفقناه مع الغرب وشركاته وساد الصمت تماما ، وحين أخذ بعض الضباط يناقشون هذا التطور أو الضمانات التى حصلنا عليها من السوفييت لاستخدام معداتهم والحصول على قطع غيارها دون توقف ، ويبدون تخوفهم من سيطرة موسكو تدريجيا علينا صدرت قائمة بل عدة قوائم بأسماء ضباط أحيلوا الى التقاعد أو نقلوا الى وظائف مدنية فى وزارات أخرى ، أو سفاراتنا فى الخارج ـ وصمت الباقى خوفا أو انتظارا لما ستكشف عنه الأيام ـ فى الوقت الذى تعددت فيه أجهزة الأمن الداخلى وامتدت ذراعها الى العسكريين والمدنيين معا .

لغة الملاكمة !

● هل كان المناخ أيامهـــا يفرض الصمت على كل صاحب رؤيا واعية عاونته على تحليل الموقف وأبعـاده السـياسية واحتمالات تطوراته القادمة ؟! .

● هل عدمت مصر رجالا يقـولون كلمتهم الصادقة لوجه الوطن والحقيقة ؟! .

● هذه الفترة من عمر الثورة لم تلق حتى الآن من يتصدى لها بالبحث عن التفاصيل والتقصى والدراسة ثم اذاعة كل هذا للرأى العام المصرى بشكل متكامل ...

● لقد كان هناك رجالٌ قالوا الـكلمة الصادقة بلا خوف أو تردد ، وأكثرهم من العسكريين ، وبعضهم من المدنيين الذين اقتربوا من قيادة ثورة يوليو ... وقـد أطيح بهم كما يقال خلف الشمس ... ومنهم من أعلن توبته ومضى يشارك فى « الوليمة » حتى هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، ثم استمر فى موقعه الى مايو ١٩٧١ ، وأقلية استوعبت الدرس جيدا ، ولاذت بالانطواء والصمت !! .

● لقد كانت ضربات أجهزة الأمن الداخلى قادرة على نشر هذا المنـــاخ فى نفوسنا ، كانت أقرب الى الضربة القاضية كما يقال فى لغة الملاكمة ... فمع بداية الثورة أبقى الرئيس الراحل على بعض ضباط جهاز المخابرات الحربية الملكية ومخابرات الطيران أيضا وجهاز البوليس السياسى التابع لوزارة الداخلية ــ المباحث العامة فيما بعد ــ وحرص على استبدال قياداتها فقط ، كما أنشأ جهاز الأمن الداخلى بقيادة المرحوم محيى الدين أبو العز ــ أحد الضباط الأحرار ومحافظ الفيوم سابقا ــ وكان الجهاز الجديد مشرفا على جهاز وزارة الداخلية وحلقة

اتصال بين قيادة الثورة والأجهزة الأخرى المختلفة ، وقد ضم هذا الجهاز الأخير سامى شرف ، وكان نواة لجهاز المخابرات العامة عام ١٩٥٥ .

●● لقد أسندت قيادة الثورة جهاز المخابرات الحربية الى السيد زكريا محيى الدين ، وضم بين رجاله البارزين السيد حسن التهامى مستشار رئيس الجمهورية حاليا ، وأبقى على السفير عبد المنعم النجار أحد ضباطها قبل الثورة وبعد الثورة وابن خالة الملكة السابقة ناريمان، وبقى مقربا من الرئيس الراحل حتى آخر مناصبه الرسمية سفيرا لمصر فى باريس ، وقيل انه أسهم بقدر ما فى تضليل « السراى » حين طلبت كشفا بأسماء الضباط الذين كونوا تنظيما سريا ثوريا — وهذا هو سر احتضان عبد الناصر له .

● نفس المطلب الذى طلبته « السراى الملكية » من المخابرات الحربية طلبته من مخابرات الطيران ومن بين رجالها « على صبرى وعصام الدين محمود خليل » الذى تعرضنا له فى بداية هذا الكتاب ثم الطيار حسين خيرى ، أحد أقارب الملك فاروق ، وأحد المتهمين فى محاولة المؤامرة التى أذاعها عبد الناصر فى ديسمبر ١٩٥٨ ، والتى كشف عنها عصام خليل الزميل السابق لحسين خيرى .

● ولقد تردد فى بداية الثورة أن على صبرى وعصام خليل كضباط فى مخابرات الطيران الملكية ساهما أيضا فى تضليل السراى والبوليس السياسى عن تنظيم الضباط الأحرار ، وانهما بعد قيام الثورة رشحا زميلهما الطيار حسين خيرى وكانوا يطلقون عليه « أفندينا » مزاحا ، للبقاء والعمل معهما لكراهيته للملك ولاقتناعه

ان فاروق سيجلب الشيوعية للبلاد ولترحيبه بالثورة ـ ووافق عبد الناصر على الابقاء عليه ، حتى هرب حسين خيرى الى أوروبا بعد صفقة السلاح الروسى قائلا لأصدقائه :

ـ « ان الثورة ألقت بنفسها فى أحضان دب مفترس » .

●●

ولم تكن كل هذه الأجهزة تعمل فى نطاق تأمين القوات المسلحة كأجهزة للأمن الحربى أو المخابرات الحربية فقط ، بل امتد نشاطها الى القطاعات المدنية بمختلف أشكالها ، بين المصانع والجامعات والصحافة والنقابات وموظفى المصالح الحكومية .

● ولقد قدمت مخابرات الطيران بقيادة عصام خليل ثلاث قضايا شيوعية كبرى فى بداية الثورة ـ احداها كان المتهمون فيها على صلة بحزب تودة الشيوعى الايرانى ، ويقوم بالاتصال بينهما موظف مصرى يعمل فى شركة مصر للطيران بطهران عاصمة ايران .

وكان على صبرى قد انتقل للعمل بجانب الرئيس عبد الناصر ثم عهد اليه بقيادة جهاز المخابرات العامة بعد زكريا محيى الدين ، وظل يديرها حتى تركها لنائبه صلاح نصر فى ١٣ مايو ١٩٥٧ ، بينما تولى الطيار عصام خليل منذ البداية قيادة مخابرات الطيران وقدم القضايا الشيوعية الثلاث الى أجهزة وزارة الداخلية ـ التى كانت تعمل تحت اشراف المجموعة الخاصة بقيادة محيى الدين أبو العز ـ الى جانب قضية « صولات الطيران من الميكانيكيين » تزعمهم « ١٢ صولا » بعضهم ظهر انه جند فى حركة حدتو الشيوعية قبل الثوره ـ

وقام خالد محيي الدين بتقديم أحدهم وهو « سيد رفاعي » الى الرئيس الراحل ، ودهش عبد الناصر حين عرف أن « الصول رفاعى » هو أحد قادة شيوعى حدتو التى تضم مجموعة من الضباط ورجال الفكر ! .

كان خالد محيى الدين عضو مجلس قيادة الثورة او المرحوم يوسف صديق قائد المجموعة التى اقتحمت مبنى رئاسة الجيش ليلة ٢٣ يوليو ، والاثنان يمثلان اليسار فى تنظيم الضباط الأحرار ، حريصا على اخفاء أسماء العسكريين من الشيوعيين القدامى الذين جندوهم فى خلايا التنظيم السرى للضباط الأحرار ، حتى جاء جمال عبد الناصر فجأة لزيارة الصاغ خالد محيى الدين فى بيته فوجد لديه « الصول سيد رفاعى » والبكباشى يوسف صديق والمستشار أحمد فؤاد والشاعر كمال عبد الحليم ، ودهش عبد الناصر حين عرف أن «الصول» سيد يمثل مركزا قياديا بين أعضاء اللجنة المركزية للتنظيم الشيوعى السرى ! .

● ولقد حوكم الصولات أمام محكمة عسكرية برئاسة « قائد الجناح جمال عفيفى » ــ رئيس أركان الطيران فى نكسة ١٩٦٧ ــ وربما كانت هذه المجموعة من الصولات أول من تعرضوا للتعذيب الجماعى فى السجن الحربى تحت اشراف الصاغ حمزة البسيونى ــ ولعب عصام خليل بعد ذلك دورا فى انقاذهم ! .

● برز عصام خليل سياسيا واستمر نجمه فى صعود يخدمه فى ذلك ماضيه العسكرى وجراته الثورية وصراحته المتناهية مع القيادة العليا ممثلة فى الرئيس الراحل ، والمرحوم المشير عبد الحكيم عامر ــ الرجل الأول مكرر فى قيادة مصر كما كان يطلق عليه سراً قبل

١٩٦٧ ـ ظل نجم عصام خليل فى صعود ـ مقترنا بتطور صناعة الطائرات النفاثة المقاتلة ، صناعة مصرية كاملة ـ وصناعة الصواريخ الاستراتيجية « أرض ـ أرض » ، وصناعة الصلب المصرى اللازم للاحتياجات العسكرية ، والمدفعية الصاروخية المصرية المضادة للطائرات ، والمدفعية الصاروخية الميدانية ، والمضادة للمدرعات ، حتى جاءت نكسة يونيو ١٩٦٧ ، وتساءلت الجماهير ، أين هذه الصواريخ الاستراتيجية الظافر والقاهر والرائد .. ؟ ولماذا لم تستخدم ؟!!

●●

● أسئلة كثيرة ترددت ...

● وأقاويل مختلفة حول « مكتب نائب القائد الأعلى للمشروعات الحربية الخاصة » الذى كان يتولاه اللواء طيار عصام الدين محمود خليل ، تناثرت هنا وهناك ، دون أن يتصدى لها أحد بالرد والايضاح ! .

●● لقد قيل أن السوفييت بعد سيطرتهم علينا من خلال صفقة السلاح الأولى واستمرارا فى التعاون العسكرى بين القاهرة وموسكو ، استطاعوا اقناع الرئيس الراحل بأن السيد حسن التهامى ينقل أدق أخباره الى الأمريكان فعمل على ابعاده عن جهاز المخابرات، لانه غربى الفكر والميول ، وأن البعثة التى سافرت عام ١٩٥٣ ، للحصول على فرقة مخابرات أمريكية فى مكافحة الشيوعية والتنظيمات السرية المضادة للحكم يجب عزلها ففعل ، ولكن عبد الناصر أبقى على الطيار عصام خليل المعروف بكراهيته للشيوعية وبآرائه العلنية فى ضرورة التعاون مع أمريكا ، فكيف حدث ذلك ؟! .

● **لقد قالوا انه أسطورة ، والا لما بقى ضابطا بالقوات** المسلحة مقربا الى قيادة الثورة والجيش ، وهو الضابط الذى قال « لا » للنظام الجمهورى فى نهاية يونيو ١٩٥٣ .

● ما هى الحقيقة .. ؟ وماذا حدث فى المشروعات الحربية الخاصة ؟ ..

الفصل الثالث :

البداية .. حدثت في الهند

•• وتعاون ضابط المخابرات المصرية فى عهد الملكية قبل ثورة يوليو •• تعاون مع الثوار ••• وعهد اليه الرئيس الراحل جمال عبد الناصر باخطر وأدق المهـام الحربية •••

★★

★ عبد الحكيم عامر ••• لم ينتحر ، ولم يقتله احد تنفيذا لتوجيهات عبد الناصر ، ولـــكنه مات تنفيـذا لتعليمات أخرى !

تعليمات من ؟! ••

ما هي حقيقة هذا الرجل .. ؟

ما هو ماضيه ، وما هو دوره .. ؟

كيف نجا من سيطرة السوفييت ، وبقى في موقعه العسكرى ، رغم ما عرف عنه من عداء للشيوعية والاتحاد السوفييتي ؟! .

هل دخل في صراع مع القيادة العسكرية السوفييتية !؟ .

ومن كان خلفه أو جانبه يقدم له الحماية ؟ .

وكيف توقفت تلك « المشاريع الطموحة » التى هلل لها الرئيس الراحل شخصيا في بداية الستينات والتي قادها « الطيار عصام خليل » وأقد أسند اليه منصب مدير مكتب نائب القائد الأعلى للمشروعات الحربية الخاصة ؟! .

هل كانت له مهام سرية أخرى لم يكشف الستار عنها بعد ؟! .

● لقد حرصت على تحقيق قصة هذا الرجل بشكل مكثف وتفصيلي وذلك لأهمية ما حدث من تحولات في قيادة قواتنا المسلحة ، وكان لها آثارها العميقة على

الشعب المصرى عام ١٩٦٧ وعلى منطقة الشرق الأوسط بأكملها ! .

● لقد عهد الى هذا الضابط الطيار — وهو ضابط مخابرات وليس عالما أو مهندسا بقيادة صناعة هامة وخطيرة فى مصر ، وهى صناعة الأسلحة الاستراتيجية المتطورة — ونجح فى ذلك الى حد كبير ، وكان يقود هيئة كبرى من العلماء والخبراء الأجانب والمصريين والمهندسين العسكريين ، ويملك الكثير من الاعتمادات المالية داخل البلاد وخارجها ، الى جانب عدة جوازات سفر لاستعماله الشخصى ، تحمل أسماء ومهن مختلفة ، امعانا فى حمايته وتأمينه ، وقد اقترب طويلا من القيادة السياسية العليا ، والعسكرية بالضرورة ، ورأى الصورة فى قمة السلطة بكافة زواياها ... ورأى الرئيس الراحل عن قرب وتعامل معه واحتفظ له فى ذكرياته بصورة مختلفة عما فى أذهاننا ، عن عبد الناصر والجانب الذى لم نره منه ... كذلك نائبه عبد الحكيم عامر ! .

●● وحين جرى اعتقال عصام الدين خليل فى اغسطس ١٩٦٧ ، انهالت الاتهامات الخطيرة والخيالية عليه ،وحقق معه عسكريا ، وفى سرية تامة ، بعد أن ارسل الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية عقب يونيو ١٩٦٧ ، بلاغا الى المدعى العسكرى العام فى ٢٤ فبراير عام ١٩٦٨ يتهم فيه الطيار لواء عصام خليل باتهامات مالية غريبة ومثيرة سنتعرض لها بالتفصيل فى نهاية هذه الدراسة ، ومن الغريب والمثير ايضا أن يصدر قرار المدعى العسكرى العام بعد ثمانية شهور من تاريخ هذا البلاغ ، فى ٢ أكتوبر ١٩٦٨ ، بأنه لا وجه لاقامة الدعوى ضد اللواء متقاعد عصام الدين خليل ... وتأتى

التعليمات بعدم الاشارة فى الصحف الى هذا القرار الذى أصدره اللواء عبد الرازق أحمد ابراهيم حجازى ، المدعى العسكرى العام أو اذاعته ، تم يصدر بعد أسبوع واحد ، اى فى ١٠ أكتوبر ١٩٦٨ قرار جمهورى جديد يحمل رقم ١٥١٤ ، باستمرار اعتقال عصام خليل !!

معلومات لهـا دلالات !

● نعود الى بداية الرجل ...

وهذه هى حصيلة ما جمعته من معلومات عنه حين اعتذر لى فى البداية عدة مرات ، طوال عامين عن الحديث فى هذا الموضوع ، وأمام الحاحى المستمر عليه ، وافق وتكلم ، وأجاب عن أسئلتى وتساؤلاتى .. قبل وفاته فى مارس ١٩٨٠ .

● هو الابن الوحيد للجراح المصرى الشهير المرحوم دكتور محمود خليل ، وكانت له ست شقيقات دون ذكور .

● من مواليد القاهرة ، عام ١٩٢٢ .

« قال لى : كنت أهوى الميكانيكا وعشقت الموتوسيكلات والسيارات منذ طفولتى ، ثم الطيارات فى صباى ، وكنت أستأجر الطائرات فى مدرسة مصر للطيران مقابل خمسة جنيهات للساعة وأنا فى المرحلة الثانوية ، وحصلت على شهادتين فى الطيران الخاص والطيران التجارى ، وعمرى ١٦ عاما ، ثم تخرجت فى الكلية الجوية بعد الحربية فى يناير عام ١٩٤٦ » .

● ومن تقرير قديم عنه لدى أحد قادته القدامى جمعت هذه المعلومات ، لما لهـا من دلالات :

« حاول الهرب بطائرة مدنية الى خطوط الألمان أثناء الحرب العالمية الثانية قبل التحاقه بالكلية الحربية ، وعلى أثر فشل محاولة الفريق عزيز المصرى للوصول الى القوات الألمانية ــ وقد حصل على طائرة مدنية من مطار بور سعيد ــ عاونه فى ذلك قائد المطار « الجابرى » وهو طيار مدنى قديم عرف عنه انه من رجال عزيز المصرى ، واضطر للهبوط الاضطرارى على ساحل دمياط وعاونه « الجابرى » من الافلات من المحاكمة بأن أفسد له بوصلة الطائرة حتى لا ينكشف خط سير الطائرة الحقيقى .. » .

« كان الأول على دفعته فى اطلاق الطبنجة والثانى فى البندقية » .

« رفض تقبيل يد الملك وهو برتبة ملازم ثان ــ وقد استدعاه الفريق ابراهيم عطا الله باشا لتأنيبه ، فقال ان تقبيل الأيدى للسيدات فقط ، ثم رشح للعمل فى الياوران العسكرى للملك فاعتذر » .

« كتب تقريرا عسكريا فى بداية عام ١٩٤٨ واعيا باحتمالات الموقف فى فلسطين وقدمه الى الفريق عثمان المهدى باشا رئيس الأركان ، ثم اشترك فى جولة ٤٨ بفلسطين وبعد عودته نقل الى العمل فى مخابرات الطيران ، وكان هذا التقرير الذى قدمه من قبل خلف هذا الاختيار » .

« سافر عام ١٩٤٩ مع المقدم محمد فرج رئيس قسم تسليح الطيران الى مهمة سرية فى انجلترا واليونان لشراء طائرات وقد تعرض لمحاولة تجنيده لحساب اسرائيل بواسطة يهودى عدنى فى أثينا ــ وحصل منه على كاميرا تجسس ماركة مينوكس ، ونسخة قديمة من برتوكولات حكماء صهيون » .

« نقل للخدمة فى مطار الدخيلة كضابط مخابرات للقاعدة ومسئولا عن صيانة الطائرات عام ١٩٥٠ » .

سألته عن صحة هذه المعلومات فأكدها قائلا :

ـ « حين دعيت للعمل فى ياوران الملك عرفت أن سبب اختيارى يعود الى اعتدادى بعسكريتى عندما رفضت تقبيل يد الملك ، مكتفيا بأداء التحية العسكرية وتعلمت درسا هاما فى حياتى ، وهو أن احترام القادة لك ينبع من احترامك لذاتك وكرامتك ، وطبقت هذا الدرس مع قادتى طوال حياتى وبالأخص مع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر والمرحوم المشير عبد الحكيم عامر » .

ـ وفى أثينا عندما واجهت جاسوسا يهوديا من أبناء عدن وكنت أقيم باليونان كتاجر ، تعلمت الحذر بعد أن دس لى السم فى الطعام وانقذت بأعجوبة ، وعدت بنسخة قديمة من « برتوكولات حكماء صهيون » وذهبت برفقة زميل قديم وهو البكباشى مصطفى لطفى ، زميل دفعة جمال عبد الناصر والسفير بعد ذلك بالخارجية الى الأستاذ احسان عبد القدس ، حيث قدمت له النسخة بهدف نشرها فى « روز اليوسف » .

● سؤال : كيف التقيت أول مرة بالرئيس الراحل ؟

ـ كان يدرس لنا بالكلية الحربية عام ١٩٤٢ ، مادة الأسلحة الصغيرة ، وتأثر به عدد كبير من الطلبة ، ثم ذهبت اليه عام ١٩٥١ بعد أن سمعت عن وطنيته ، وكان مدرسا بكلية الأركان ، وعرضت عليه أن أقوم باغتيال الملك فاروق ، وأن يقوم هو بحماية ظهرى ، فطلب التريث ، وأن أبقى بجانبه ثم طلب منى الاسهام فى نقل الأسلحة والذخائر من بيت الزميل مجدى حسنين الى الفدائيين فى منطقة القناة ففعلت .

● ألم يشك فيك وأنت تعمل فى مخابرات الطيران الملكية ؟ .

ـ لا . . لم يتبادر اليه أدنى شك ، ذلك لأن ثمة قصة سبقتنى اليه ، فقد كنت أحاكم جنديا هرب من الخدمة لمدة عام ، ثم قبض عليه ، وفى المحاكمة قال انه مذنب ، فأصدرت الحكم بالبراءة ، واذا باللواء محمد متولى باشا قائد الطيران يستدعينى ويطلب منى تفسيرا لهذا الحكم ، فقلت له : « ان هذا الجندى هرب لكى يطعم عددا من أبنائه ، مرتب الجيش لا يكفيه وأسرته » .

وقدمت له مذكرة بضرورة اصلاح قانون الجيش ، وكان لدى عبد الناصر قبل الثورة قدرا كبيرا من المعلومات الشخصية عن عدد ضخم من الضباط الشبان الذين عرف عنهم الاهتمام بالمسائل السياسية أو الميول الثورية .

ولقد ظل عبد الناصر بضع هذه المسألة ـ حصوله على المعلومات الشخصية عمن حوله وعن البعيدين عنه أيضا من الضباط فى المرتبة الأولى من ضرورات قيادته حتى وفاته ، وكان حريصا على أن يتسلم أكثر من تقرير من عدة جهات أو مكاتب أمن عن الشخص الواحد ثم يقارن بين معلوماتها .

● سؤال آخر : بعد الثورة عرفنا أن على صبرى كان حلقة الاتصال بين قيادة الضباط الأحرار والملحق الجوى فى السفارة الأمريكية بالقاهرة « لصداقة » تربط بينهما . . . ألم تكن هناك اعتبارات أخرى لم تذع على الجماهير ؟ .

ـ سافر على صبرى كضابط طيار بمخابرات الطيران عام ١٩٥١ فى بعثة الى أمريكا للحصول على فرقة عسكرية ، وكنت مرشحا للسفر معه الا أن أمريكا

اعتذرت بالنسبة لى ... ربما عقد هو صداقات هناك جعلت عبد الناصر يرشحه للدور الذى قام به ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ - ورايى انه كان أمريكى التفـــكير حتى « غسل » له السوفييت رأسه ! .

● سؤال : تردد أن أول عمليـة تعـذيب وحشى أجريت على نزلاء السجن الحربى كان ضحيتها « صولات الطيران من الميكانيكيين » الذين قبض عليهم بتهمة التمرد بعد أشهر قليلة من قيام الثورة ، وانك أنت كنت خلف القضية وقد توليت القبض عليهم ، ثم أرسلت بهم الى « حمزة البسيونى » فى بداية خدمته بالسجن الحربى ... ما ردكم ؟ .

ـ هذا صحيح ، كان « الصولات » يقضون سهراتهم فى بيت « العقيد يوسف صديق » رحمه الله ، بهدف تلقينهم مبادىء الشيوعية وبلشفتهم ، ولقـــد حاولوا القيام بفتنة عسكرية ، وقبل محاكمتهم علمت بما وقع عليهم من تعذيب بقيـادة حمزة البسيونى فذهبت اليه غاضبا ونقلتهم دون تعليمات الى رئاسة القوات الجوية ، أفردت لهم حجرة خاصة بسراير ، وزودتهم بالعـــلاج والملابس ، وغضب البسيونى وشكانى الى القادة ولكنى لم أعبأ به ، وقد صدرت الأحكام بعقوبات بسيطة ، بعدها حصلت على قرار من الرئيس الراحل بالافراج عنهم ، وقمت باستلامهم وأعلنتهم بالنبأ فبـــكى بعضهم فرحا وحرصت على الحاق عدد منهم بالمصـــانع الحربية ، وسهلت للآخرين مهمة الحصول على عمل خارج البلاد ، وأكثرهم على قيد الحياة وكل عام يرسلون لى بهديةرمزية ... وحتى الآن ، تعبيرا عن امتنانهم ووقفتى الجريئة الصادقة بجانبهم .

وأذكر انني قلت للرئيس الراحل : « انني ضد اى نوع من التعذيب أو اهدار كرامة البشر ، وسأقف بكل قواى ضد هؤلاء الشواذ كالبسيونى الذين يسعدهم آلام الآخرين ... » .

« وقال لى عبد الناصر : أنا معك » .

●

● سؤال : كيف كانت مقدمات صفقة السلاح الروسى عام ١٩٥٥ ، والمعروف انه كان لك دور ما فى هذه الصفقة ؟ .

ــ بدأت « المقدمات » بين ملحقنا العسكرى فى الهند البكباشى عاطف نصار قائد تنظيم الضباط الأحرار فى الاسكندرية والدبلوماسيين السوفييت والصينيين بعاصمة الهند ، وجرى حديث طويل حول امكانيات حصول مصر على السلاح من السوفييت ، وكتب عاطف نصار بذلك الى الرئيس الراحل ، الذى أوفد جمال سالم الى هناك ، وفى حفلة استقبال أقيمت له قال المرحوم جمال سالم « ان الغرب لن يعطينا السلاح ، وسنعمل للحصول عليه من الشرق » .

وأحدث هذا التصريح ضجة كبرى ، ودارت العجلة ، غير اننى كنت حريصا على أن أنادى أمام الرئيس الراحل والمشير عامر مع بداية عام ١٩٥٣ ، ولم يكن عمر اسرائيل بلغ خمس سنوات ، وتعاونها متجه الى دول الكتلة الشرقية وليس امريكا كما حدث بعد ذلك ــ ناديت بضرورة تفهم العقلية الأمريكية وأن نستغل الموقف جيدا ، وبدأ الاستعداد لدى الرئيس الراحل لتطبيق هذا الأسلوب ، لكنه وقع تحت تأثير آخرين ، استطاعوا السيطرة عليه نفسيا ... وكانت البداية صفقة السلاح

التشيكى ــ الروسى ، التى أطلقنا عليها « مشروع ناصر » والتسمية من أفكار عبد الحكيم عامر ! .

ولقد قمت بواجبى كاملا بعد ذلك ، وبقيت أعمل ٢٢ ساعة يوميا فى عملية تأمين وصول السلاح الى قواتنا المسلحة ، كنت مسئولا عن مهام التغليف والتحميل بالنسبة للطائرات وبقية المعدات حتى تصل الى قواعدها، ومعى مجموعة من أكفأ عناصر المهندسين وزملائى ضباط مكتب مخابرات الطيران والقوات البحرية ... ثم أصبت بالتهاب رئوى ولزمت الفراش .

لماذا اختاروك .. ؟

● حين حاولوا تجنيدك فى بداية ١٩٥٦ ، للقيام بانقلاب عسكرى ضد الثورة ... من هم أصحاب المحاولة ، ولماذا وقع اختيارهم عليك ، وماذا كان هدفهم ؟ .

ــ فى تلك الأيام من بداية ١٩٥٦ ، كان اتجاه عبدالناصر السياسى قد وضح تماما أمام الفرب ، وعرفت أجهزة مخابرات كبرى فى الدول الغربية ومعها اسرائيل ، أن بعثات عسكرية مصرية تذهب الى الاتحاد السوفييتى ، وان الخبراء الروس أخذوا يأتون الى مصر ، وتسربت أنباء عن الدراسة التى طلبها عبد الناصر عن قناة السويس وامكانيات تأميمها ، فتعاونت المخابرات الانجليزية مع الاسرائيلية فى وضع خطة للاطاحة بالثورة وبحثوا حتى وجدوا ضالتهم ، وكانت « الطيار المصرى القديم حسين خيرى » أحد أفراد الأسرة المالكة ، والذى هرب من مصر بعد ثورة ١٩٥٢ ، بفترة بسيطة وكان

زميلى بمكتب مخابرات الطيران قبل الثورة وبعدها ـ ويعرف عنى كراهيتى للشيوعية ، وعندما التقيت به فى أوروبا فاتحنى فى القيام بانقلاب ، وعرض العديد من المغريات ، ثم قدمنى الى اورد انجليزى اسمه كريترن ، عرفت بعد ذلك انه الرجل رقم « ٢ » فى المخـــابرات الانجليزية ، بعدها التقيت بأعوانهم فى المؤامرة « الأمير محمد عبد المنعم والأمير ناموق ووزير الداخلية السابق مرتضى المراغى » .. وبعدد من الضباط الأجانب ، تبينت بعد فترة انهم من المخابرات الاسرائيلية .

وكما هو معروف وأذيع بعد ذلك ، ولأننى لم أكن بالمتآمر فقـــد عرضت الموضـــوع على الرئيس الراحل عبد النـــــاصر مزودا بمستندات صوتية وفوتوغرافية وكتابية ، ثم وقع العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ، وتوقفت العملية ولكنهم عاودوا الاتصال بى عام ١٩٥٧ ، وسحبت منهم مبلغ « ١٦٢,٠٠ » ألف جنيه ، وكان نصيبى بعد نجاح الانقلاب ٢ مليون جنيه أخرى لم نحصل عليهـــا بالطبع .

ويهمنى أن اذكر هنـــــا شيئا ذا أهمية ، وهو أن عبد الناصر لم يكن بالشيوعى المقنع أبدا ، ولم يقتنع بالشيوعية قط طوال حياته ، لقد وقع تحت سيطرتهم فعـــلا ولـــكنه ظل يرفضهم دائما حتى حين مد يده الى الشيوعيين المصريين ، مدها بهدف استغلالهم فقط ، كذلك عاش المشير عبد الحكيم عامر .

حين أخذ ضباطنا يسافرون الى الاتحاد السوفييتى ، بقى كل من عبد الناصر وعامر حريصا على أن يرافقهم ضباط مخابرات من أساتذة مكافحة البلشفة وغسيل الرأس الشيوعى ، وكانت المخـــابرات السوفييتية تعلم

ذلك ، وتقوم من جانبها بخطط مضادة ، اخطرها خطة لقتل عامر عام ١٩٦٦ ، فى حادث مدبر يبدو كأنه قضاء وقدرا ! .

● ما هى تفاصيل هذه الخطة ؟! .

ـ كان فى رحلة الى الاتحاد السوفييتى ـ ديسمبر عام ١٩٦٦ ، وكنت أرافقه فى الطائرة التى يقودها طيار ممتاز اسمه « دغيم » واعتذر مطار موسكو عن استقبال الطائرة وطلب منا الهبوط فى مطار ليننجراد ، ثم طلبت غرفة المراقبة من الطيار أن يهبط بطائرته قبل ممر الهبوط ، وكادت الطائرة تصطدم بمصنع ضخم لولا يقظة الطيار وقدرته ، اذ استطاع ان يرتفع ثم يهبط فى سلام ! .

ولم نترك هذا الأمر دون حساب ، وقدمنا لهم « الأدلة العملية العلمية » على سوء نية غرفة المراقبة ، واعتذروا باعتذارات ضعيفة وعللوا ما حدث بتسرع الطيار المصرى .. وتأكدنا بعدها من سوء النية لدى القادة السوفييت حتى مرحلة القتل !! ..

وحين علمت بنبأ انتحار عبد الحكيم عامر قلت لمن حولى ، انه ليس بالرجل الذى يقدم على الانتحار رغم قسوة الظروف والمفاجأة ، وليس عبد الناصر بالرجل الذى يقدم على قتله كما قال البعض ، ولم يكن هناك من يجرؤ على أن يتقدم باقتراح التخلص من عبد الحكيم عامر ليحصل على موافقة جمال عبد الناصر ـ لقد قام البعض بدس « السم » فى شراب عبد الحكيم عامر منتهزا فرصة تحديد اقامته باستراحة سرية ، تنفيذا لتعليمات السوفييت . والبعض هذا هم من تحولوا الى الى أدوات فى أيدى المخابرات السوفييتية ورجالها من

الشيوعيين مع بداية الستينات ، وبلغوا مسرح السلطة عام ١٩٦٧ وما بعدها حتى سقطوا فى مايو ١٩٧١ ، انها جريمة متصلة بما حدث عام ١٩٦٦ فى لينجراد .

● قلت للواء طيار متقاعد عصام الدين محمود خليل :

ـ اسمح لى باعتراض ، لقد سمعت كصحفى يعمل فى قطاع القـوات المسلحة منـذ عام ١٩٥٢ ، سمعنا أن ضابطا برتبة لواء عرض على الرئيس الراحل وأمام عدد قليل من الضباط بعضهم أحياء حتى الآن ، أن يأذن له فى التخلص من عبد الحكيم عامر انقاذا لمصر والقوات المسلحة من فتنة كبرى ... ما تعليقك ؟ .

ـ سمعت هذا أيضا ... ولكن بماذا اجاب عبد الناصر على هذا الاقتراح ؟! .

الفصل الرابع :

مليونير مصري ...
يعمل مع الثورة

★ أرشيف سرى من قائد نازى قـديم الى جمـال عبد الناصر .

★ علماء من ألمانيا الشرقية يهربون الى مصر .. من وراء السوفييت ! ..

.. وهرب بعض خبراء ألمانيا الشرقية من سـيطرة السوفييت على بلادهم وجاءوا الى مصر الثورة للتعاون معهـا ... والخبراء الروس حولهم بالقاهرة ... كمـا جاء مليونير مصرى وتعاون مع ثوار يوليو فى تنفيذ أكبر صفقة حربية سرية عرفتهـــــا مصر فى منتصف الخمسينات .. !

لقد ثار عبد النـــاصر على صاحب هذا الاقتراح ، اقتراح التخلص من عبد الحكيم عامر ، وانهى المقابلة ... وربما مناخ الهزيمة هو الذى جعل عبد الناصر مترنحا ضعيفا غير قادر على طرد مثل هذا الضابط من الخدمة ، بل وسجنه أيضا .

● قلت له : نعود الى سابق حديثنا بعد وصول معدات صفقة السلاح الأولى مع السوفييت ، وتفاصيل المؤامرة التى كشفت عنها ... ماذا حدث بعد ذلك ؟ .

ــ وقع العدوان الثلاثى ، ثم قامت الوحدة بين سوريا ومصر فى بداية عام ١٩٥٨ ، وكان لروسيا مخـاوفها فراوغت وتلكأت فى ارسال قطع غيـــــار الطـائرات والدبابات ، ثم تجاهلت مطالب قواتنا المسلحة تماما ، كأسلوب ضغط سياسى ، وناقشت القيادة العليـــــا السياسية والعسكرية فى القـــــاهرة هذه الأوضاع المفــاجئة ، ووقعنـــا فى حيرة تبينتها جيدا فى لقاء مع الفريق أول محمد صدقى محمود قائد القـــوات الجوية وذلك فى نهاية عام ١٩٥٩ ، عندما قال لى أن لديه « ٥٩ طائرة » معطلة فى حاجة الى قطع غيار فقلت له اننى كفيل باحضارها من الغرب ، ووضعت خطة طويلة الأجل تتضمن تصنيع موتورات الطائرات والدبابات فى بلادنا ، بعد الحصول على قطع الغيار العـــاجلة من مصانع دول

غربية مختلفة ، كي تعود الطائرات المعطلة الى كفاءتها .

وعرضت الخطة على المشير عبد الحكيم عامر ، الذى عرضها بدوره على الرئيس جمال عبد الناصر ، ووافقا عليها فى مواجهة ضغط السوفييت واحتمالات تصعيده ضدنا .

أترك هنا اللواء عصام خليل قليلا ، لأعود الى معلوماتى القديمة ، ولأسرد قصة البداية وأحداثها المثيرة ...

لقد اقترح عصام خليل على القيادة ومن خلال رحلاته المتعددة الى دول غرب أوروبا كضابط مخابرات ، أن نتعاون مع مكتب خبرة فى النمسا يعمل فى هذا المجال ويديره رجل اسمه « البروفسور ليست » .

وكان « ليست » قد تعاون مع كوريا الشمالية سرا ومدها بالموتورات اللازمة للدبابات السوفييتية الصنع ، عندما توقفت روسيا عن تقديم قطع الغيار لكوريا عقابا لها لموقفها المؤيد للصين الشعبية ، كما اقترح أيضا أن يفوض للاتفاق فى الخارج مع مجموعة من العلماء والخبراء الألمان وبعضهم يعيش فى ألمانيا الشرقية — ولكنهم يودون الهرب ويرحبون بالعمل فى مصر وعلى استعداد لتقديم تصميمات خاصة لطائرة نفاثة جديدة تصنع فى بلادنا وتصميمات أخرى لصواريخ مصرية متعددة المهام ...

وسافر عصام خليل الى أوروبا وآسيا ، ومارس نشاطه فى ألمانيا الغربية والنمسا وسويسرا والهند ، والتقى فى النمسا « بالمليونير المصرى حسن كامل » والمشرف على مصانع أورلكون السويسرية لصناعة الذخيرة والسلاح ، ولم يكن هذا لقاءهما الأول ، فتعاونا معا فى الاتفاق مع مجموعة من الخبراء الألمان مقابل عمولة

كبيرة يتقاضاها المليونير المصرى الذى يعيش منذ طفولته مع أمه السويسرية فى زيورخ .

« وللمليونير « حسن كامل » قصـــــة مع مصر تدور فصولها فى منتصف الستينات ثم منتصف السبعينات ، سنتعرض لها مع تسلسل أحداث هذا الكتاب » .

●● قال لى المرحوم اللواء متقاعد عصام الدين خليل :

ـ فى ألمانيا الغـــــربية التقيت بأستاذ الصواريخ « سانجر » وهو أحد رجال « فون براون » أبو الصواريخ الذى عاش فى أمريكا بعد الحرب العـــالمية الثانية ، وقدمنى الى عالم آخر اســـــمه « بيلز » من أساتذة الصواريخ أيضا ، وكان قد تعاون مع الحكومة الفرنسية فى صناعة صواريخها خلال الخمسينات ، واتفقت مع خبير محركات آخر اسمه « براندر » التقيت به عن طريق حسن كامل فى النمسا ـ وبراندر هــذا ظل ١٢ عاما معتقلا فى الاتحـــاد السوفيتى بعد الحرب الثانية ـ واتفقنا على العمل فى مصر ... وفى الوقت نفسه ، كنت قد نجحت مع مجموعة قليلة من أكفأ رجالى فى الاتصال بعدد كبير من علمـــــاء الصواريخ وموتورات الطائرات النفاثة ممن يعيشـــون ويعملون تحت سيطرة السوفييت فى ألمـانيا الشرقية ، وبوسائلنا اتفقت معهم سرا على الطيران الى القـــــاهرة ، وسهلت لهم كل الاجراءات فى شكلها المشروع وأبرمت معهم العقود ... ولم ينس لى السوفييت أبدا ما فعلت !! .

وجاءت اول مجمـــوعة من الخبراء الألمان ، وبدات الخطوات الجادة فى خطوط الانتاج ، كنا نسبق الزمن ، ونتجاوز أخطر العقبات والعراقيل ومن بينها الروتين الحكومى ! .

اعود هنا مرة اخرى الى اوراقى القديمة انقل عنها هذه المعلومات :

كان الانفصال السورى قد وقع فى نهاية سبتمبر ١٩٦١ ، وأرادت الدولة تعويض ما حدث ، فأصدرت عدة قرارات بهدف دفع مشاريع الصواريخ الاستراتيجية والطائرات النفاثة الى مراحل أكثر تقدما ، كى يمكنها الاعلان عنها أمام الراى العام العالمى ، فتضيع آثار الانفصال السياسية لدى العالم ، وهذا ما حدث فى بداية عام ١٩٦٢ ، حين دعا الرئيس الراحل عددا من الملوك والرؤساء العرب ، وممثلى الصحافة العالمية لمشاهدة أول صواريخنا « الظافر » أثناء انطلاقه وسط حملة اعلامية دعائية ضخمة !

● فى تلك الفترة كان الطيار عصام الدين خليل قد ترك منصب مدير مخابرات الطيران الى منصب مدير مكتب نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة للمشروعات الحربية الخاصة ، وقد أسندت اليه بجانب هذه المهمة رئاسة مكتب مخابرات الأبحاث العلمية والصناعية العسكرية ، وتكتيكاتها الفنية وتشمل الطاقة الذرية .

وصدر قانون خاص بها ، وفوض عبد الحكيم عامر فى اختصاصات رئيس الجمهورية بالنسبة لهذه المشروعات فنيا وماليا وقياديا ، كما صدرت قرارات بعد ذلك للمشير عامر بفتح اعتمادات مالية فى الخارج باسم كل من عصام خليل ، والمليونير المصرى حسن كامل ، واحدى شركات القطاع العام ، يتم باسمها شراء المعدات الالكترونية اللازمة لهذه المشاريع ، والحق بهذه القرارات قانون جديد آخر يحرم على الجهاز المركزى للمحاسبات فحص ماليات هذه المشاريع ، أو فحص ميزانية وزارة

الحربية أو القيادة العامة للقوات المسلحة ، وقد ألغيت هذه القوانين بعد النكسة .

من أعطاك التعليمات ؟

أعود الى اللواء طيار عصام خليل ...

قال لى الرجل :

ــ فى البداية ، بدأنا بالطائرة الكبيرة الأنتينوف روسية الصنع وهى طائرة نقل بها ٤ محركات ، رفعت واحدا منها ووضعنا بدلا منه محركا صناعة مصرية ، وطارت الطائرة (١٥٠) ساعة وهو رقم قياسى ، وأثبت المحرك المصرى كفاءته ، غير أن الخبراء السوفييت وزملاءهم من الطيارين الذين كانوا يقودون بعض هذه الطائرات انزعجوا ، وسألنى قائدهم :

ــ من الذى أعطاك التعليمات باستبدال المحرك ؟ .

فقلت له : « قائدى هو وحده صاحب الحق فى طرح هذا السؤال ، وأرجوك أن لا تنسى ان هذه الطائرة ترفع العلم المصرى » .

وأرادوا بعد ذلك أن يعودوا الى موسكو ومعهم المحرك المصرى لاختباره هناك ، فرفضت وأيدتنى القيادة العليا .

● واستطعنا بعد ذلك انتاج الموتور الفرنسى المخصص لطائرات التدريب « ماروبريه تروبيكا ٤ » وكان الفرنسى يصاب بشروخ فى كثير من الأحيان ، بينما الموتور المصرى تجاوزها بكفاءة عالية ، ولقد غضبت القيادة الفرنسية ودخلنا فى مفاوضات انتهت بأن اشترت منا باريس « ١٥٠٠ موتور » مع بداية عام ١٩٦٧ ، كما طلبت الهند شراء هذا الموتور أيضا !! .

● وما بين ١٩٦٢ حتى نهاية ١٩٦٣ ، كنا قد أنتجنا الصاروخ « الظافر » ومداه بلغ ٦٠٠ كيلو متر ، وقبل الظافر كنا قد أنتجنا « القاهر » ومداه بلغ ٥٦٠ كيلو مترا ، ثم عملنا فى صاروخ ثالث تحت اسم « الرائد » ، ومداه كان سيبلغ ١٥٠٠ كيلو متر ، واستمرت التجارب والاختبارات وتوقفت مع بداية ١٩٦٦ ، حين أصبحنا بلا ميزانية مالية ! .

● وعندما جاء الرئيس الراحل ومعه ضيوفه ، اطلقنا ثلاثة صواريخ باقتدار وكفاءة ..

● واستطعنا أن ننتج مدفعية صاروخية للطائرات « ١٣٨ مللى » ، ومدفعية صاروخية مضادة للمدرعات ٨٣ مللى ، وطلبت حكومة النمسا شراء صواريخ المدفعية الميدانية .

● واقمنا مصنعين لانتاج بودرة المفرقعات ولصناعة الصلب الخاص المستخدم فى انتاج المدرعات والسفن ، وانتى أذكر باتشكر زوج ابنة الرئيس الأسبانى الراحل « فرانكو » الذى اشترى لنا معدات مصنع البودرة من بلجيكا باسم اسبانيا ، وأحد علمائنا المصريين « الدكتور أحمد عيد » الذى درس فى فرنسا ، وجاء الى احد مصانعنا الحربية وأجرى تجاربه فى انتاج الصلب المصرى ، وانتج فى النهاية نوعا ذا معدلات أرقى من قرينه البولندى ، ثم اقمنا المصنع .

● وقمنا بانتاج النابالم المصرى ، والألغام المصرية متعددة المهام .

● وأنتجنا بعد طائرة التدريب القاهرة ٢٠٠ - طائرة نفاثة مقاتلة وهى القاهرة ٣٠٠ ، وكان عبد الناصر سعيدا بها كل السعادة حين طارت أمامه بواسطة طيارى

الاختبار وقامت ببيان عملى ، وطارت بسرعة الصوت مرة ونصف ، وكانت هناك تعديلات لكى تطير بسرعة ٢ر٢ من الصوت ..

وأذكر بكل الاكبار والخشوع أحد طيارى الاختبار من نسورنا الطيارين ، وهو أول من طار بالنفاثة المصرية القاهرة ٣٠٠ ، أنه « البطل الشهيد زهير شلبى » من طيارى الاختبار ، طار واختبر أكثر من أربعين طائرة مختلفة الجنسية قبل ١٩٦٤ ، وفى ٥ يونيو ١٩٦٧ كان باحدى قواعدنا الجوية ، يقضى أجازة بين رفاق السلاح ، ولم يتردد فى الاشتراك مع زملائه فى المعركة الجوية ، وقاد طائرته الميج ٢١ واشتبك مع العدو ، وظل يقود معركته حتى نفد وقوده وانفجرت به الطائرة .

● وأقمنا معملا لتحليل المعادن الخاصة بصناعة الطائرات يضارع أحدث معامل أوروبا ، وقد هدموه بالبلدوزرات عام ١٩٦٩ ، تقربا من السوفييت !.

●● سؤال : هل كان للسوفييت كل هذه السطوة ؟!

ـ نعم كانت لهم سطوة ونفوذ الى ما بعد ١٩٦٧ ، حتى انهم كانوا يصدرون الأحكام على الضباط الوطنيين الذين يرفضون الانصياع الى أوامرهم بالابعاد ، أو الاعتقال ، وكثيرا ما قدموا تقاريرهم الى القيادة السياسية العليا ممثلة فى الرئيس الراحل أو المشير عبد الحكيم عامر يتهمون فيها ضباطا فى مراكز قيادية ، بل فى مكتب عبد الناصر نفسه أو مكتب عبد الحكيم عامر ، بالتآمر على التحول الاشتراكى المصرى ، أو التآمر على التعاون السوفييتى المصرى العسكرى ، ويكون لهؤلاء الضباط أو المدنيين وجهة نظر معادية للشيوعية نابعة من تمسكهم بدينهم وليس من المخابرات الأمريكية كما يقولون ،

وبعضهم بدافع الغيرة على مصر ومقدراتها ، كأن يعلن وجهة نظره ، فيكون جزاؤه الاعتقال أو المحاكمة أو الطرد من الخدمة !! .

● ولماذا لم يحاولوا معك ، وأنت المعروف بعدائك للشيوعية ، وتحتل منصبا قياديا ؟! .

ــ ومن قال انهم لم يحاولوا معى ... أحد الجنرالات السوفييت حاول دق « أسفين » فى علاقتى مع عبد الناصر وعامر ، جاء وأجرى معى حوارا حول نشاطنا فى تصنيع الموتورات ، وحول تدريب الطيارين الهنود وقد كان لدينا ما يقرب من ٢٠٠ طيار هندى وخبير ، يتدربون لدى قواتنا الجوية ويتعاونون معنا تنفيذا لاتفاقية سرية أجريتها فى الهند مع الرئيس الراحل جواهر لال نهرو وقادته العسكريين ، ومعى سفيرنا السابق فى الهند ، مقاتل المدفعية القديم أحمد حسن الفقى ، واذا بالجنرال الروسى نقول لى :

ــ لماذا لا تنفذ أوامرى ؟ .

ــ لأنك لست قائدى ، ولا أتلقى منك الأوامر ! .

● فعاد يقول : هل تحب أن أجعل المشير عامر يصدر لك هذه الأوامر ؟ .

● وفى غضب قلت له : ليس المشير عامر قائدى .

ــ وما رأيك فى الرئيس ناصر ؟ .

ــ ليس قائدى هو الآخر ! .

ــ من قائدك اذن ؟ .

ــ أنا قائد هذا العمل ، وأقوم بتنفيذ ما تمليه على واجباتى نحو بلدى وجيشى ! .

● وقبل أن ينتهى اليوم ، حدثنى المشير عامر تليفونيا ضاحكا قائلا :

ـ انني أتقبل ما تقوم به وما تقوله عنى لأننى أعلم انهم استفزوك ، ولست بغاضب منك ، ولكن كيف تقول عن عبد الناصر ما قلته للجنرال السوفييتى ، ان الرئيس غاضب ويطلبك حالا للقـــائه ، اذهب فورا اليه وعالج الموقف معه بهدوء .

وذهبت الى عبد الناصر ، ورويت له ما حدث حرفيا ، لم أكذب ولم أخشاه ، وليس معنى ذلك أننى لا أحترمه ولقد رأيته دائما يحترم من يحترم كرامته ووظيفته دون زيف و نفاق و لجوء للكذب والتحـــايل ، وكان غاضبا بعض الشيء ، وفى النهاية قال لى :

ـ لقد تفهمت الموقف الآن ، وحاول أن لا تصطدم بهم انك تعرف موقفهم منك ، واننى لن أضحى بك ، ليس مجاملة لك بل لماضيك وأسلوبك فى العمل .

● هل كان عبد الناصر يستمع لوجهة النظر الأخرى أو الرأى الآخر حتى فى حالات غضبه ؟ .

ـ نعم كان هو هذا الرجل ، وأنا أقول كلمتى صادقة منصفة ، رغم انه هو الذى أمر باعتقالى ، وترك بعض رجاله يدفعوننى الى الموت اهمــــــالا لى بعد عمليتين جراحيتين خطيرتين وفى الوقت نفســـــه كنت مصابا بالسكر ، وأسرتى لا تعرف عنى شيئا ! .

ولـكنه مناخ الهزيمة ! .

● وأذكر انني ذهبت اليه منذ ربع قرن مضى في يونيو ١٩٥٣ ، حين تقرر أعلان النظام الجمهورى وقلت له : « دعنى أقولها بصراحة أمامك كضابط في الجيش المصرى ـ لا ـ للنظـــــام الجمهورى ـ على الأقل لفترة طويلة قادمة ـ ولم يغضب ولم يعمل على احالتى للتقاعد ، بل ناقشنى وقال أنه يحترم اعلانى لرأيى بهذا الصدق وهذه

الصراحة ومن يومها كان يشعرنى دائما بمكانتى لديه .

● وفى عام ١٩٦٣ ، وأعتقد ان السوفييت كانوا قد بدأوا سيطرتهم عليه نفسيا من مدخل حماية التحول الاجتماعى التاريخى الذى يقوده فى مصر والمنطقة بأكملها ، كما كانوا قد نجحوا فى ابعاد عدد ليس بقليل من القادة عسكريين ومدنيين عن مواقعهم ـ تقدمت باقتراح اليه يتضمن وضع خطة اعلامية خاصة لاقامة رأى عام بين أعضاء الكونجرس الأمريكى بهدف تأييدنا ، وكانت هذه الخطة ستتكلف مائة ألف جنيه فقط ... ولقد رفض الاقتراح ولم يتهمنى بأننى عميل للأمريكان رغم علمه بأننى عدو للشيوعية ، كما انه لم يطلب منى أن أتعاطف أو أقترب من اليسار فى أى مكان على الاطلاق .

●

نعود الى صناعة الصواريخ والخبراء الألمان وما جرى لهم معنا ومع المليونير حسن كامل ... ماذا حدث عام ١٩٦٤ ؟ .

ـ قبل ذلك بعام ، كنا قد سبقنا فرنسا بعامين فى صناعة الطائرات النفاثة والصواريخ ، واهتزت اسرائيل ، وأخذت ترسل المواد المتفجرة الى الخبراء لارهابهم وحملهم على العودة لبلادهم ، بدأت اسرائيل بالخبير بيلز ، وكانت سكرتيرته تصر على استلام الرسائل التى ترد اليه دون أن يفتحها رجال الأمن فى مكتبى ، وشرحنا لها خطورة مثل هذا الاجراء ولكنها صممت على تحقيق رغبتها ، فأصابها لغم انفجر مع فتح مظروف أحد هذه الرسائل ، وكان البعض يتلقى الهدايا أو الرسائل باليد عن طريق القادمين من الخارج ، دون أن يرسل بها الينا تنفيذا لتوجيهات التأمين والحماية .

لقد جمعت ثلاثة كتب أوربية صدرت ما بين ١٩٤٤ و ١٩٦٤ ، تتحدث عن ضرورة مطاردة العلماء الألمان الذين عملوا مع هتلر ، وجاء ذكرى فى بعضها ، بصفتى جامع هؤلاء الخبراء ، ولكنهم لم يتوصلوا الى حقيقة اسمى أو وظيفتى الحقيقية ، وكانت هذه الكتب ترسم خطة التخلص من علماء وقادة هتلر ، الذين بقوا على قيد الحياة حتى الستينات ، وتعاون بعضهم معنا .

●● سمعنا بعد قصة الطرود الناسفة أن بعض الخبراء فر هاربا والبعض بقى ثابتا شجاعا ، الا أن « حسن كامل » طالب بمرتبات مضاعفة لمن بقى منهم فرفضتم طلبه ، وتعاقدتم رأسا مع الخبراء ، مما جعله يعدل عن ارسال التعهدات التى حصل على أثمانها مقدما كقطع الغيار وغيرها من المعدات ، وقد بلغت ستة أرقام من الجنيهات بالعملة الصعبة ، فأقمنا دعوى قضائية ضده فى الخارج ، لم يتقرر مصيرها حتى الآن ، ثم سمعنا أن الرجل المليونير حسن كامل، أوكل أحد المحامين المصريين لكى يتقدم ضدكم ببلاغ فى عام ١٩٧٥ يتهمكم فيه بتعذيب موكله عام ١٩٦٦ ... ما هى الحقيقة ؟ .

ــ حدث هذا فعلا ، وشرحت للنيابة اننى استدرجت الرجل حتى عاد الى القاهرة ، وتناقشنا حسابيا وحفاظا على سمعته العالمية وقع اقرارا بما لديه ، استخدمته الدولة فى الدفاع عن أموالها .

وفى لقاء آخر مع اللواء طيار عصام الدين خليل ، تحدث عن الخبراء الألمان ، والدور العظيم الذى قاموا به تعاونا مع مصر :

ــ فى احدى رحلاتى الى أوروبا تعرفت بخبير المانى من خبراء الأرشيف السياسى فى المانيا النازية كان برفقة

زوجته ، ودعوتهما لزيارة القـــــاهرة بعد أن توطدت صداقتى بهمـــــا ، وأحسست بحبهما الـكبير لمصر وقائدها ، فقدم لى أرشيفا هائلا كان قد استطاع الهرب به قبل نهاية الحرب ، يضم تاريخ كل الشـــخصيات اليهودية الكبيرة فى العالم وتصنيفا لها ، بل ضم هذا الأرشيف الشخصيات المسيحية ذات الأصل اليهودى ومنهم مثلا الرئيس الأسبانى الراحل فرانكو ، وأخبرت عبد الناصر بقصة هذا الأرشيف فقال انه كان يفكر فى اعداد مثيل له ، وان « سامى شرف » حصل على ٦٠ الف من الجنيهات للانفاق على جمع مواده .

وحملت الأرشيف الى الرئيس الراحل ، وبعد انصرافى وجدت سامى شرف فى انتظارى ليعاتبنى قائلا :

ــ الم يكن من الأوفق أن أمر عليه أولا لمناقشة موضوع هذا الأرشيف قبل أن يعلم به الرئيس عبد الناصر ؟! » .

● واستفزنى قوله فقلت له : « عزيزى سامى : هناك من يمر عليك قبلا ، ولست أنا هذا الرجل » .

● ولقـــد حدثنى صلاح نصر تليفونيا وعاتبنى عتابا رقيقا ، ولم أهتم بهـــذه الملاحظات والصراعات الدائرة حولى ، ومضيت فى طريقى مع رجالى نحقق المشروعات الطموحة ، ولكن مفاجأة كبرى كانت تنتظرنى ، مفاجأة أشبه ببولدروزر ضخم يهـــدم كل ما حققناه من أعمال ايجابية ، وكانت هذه المفاجأة القـــاصمة خلف تساؤل الجماهير عن الصواريخ « الظافر والقاهر » وأين كانت فى معركة يونيو ١٩٦٧ ؟! .

الفصل الخامس :

تهديد لعبد الناصر بنفيه في يوغسلافيا

★ برلنتى وعبد الحكيم عامر ..

★ من قمة السلطة الى مسرح السجن الحربى ! ..

★ الاتصال السرى باسرائيل عام ١٩٦٦ ..

واتصلت اسرائيل سرا عام ١٩٦٦ بالمشير عبد الحكيم عامر ! ..

فماذا حدث ؟ ..

وكيف جرى الاتصال ؟ ..

وما هو الهدف ؟ ..

كانت المفاجأة القاصمة التى أوقفت صناعة الأسلحة الاستراتيجية المصرية فى عام ١٩٦٥ ، هى الفـــــاء اعتماداتها المالية ، أى أنها أصبحت بلا ميزانية ! .

وبدأت أولى مراحل تجميد المشروعات الطموحة ..

ولقد سبق هذه المفاجأة نشاط ضخم بذله عدد كبير من قادة الاتحاد الاشتراكى وطليعة الاشتراكيين كما كان يطلق عليهم — من بين أعضاء التنظيم الطليعى السرى، ومن رئاسة الوزارة ورئاسة الجمهورية ، للكف عن التعاون مع الغرب عسكريا ، والعـــودة الى السلاح السوفييتى ، حرصا على صداقتنا مع موسكو وحليفاتها ، وعلى تطوير حجم التعاون مع الاتحاد السوفييتى ! .

● وبرر أصحاب هذا النشاط ، ممن كانوا يرددون فى الحقيقة أفكار سادتهم فى موسكو ، ويعملون على تطبيق مخطط هؤلاء « السادة » فى القـــاهرة ، برروا وجهة نظرهم بأن دولة مثل المانيا الغربية أو أى دولة غربية أخرى لن تسمح لمصر باقامة صناعة موجهة ضد اسرائيل ، وأن أسرار هذه الصناعة ستصل أولا بأول الى العدو ، فاذا أوقفنا هـــذا العمل سنحت الفرصة امامنا للحصول على مزيد من السلاح السوفييتى المتطور .

ووجد هذا الكلام قبولا لدى الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بالدرجة الأولى ، ولدى المشير عبد الحكيم عامر أيضا ...

● هناك من برر موقف عبد الحكيم عامر المؤيد لوقف التعاون مع الغرب بأنه كان مرغما على القبول أمام ضغط السوفييت وضغط الرئيس الراحل ! .

● وقال آخرون ممن اقتربوا من القمة أن الرجلين « ناصر وعامر » وقعا فى كمين موسكو خلال هذه المرحلة بالذات ما بين ١٩٦٢ و ١٩٦٦ ، وحين كان عبد الناصر يحاول الافلات من الشباك ، تصل اليه التهديدات غير المباشرة من عامر بابعاده الى يوغوسلافيا وبمعنى أوضح نفيه الى بلغراد ...

ويقال ان عبد الناصر كان يصاب بالخوف حقيقة حين تبلغه هذه التلميحات عن طريق رجال عبد الحكيم عامر ، أو شمس بدران ، لأنه كان على ثقة من جدية هذا التهديد وامكانيات عامر فى تنفيذه وترحيب السوفييت بمثل هذا العمل الذى سيسهل لهم السيطرة الكاملة على قائد مثل « المشير » وتصبح مصر أمامهم مدينة مفتوحة ! .

تعليمات وليست رغبات !

كانت المصانع قد أنتجت عددا من الطائرات المصرية النفاثة المقاتلة ــ القاهرة « ٣٠٠ » واذا بقيادة القوات الجوية تلبية لرغبة السوفييت ترفضها بحجة تخلفها الفنى . ودخلت الطائرات التى تكلفت ملايين الجنيهات الى المخازن ! .

● قال لى احد خبرائنا : حتى هـذا التخلف كان بالامكان معالجته وتشغيل الطائرات بدلا من تكديسها فى المخازن وكأنها كهنة ... ولكنها تعليمات السوفييت وليست رغبة السوفييت ! .

● والغريب فى الأمر الذى يستحق أكثر من وقفة بالشك والريبة ، اننا نفذنا تعليمات أو توجيهات السوفييت فى الوقت الذى فقدت فيه القيادة العامة للقوات المسلحة وقيادة القوات الجوية رأيها فى تحديد أنواع الأسلحة التى تحتاجها أفرع القوات جوا أو برا أو بحرا ، وكانت موسكو ترسل ما يراه خبراؤها فقط من سلاح ! .

● الطائرات المقاتلة أو القاذفة المقاتلة كلها قصيرة المدى لا تغطى الوصول لأهداف العدو الحيوية ــ وكل محاولة قمنا بها لزيادة مداها ستكون بالضرورة على حساب تسليحها ! أى زيادة فى الوقود تنقص من حجم الذخيرة .

● الطائرات القاذفة كانت تملك المدى الطويل ولكنها فى حاجة الى حراسة المقاتلات ، ومقاتلاتنا مداها قصير ! .

واذا قامت القاذفات بالمهام الهجومية دون مقاتلات أمكن اصطيادها بسهولة لحركتها البطيئة ! .

● الصواريخ « سام ٢ » فقط ، والح قادتنا فى طلب الحصول على صواريخ أرض ــ جو بعيدة المدى ، وصواريخ قادرة على التعامل مع الطائرات التى تطير على ارتفاعات بسيطة ، فلم تصل الا عام ١٩٦٩ ، ومع وصول قوات احتلالها العسكرى للقوات المسلحة المصرية ، وهو ما عرف تأدبا بالخبراء السوفييت ! .

● اجهــزة الرادار التي وصلتنا كانت من معـــدات الحرب العالمية الثانية ، لا تحقق أى نتائج رادارية فى كشف الطائرات التى تطير على ارتفاعات منخفضة ، كما حدث صباح ٥ يونيو ١٩٦٧ ، المشئوم ! .

● قطع الغيار التى كانت تصل بانتظام هى الموجودة لدينا بو فرة لأنها لا تستهلك عادة الا بعد استخدام طويل المدى والزمن ! .

● هذه أمثلة من قطاع الطيران ، ومثلهـــا كثير فى القوات البرية والقوات البحرية ، وما حدث بعد ٦٧ ، وبالتحديد فى ١٩٦٩ ، يستحق أكثر من وقفة ! .

● ولكن ثمة تساؤلا يبرز هنا ... لماذا انصعنا هذا الانصياع ابتداء من عام ١٩٦٤ ، وســـلمنا للاتحـــاد السوفييتى مقدراتنا العسكرية يفعل بها ما يشاء ولنا معه تجربة محفورة فى تاريخ قواتنا المسلحة عام ١٩٥٩ ، وهى التى جعلتنا نتجه للغرب مرة ثانية عام ١٩٦٠ .

● لقد بات واضحا منذ منتصف الستينات وبعد أن زحف اليســـاريون المرتبطون بموسكو نحو مناصب الدولة ومرافقها ، وبعد أن سيطر الفكر اليسارى على القيادة السياسية العليا ، ولا نقل ايمانا أو اعتناقا ، بل سلوكا ظاهرا ، بات واضحا أن الاتحاد السوفييتى يحاول السيطرة على القوات المسلحة المصرية وتشكيلاتها ليحقق سيطرته الكاملة على البـــلاد بعد ذلك مصيرا وقيادة ، يعزل من يشاء ويضع بدلا منه من يشاء من الأعوان والأبواق ... ورغم وضوح هذه الرؤيا وقـدرة أى مواطن صاحب فكر سياسى بسيط على فهم مدلول السيطرة الروسية وامكان تصاعدها ، الا أن القيـادة

العليا السياسية وخلفها القيادة العسكرية تجاهلت هذا كله !! .

● لماذا .. ؟ بل عشرات « لماذا » ؟ .

وتبقى « لماذا » هذه تتردد باستمرار طوال ما بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ ، ويرتفع صداها ليصل الى كل مكان ويستمر هذا الموقف ـ وهو ما سنعود اليه فى نهاية هذا الكتاب ـ يستمر الى ما بعد وفاة عبد الناصر ـ حتى خروج قوات الاحتلال السوفييتى ، قبل نهاية ١٩٧٢ ! .

مطلوب للذبح .. !

نعود الى حديث الصواريخ الاستراتيجية ، وما حدث لها من الغاء ميزانيتها المالية عام ١٩٦٥ ، وقائد هذه المشاريع حتى أغسطس ١٩٦٧ ، اللواء متقاعد طيار عصام الدين محمود خليل ...

● قال لى الرجل وهو يستعيد أحداث الستينات :

ـ لم نتوقف واخذنا نعمل بما نملكه من فائض فى الاعتمادات القديمة ، بأمل أن نسترد امكانياتنا السابقة، ولم يكن أحد ليصدق ان مثل هذه الصناعات يمكن أن تلقى بها خلفك وكأنك تلقى بصحيفة فرغت من قراءتها ... دفعت فيها قبلا ملايين الجنيهات !

●● وذات يوم دعانى المشير عامر لأرافقه فى رحلة الى موسكو ، وكان معنا المرحوم الفريق أول سليمان عزت قائد البحرية وعدد من القادة ... ولم أعرف اننى مطلوب « للذبح » فى روسيا الا بعد أن طلب منى المشير عامر أن أحضر اجتماعا مع السوفييت برأسه نائب

رئيس الوزراء للعلاقات الخارجية « سيمون سكاتشكوفك » .

وذهبت الى الاجتماع وفوجئت بأننى وحدى دون الوفد المصرى ، بين ما يقرب من ستة أشخاص من المسئولين السوفييت عسكريين ومدنيين ورئيسهم « سيمون » .

وقال لى رئيس المؤتمر : نريد أن نناقشك .

قلت : تفضلوا .

وتكلموا عن الصواريخ السوفييتية وجدواها ثم سألنى أحدهم :

ـ لماذا تقوم بصناعة الصواريخ المصرية ونحن نمدكم بصواريخنا ؟ .

● قلت له : سأتجاوز عما تجاوزه السؤال ، وسأقول لك انها سياسة مصرية ، وخطة مصرية تعد فى القاهرة ، وليس فى موسكو .

عاد رئيسهم يقول : والطائرات ... انت تقود صناعة طائرات مصرية جديدة .. لماذا ؟ .

● وعدت أكرر اجابتى الأولى عليهم .

وارتسمت علامات الغيظ والغضب على وجه رئيس المؤتمر ، وتكلم دون أن يسيطر على انفعالاته قائلا :

ـ لقد حصلت على قطع غيار من مصانع غرب أوروبا لطائراتنا السوفييتية ، وهذا عمل غير مشروع وغير قانونى ... ماذا تقول فى ذلك ؟ .

● وقلت له : سأشرح لك شيئا ربما تجهله ، سأشرح لك الفرق بين الطيران المدنى والطيران العسكرى ..

ان الطائرات العسكرية ليست دولية ولا تلتزم الا بقوانين قواتها المسلحة ، عكس الطائرة المدنية الملتزمة باتفاقية دولية ، ومن هنا ستجدنى أفعل فى أى طائرة تملكها قواتى المسلحة ، قواتى المصرية ، ما نشاء من تعديلات وتطويرات وفق مصالحنا نحن .

ثم اسمحوا لى بسؤال ... لماذا هذا الحوار الآن عن عمليات تمت بها منذ ست أو سبع سنوات مضت ؟ ألم يكن باستطاعتكم الاستفسار عن هـذا الأمر فى حينه ؟! .

● ودفنوا وجوههم فى الملفـات المفتوحة أمامهم ، ولاحظت ملامح الانفجـار فى نظراتهم ، واذا « بالسيد سيمون » يقول صارخا باللغة الانجليزية :

ـ لقد سرقت رجالنا ، سرقت خبراءنا كيف سمحت لنفسك بأن تفعل هذا ؟ .

● وللحقيقة لم أغضب كرد فعل ، بل كتمت ضحكة كادت تفلت منى ، وفى أقل من ثانية سـيطرت على حواسى ، وقلت لكاتب الجلسـة وأنا أقف غاضـبا والكلمات تنطلق من فمى كالقذائف :

ـ سجل هذا باللغة الروسية وباللغـة الانجليزية فى محضر الاجتماع لكى أستطيع محاسبة السيد سيمون لدى رؤسائه على ما فعله اليوم معى :

ـ كيف تتهمنى بالسرقـة ؟ وكيف تصف رجالا من علماء ألمانيا بأنهم رجالكم ؟ هل كانوا أسرى لديكم ؟! لن أسمح لك بذلك ، انتهى الاجتماع يا سيد سيمون .

● وغادرت الحجرة ، وهم فى حيرة وارتباك شديد ،

وذهبت الى المشير عامر أروى له ما حدث ، فضحك قائلا :

ــ « انهم لن ينسوا لك أبدا ما فعلت ، ولقد تركتك وحدك لهم ، لعل نار غيظهم تهدأ قليلا بعد أن ضقت بالحديث عن هذه العملية طوال سبع ســـنوات ، وانا أستمع الى هذه القصة فى كل لقاء معهم » .

●

ذهبت الى حجرتى طلبا للنوم ، وقد أيقنت اننى أنطح رأسى فى الصخر ، وأن مشروعاتى الطموحة من أجل قواتنا المسلحة قد أصبح عليها السلام ، وان مصر كما كان لها سادة يحتلون أرضها فى الأربعينات من الانجليز ، أصبح لها سادة جدد فى الستينات من السوفييت .

ولم أنم ليلتها كمدا وغيظا .

برلنتى تلخص الكتب !

وعدنا الى القاهرة ، وقبل أن ينتهى عام ١٩٦٦ ، كان صاحب الرؤيا الواعيـــة يستطيع أن يرى بوضوح أن التسوس أصاب القيادات العليـــا كلها ! .

● اسمح لى بسؤال : ألم يكن المرحوم المشير عامر فى تلك الفترة ، قد تزوج من «الممثلة برلنتى عبد الحميد» سرا ؟ .

ــ نعم حدث ذلك ، ولقد دعانى أكثر من مرة لتناول العشاء معهما فى بيتهما بالهرم ، ثم أجده يسألنى على انفراد ما رأيك فيها ؟ .

ولم يكن ينتظر اجابتى ، فيجيب علي سؤاله قائلا : اليست أكثر من رائعة ؟! .

لقد فتن بها ، والمرحوم المشير عبد الحكيم عامر لم يكن له حياة خاصة فى شبابه ، ولذلك عندما التقى بهـا كانت بالنسبة له كالبحر حين يسبح قارب صغير فوقه ... وسأروى لك قصة قصيرة لترى كيف امتلكته عقليا وعاطفيا ...

كان يستعد للسفر الى فرنسا ، ولقاء القادة الفرنسيين سياسيين وعسكريين ، وعلى رأسهم جنرال ديجول ، والتقيت به ليحدثنى عن الرحلة ، ويطلب منى أن أستعد للسفر معه فوجدت بين يديه ست أو سبع ورقات من حجم الفولسكاب يقرأ فيها باهتمام شديد ، واستفسرت منه ... ما هذا ؟ فقال لى بصراحته المعروفة عنه بين أصدقائه :

ـ « كل ورقة هى ملخص لكتاب هام عن فرنسا ، أصدره واحد من مشاهير الكتاب الفرنسيين ، « برلنتى » لخصتهم من أجلى حتى أتحدث فى هذه الكتب ، حين التقى بديجول أو غيره ، فأبدو قارئا جيدا للكتب الفرنسية المميزة ! »» .

● اسمح لى بتعليق : لقد روى لى السيد محمد رشاد محمود وهو من كبار المسئولين بوزارة الانتاج الحربى قبل الغائها واحالته الى المعاش ، روى لى هذه القصة قبل مرحلة المعاش ...

كانت الفنانة برلنتى عبد الحميد تستقل سيارة برفقة صلاح نصر مدير المخابرات العامة ـ فى طريقهما من الاسكندرية للقاهرة ليلا ـ وعند الكيلو ١٠ بالقرب من مينا هاوس توقفت برلنتى أمام فيللا مضاءة وأبدت اعجابها بها ثم طلبت من صلاح نصر أن يدخل معهـا لمشاهدة الفيللا من الداخل والتعرف بأصحابها » ..

ودخلا ... وعرفا أن صاحب الفيللا هو الدكتور زهير جرانة الوزير السابق فى بداية الثورة والمحامى المعروف ـ وبعد أيام قليلة فرضت الحراسة على الدكتور جرانة ، واكتشف مندوبو مكتب المشير عامر الذين رافقوا رجال الحراسة لاستلام الفيللا ، أن الدكتور جرانة يملك حديقة الفيللا فقط بينما الفيللا ملك للسيدة زوجته ، فعادوا ليستصدروا فى اليوم التالى قرارا بفرض الحراسة على السيدة زوجة الدكتور جرانة وأولادها أيضا ـ وأخليت الفيللا اجباريا ... وجاءت الفنانة برلنتى عبد الحميد زوجة المشير عامر لتسكن بها ، أقصد لتقضى بها بعض الوقت ، فكما هو معروف كانت تملك السكنى فى أكثر من شقة وفيللا فى أنحاء البلاد ... » .

ما رأيك ... فى هذه القصة ... واحدة من قصص برلنتى عبد الحميد ، وفى الجعبـــــة قصص أخرى كثيرة ؟! .

● واطرق الطيار عصام الدين خليل صامتا .. ثم رفع رأسه وقال فى ثقـــة : الحمد لله لم أغادر فيللا المرحوم أبى التى يملكها منذ العشرينات ، تزوجت بهـا وظللت أعيش فيها حتى اليوم دون أن أدخل عليها أى اضافات أو تعديل ... وقد كان ذلك سهلا وبمقدورى قبل ١٩٦٧ .

● عدت أقول له : لقد سمعت قصة ترددت على نطاق ضيق جدا بعد نكسة ٦٧ وبعد القبض عليك ـ ولا أدرى صحة هذه القصة .. ؟ سمعت أن اسرائيل اتصلت بالمرحـوم عبد الحكيم عامر سرا ، ولعبت أنت دورا فى هذا الاتصال وأنها أى اسرائيل عرضت بعض الاقتراحات للحيلولة بين قيام حرب جديدة ، وانها طرحت

بعض التحذيرات ... حدث هذا عام ١٩٦٦ ... ما هى حقيقة هذه القصة ؟ ..

ـ لقد وقعت بالفعل فى نهاية عام ١٩٦٦ ، وكنا فى فرنسا ، نمثل وفدا عسكريا برئاسة المرحوم المشير عبد الحكيم عامر ، وكنت عضوا بالوفد ـ وذات مساء ونحن نتناول العشاء بفندق « كريون » اتصل بى ممثل لاسرائيل عن طريق بعض الوسطاء والتقينا لأول مرة فى بار الفندق ، ولم يكن فى حراستى غير « متولى » حارس المشير ، وكنت أنقل أولا بأول ما يدور بينى وبين ممثل اسرائيل الى المشير عبد الحكيم عامر ، واستمرت الاتصالات الى الأشهر الأولى من عام ١٩٦٧ ، ثم توقفت تنفيذا لرغبة وقرار الرئيس الراحل .

● لماذا اختاروك أنت بالذات ، والى ماذا كانوا يهدفون ، ومن هو ممثل اسرائيل الذى تحدث اليك ؟ .

ـ لقد سألتهم الجزء الأول من سؤالك ... لماذا وقع اختياركم « على » بالتحديد .. ؟ .

● قالوا : لأننا نعلم أن أحدا من قادة مصر لن يشك او يرتاب فى صدق ما تنقله اليهم ، وبالتالى لن يتبادر اليه أدنى شك فى عدم جدوى التأثير عليك أو تجنيدك لحسابنا ، أما من هو مندوب اسرائيل ، فقد كان أحد قادة مخابراتهم ، وكان معروفا لدى أجهزتنا خلال تلك المرحلة .. ثم نصل الى هدفهم ...

لقد اقترحوا ايجاد وسيلة للاتصال التليفونى بين القاهرة وتل أبيب بين المستويات العليا من القيادة هنا وهناك ، لأنهم توقعوا على حد تعبيرهم أن السوفييت سيدفعوننا الى شن هجوم مسلح عليهم وأنهم لن يقفوا صامتين ، ولكنهم ضد مواجهة بالسلاح معنا الآن ، وليس

ذلك خوفا منهم أو عجزا ،ولكنها محاولة اسرائيليةلتأجيل جولة جديدة بين مصر واسرائيل لا تريدها الحكومة الاسرائيلية ! .

وكلام كثير حول هذا المعنى ، وقد حرصوا على أن يشعروننا بأنهم يتكلمون من مركز قوة حتى لا يتبادر الى اذهاننا أنهم يخشون قوة مصر أو هزيمتهم فى جولة جديدة ! .

غير أن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر لم يقتنع بهذه الوسائل ، وجدواها اذا التقينا معهم فى نصف الطريق ، وكان المشير عامر متأرجحا ، غير حاسم فى اتخاذ قرار لا يملكه ، وقال عبد الناصر فى النهاية لابد من ضربة ردع لاسرائيل ، والمناخ أيامهــا يسمح بتصور ذلك ، وللحقيقة كان حوله من ذكر صراحة اننا غير مستعدين عمليا لتوجيه ضربة ردع لاسرائيل ، ومواجهة احتمالات تصاعدها وكنت واحدا ممن ردد هذا الكلام امامه حتى الأيام الأخيرة من مايو ١٩٦٧ ! .

● يبقى تساؤل جماهيرى هام .. لماذا لم تستخدم الصواريخ « الظافر أو القاهر » فى يونيو ١٩٦٧ ؟ .

ـ هذه الصواريخ هى أجسام ، ومادة كيمائية تمثل الوقود ، واجهزة توجيه الكترونية داخل جسم الصاروخ ... ولقد أجريت التجارب الأولى بأجهـــزة توجيه الكترونية مستوردة من الخارج وبصعوبة شديدة وثمن فادح ، وكان علينا تصنيعها فى بلادنا ... وذلك يتطلب جهدا ضخما لم ينقصنا والحمد لله ولكنها الميزانية التى تجمدت منذ ١٩٦٥ بتعليمات السوفييت وبالتالى تجميد كل مشاريعنا فضلا على محاولات الاستفزاز والسيطرة التى واجهناها من مراكز القوى التى سقطت فى مايو

١٩٧١ ، ممثلة فى « على صبرى » ورجاله امثـــال عبد المجيد فريد وأحمد شهيب اللذين اخذا على عاتقهما مهمة سيطرة الاتحاد الاشتراكى على مصانع الطـائرات والصواريخ ، ووجدت اقبالا من عدد ليس بقليل على الاشتغال بالعمل السياسى ، وليس ألحربى ، فأصدرت قرارا بالغاء نشاط الاتحاد الاشتراكى تماما فى المصانع ، وأبعدت « ٦٠ » من العمال والفنيين الى أعمال أخرى ، ودخلت فى صراع من جانب واحد يقوده على صبرى ، وشرحت للرئيس الراحل أن نصف ساعة تفرغ للعمل السياسى فى مصانعنا تكلفنا ربع مليون جنيه ، ولـكن عبد الناصر لم يأخذ جانبى !! .

ويهمنى أن أقول أن صناعة الصواريخ الاستراتيجية كالظافر والقـــاهر والرائد ، لم تكن موقوتة عندى بيونيو ١٩٦٧ ، لكى أكون جاهزا للمعركة .

ولقد صدرت بعد النكسة كتب اسرائيلية كثيرة تحدث بعضها عن هذه الصواريخ ، وروت حكايات قد يصدقها بعض السذج مثل حكاية الجاسوس الذى افسد هـذه الصواريخ التى لم تعمل فى جولة ٦٧ ، وحكايات كثيرة أخرى ، يفهمها رجال المخـــابرات المحترفين كأساليب معروفة من الحرب النفسية المضادة لنا ، وخدمة أسطورة « الاسرائيلى السوبر مان » بين شعوب العالم .

نهاية الصراع !

● ماذا كان دورك فى جولة يونيو ١٩٦٧ ،العسكرية ، والصراع بين الرئيس الراحل والمرحوم المشير عبد الحكيم عامر ، الذى قيل انه انتهى بنهاية الأخير .. وقد كنت

انت قريبا جدا من القمتين ، الرجل الأول .. والرجل الأول مكرر ... كما كان بعض ممثلى الصحافة العالمية يطلقون عليهما ...

● ومتى ... وكيف اعتقلت بعد النكسة ؟ .

●●

● وتكلم الرجل .. وفتح قلبه كما قال لى لأول مرة يروى كيف انحسرت عنه الأضواء ، وكيف قادوه من مسرح السلطة الى مسرح السجن الحربى ! .

الفصل السادس :

عقاب للطائرات المصرية

★ المطب الذى وقع فيه السوفييت أمام عبد الناصر !

★ آخر ما قام به الروس فى مصر قبل اخراج الخبراء السوفييت عام ١٩٧٢ .

لقد أوقعوا العقاب على الطائرات المصرية لأنها اشتركت فى الدفاع عن السودان الشقيق عام ١٩٧١ ، ومن قبل أكد الطيارون السوفييت عدم كفاءتهم الحربية فى أعوام ١٩٦٣ و ١٩٦٦ و ١٩٦٩ ... ولنضع عدة خطوط تحت عام ١٩٦٦ بالتحديد .

وجاء رئيس الأركان السوفييتى الى القاهرة وارتكب زلة لسان نتوقف عندها قليلا ..

وفى النهاية خسر المدعى العسكرى المصرى منصبه دفاعا عن « شرف القاضى » .. !

ـ قبل نهاية ١٩٥٦ ، كنت قد قدمت مشروعا الى القيادة العامة للقـوات المسلحة ، أعتقد أنه بين وثائق القيادة حتى اليوم ، يتضمن ضرورة انشاء مخـــابىء للطائرات بمصاعد خاصة الى الممرات ، وكان المشروع يتكلف مليونا من الجنيهات ، وظل يمنى بالتأجيل حتى ارتفعت الأسعار العالمية ، واصبح مطلوبا خمسة ملايين جنيهات لتنفيـذ هـذا المشروع ، الذى دخـل ملفات الحفظ ! .

وفى يونيو ١٩٦٧ ، قامت من مصانع الطائرات ، تحت اشرافى ، عربات اصلاح متنقلة أشبه بورش كاملة، وقمنا باصلاح الطائرات المصابة بمنطقة القناة والماظة ، وأسهمنا فى نفس الوقت فى اقامة مخـــابىء جديدة للطائرات الباقية لدينا والتى وصلت كنجدة الينا ، وكان عملا رائعا فى وقت قياسى تحت قيـــادة الفريق طيار « مدكور أبو العز » الذى تسلم قيادة قواتنا الجوية بعد النكسة مباشرة ... وبعدها صـــدر قرار احالتى الى التقاعد .

● سؤال : لقد حدث تغيير فى منصب رئيس أركان القوات الجوية قبل يونيو ١٩٦٧ بشهرين أو أقل ...

حيث أحيل « الفريق طيار عادل حافظ » الى التقاعد ، وجاءوا «بالفريق طيار جمال عفيفي» وكان رئيسا لشركة مصر للطيران ، بعيدا عن القـــوات الجوية لفترة طويلة وشغل المنصب العسكرى ... وقيل كلام كثير عنـــد محاكمة قادة الطيران ، ومن بين ما سمعناه أن « الفريق جمال عفيفي » كان قد تزوج السيدة « زيزى نيازى » شقيقة السيدة « أمينة » حرم المرحوم جمال سالم ، وانها لعبت دورا بواسطة جمال سالم ليشغل زوجهـا منصب رئيس أركان الطيران ، وان هذا الدور كان خلف تبرئته فى محاكمات قادة القوات الجوية بعد نكسة ١٩٦٧ ، حيث ظهر انه لم يكن يعلم شيئا ولم يفعل بالتالى شيئا .. ما رأيك ؟ .

ــ هذا حدث فعلا ولكنه كان عاملا فرعيـــا فى وقوع الهزيمة ، المناخ هو الأساس ، ومن خلال المناخ احالوا « عادل حافظ » الى التقاعد ، ومن خلال المناخ أيضا والعلاقات الخاصة الطـــارئة والمتجددة ، أسندوا الى « جمال عفيفي » المنصب ... ولا أدرى اذا كانت هناك عوامل خارجية كالضغط السياسى مثلا خلف هذا الذى حدث ! .

● قبل أن نعود الى ما وقع لك عام ٦٧ ، اسمح لى بسؤال حول « المرحوم عميد طيار محمد أيوب » مدير مكتب المشير عبد الحكيم عامر للطيران ... لقد قيل انه انتحر ، وقيل انه قتل مثل المشير ... ما رأيك ؟ .

ــ رايى انه قتل بعد صدور قرار الاتهام حتى تبدو الجريمة وكأنها انتحار ، والذين يعرفون المرحوم محمد أيوب يؤكدون انه رجل لا يقدم على الانتحار ، لقد كان

لديه الكثير ليقوله أمام المحكمة وقد مات بحقنة خاصة في الوريد لكي يسكت الى الأبد .

● تردد أيضا انك كنت تقوم بشراء « السم » لبعض القادة حتى يونيو ١٩٦٧ ، من حساب الاعتمادات المفتوحة لك والخاصة بمشتريات مصانع الطائرات ، وقد جاء في الصفحة « رقم ٤ » من القرار الذي أصدره اللواء عبد الرزاق حجازي المدعي العسكري العام في ٢ أكتوبر عام ١٩٦٨ ، والذي انتهى فيه بأنه لا وجه لاقامة الدعوى ضدك ، جاء في شهادة « المهندس ابراهيم ضياء الدين طه » رئيس الهيئة المصرية العامة للطيران ، ان جهات أخرى مثل القوات الجوية والمخابرات العامة والقيادة العامة تقوم بطلب خدمات خاصة ويصدق عليها ، وتقوم أنت باخطار الهيئة بما تنفقه على هذه المطلوبات والفواتير المؤيدة لها ... الم يكن بينها « صفقات سم » مثلا !؟ .

- لم يحدث ، وطبيعة تكويني وتربيتي ترفض ذلك تماما وترفض القسوة في كل أشكالها ، وهذا ما يعرفه عني زملاء كثيرون منذ الأربعينات حتى اليوم .. فقد قمت بشراء أجهزة علمية والكترونية دقيقة وكل ما قمت بشرائه مدعوما بالفواتير والمستندات ، ويؤيد كلامي هذا قرار المدعي العسكري العام وتوقيت صدوره في فترة تولي الفريق أول محمد فوزي وزارة الحربية بعد النكسة ، ولقد دفع المدعي العسكري وظيفته ثمنا لصدور هذا القرار الذي أصر عليه كقاض لا يفرط في سمعته على الاطلاق مهما كانت الضغوط والمغريات .

ولست في حاجة الى ان اقول لك ان الفريق أول

متقاعد محمد فوزى هو الذى طلب اقامة الدعوى ضدى ، وأغلب قراراته كانت باملاء السوفييت .

بعد أن تولى وزارة الحربية مباشرة فى ١١ يونيو ١٩٦٧ ، أصدر أوامره بالغاء طائرات التدريب المصنوعة محليا وكانت بمحركين ، جمد « ٦٤ » طائرة وأدخلها المخازن ، لتحل محلها طائرات تدريب تشيكية الصنع « ل ٢٩ » وتعمل بمحرك واحد !! .

لماذا .. ؟ ان لم يكن لصالح السوفييت وتنفيذا لسياستهم ؟! .

وسأروى لك قصة قصيرة ، لأدلل بها على نفوذ السوفييت ، ليس قبل النكسة بل بعدها ، فقد زارنى زميل من ضباط الطيران ، هو فى الخدمة حتى الآن ، وقال لى انه التقى بأحد الجنرالات السوفييت ودار الحديث حولى فقال الخبير الروسى :

— « جنرال عصام هذا لابد أن يدخل السجن ولابد أن يقضى به عدة سنوات طويلة » .

وبعد أيام طبقوا ما قاله الجنرال السوفييتى وقضيت ست سنوات ما بين اعتقال وتحديد اقامة ! .

●

●● عزيزى القارىء .. ترى هل أمسكنا ببعض خيوط الحقيقة ؟ .

ليس الفشل الأول !

هؤلاء هم الأصدقاء السوفييت وما فعلوه بالقوات المسلحة المصرية ! .

واستطرد الطيار عصام خليل قائلا :

– « وللتاريخ أريد أن أذكر شيئا ، ان الفشل الذى أصاب طياريهم عام ١٩٦٩ فى حرب الاستنزاف حين صعد خمسة من ضباطهم الطيارين لملاقاة الطيارين الاسرائيليين فى معركة اعتراضية انتهت بسقوط السوفييت جميعا ، لم يكن للمرة الأولى ، لقد تكرر قبل ذلك فى نهاية عام ١٩٦٦ ، ويومها أرادوا أن يلصقوا « خيبتهم » بالدفاع الجوى المصرى ، وحاولوا الحصول على شهادة كاذبة من أحد قادة قواتنا الجوية فى حرب رمضان ، ورفض الرجل وتعرض لضغوط وارهاب ولكنه لم يلن ولم يتراجع ... وهو الفريق طيار المرحوم محمود شاكر عبد المنعم قائد الطيران المصرى السابق »» .

● قلت له :

● نعود الى فترة القبض عليك ... هل صحيح انك قمت بنشاط ما لحساب المرحوم عبد الحكيم عامر حتى يعود الى منصبه ما قبل يونيو ١٩٦٧ ؟ .

– لم يحدث ولكن ما ذكرته له قصة اخرى ساأرويها لك ، فبعد احالتى الى التقاعد قررت أن أبقى بعيدا عن الصراع الدائر بين عبد الناصر وعامر ، ولكن عامرا طلب منى أن أبحث له عن مكان يقضى فيه عدة أيام بعيدا عن بيته وهربا من زيارات الضباط المستمرة له ليل نهار ، فاقترحت وهذا حدث تليفونيا أن يستخدم شقة ابنتى التى استأجرتها لهـا من « التاجر عبد الحميد سرى » بالزمالك ولم تكن « ابنتى » قد زفت الى عريسها بعد ، فوافق على اقتراحى ، ثم سافرت الى كفر الشيخ ، وبعد أيام اتصل بى تليفونيا وقال لى :

ـ اين أنت ؟ .
ـ انني أرتاح هنا بعيدا عن القاهرة .
ـ ولماذا لم تنفذ الموضوع الثاني ، واكتفيت بالموضوع الأول ؟ .
ـ أي موضوع « ثاني » وأي موضوع « أول » ؟! .
ـ لا داعي الآن للحديث ، دعني أراك هنـــا في القاهرة .

● ولم أفهم شيئا ولكنني ارتبت في حديث عبد الحكيم عامر ورأيت أن أبتعد أكثر فأخذت « زوجتي وبناتي » الى سيدي عبد الرحمن بالصحراء الغربية ... حيث جاء رجال الأمن وطلبوا مني العــــودة برفقتهم الى القاهرة ، ولقد عدت أقود أمامهم سيارتي ... وفي السجن الحربي زارني الفريق أول متقاعد محمد احمد صادق وكان مديرا للمخـابرات الحربية وبرفقته اللواء مختار صالح مساعده ، ووجدته يسألني تفسيرا لمـكالمة عبد الحكيم عامر التليفونية ، وسر الموضـوع « الاول والثاني » الذي أشار اليه ! .

وشرحت له حقيقة ما أعرفه وغموض هذه القصة لدي حتي هذه الساعة ، فجاء بجلال هريدي قائد الصاعقة سابقا ، وكان نزيلا بالسجن الحربي أيضا لمواجهتي ..

وقال جلال هريدي : ان المشير عامر غضب حين علم بأن اللواء عصام سافر وترك القاهرة خلفه ، فأراد أن يورطه بهذه المكالمة لعــلمه بان جميع أجهزة التليفونات تحت الرقابة .

●

وأعود الى أوراقي ...

لقد كانت الصورة داخل مختلف المناصب القيـادية

العسكرية المصرية بشديدة القتامة ، ليس نتيجة الهزيمة في ٦٧ ، بل قبل ذلك بفترة طويلة ، ويمكننا القول بأن البداية كانت فى ١٩٦٣ ، بعد عـدة اشهر من ارسال قواتنا المسلحة الى ارض اليمن فى نهاية ١٩٦٢ ، صورة قاتمة سوداء ، استمر وجودها الى ما بعد النكسة ، وقد حرصت القيادة السياسية والعسكرية على اخفائها جيدا عن جمـاهير الشعب ... ولـكن الشعب كان يشـعر ويعرف ، ويشم رائحة الفساد ! .

● وجاء عام ١٩٦٤ ، وقد استطاع السوفييت بمعونة القيادات السياسية والعسكرية فى مصر ابعـاد أكبر عدد من العناصر العسكرية المصرية الشريفة عن مناصبها القيـادية ، البعض كما قلت دخل السجن بعد اعتقال وتحقيق ، ومؤامرات وهمية لقلب نظام الحكم لأنهم فى الحقيقة عارضوا التحول الخطير فى قيادة البلاد ، أو اعترضوا على ما نقوم به فوق أرض اليمن، أو وقفوا سدا منيعا أمام رغبات الخبراء السوفييت ، أو كشفوا عن صفقات مالية تفوح منها رائحة فاسدة ، وكان الفريق مدكور ابو العز رئيس أركان القوات الجوية واحدا ممن ابعدوا عن القوات المسلحة الى الحكم المحلى محافظـا لأسوان ، انه حالة من هذه الحالات ! .

● واستمرت سياسة التنكيل بالضباط الشرفاء ما بين اعتقال واحالة الى التقاعد حتى يناير عام ١٩٦٧ ، فى تصاعد غريب ، بينما بعض ضباط مكتب عبد الحكيم عامر يعملون فى التجارة بكل شيء ، ويستوردون من اليمن فى الطائرات الحربية كل ما تعرضه الأسـواق اليمنية لبيعه فى القاهرة عن طريق صغار الضبـاط ، الذين تحولوا الى مندوبى مبيعات ، وكان على رأس المكتب

من هؤلاء الضباط « العقيد على شفيق » سكرتير عبد الحكيم عامر الخاص ، وضابط آخر من تحت السلاح حمل رتبة مقدم وهو « عبد المنعم أبوزيد » من الجنود الذين انضموا الى مجموعة حراسة الصاغ عبد الحكيم عامر فى بداية الثورة ، واستطاع أن يصل الى قلب وغرائز الرجل بسهولة ، وحين حصل «أبوزيد» على رتبة « المقدم » ولم يكن بوسعه الحصول على ترقيات اخرى أكثر من ذلك بصفته من ضباط تحت السلاح ، اى ممن لم يتخرجوا فى الكلية الحربية ، أصدر المشير عبد الحكيم عامر قرارا باحالته آلى المعاش ، ثم تعيينه فى وزارة الانتاج الحربى بدرجة « مدير عام » مع ندبه لمكتب المشير بعد ذلك ... ولكن رائحة « عبد المنعم أبوزيد » زكمت الأنوف ، وتحدثت قطاعات كبيرة عديدة من الشعب حوله وحول « على شفيق » قائده ، وكان الاثنان قد تزوجا سيدتين من أهل الفن ، احداهما ارسلوا بزوجها الى مستشفى خاص للأمراض العصبية ، وحصلوا لها على حكم بالطلاق لمرض زوجها ، ثم تزوجها عبد المنعم ابوزيد ، وكان هذا الزوج هو الكاتب السينمائى المرحوم محمد كامل حسن ، الذى غادر البلاد مقابل اخراجه من مستشفى بهمان للأمراض العصبية ومات فى عام ١٩٧٩ بعد عودته للقاهرة والى زوجته الاولى ، القديمة ، وكانت الزوجة الثانية هى الممثلة سهير فخرى ! .

● وامام ضغط المعاومات التى أخذ الرئيس الراحل جمال عبد الناصر يقدمها للمشير عامر حول فساد ضباط مكتبه ماليا وسياسيا ، اضطر عامر الى تقديم هؤلاء الضباط الى المحاكمة العسكرية ، وتكونت محكمة عسكرية

برئاسة الفريق أول محمد أحمد صادق ، وكان برتبة لواء في تلك الأيام ويشغل منصب مدير المخابرات الحربية ، وتسرب الخبر الى الاذاعة السعودية ، وقيل ايامهـا ان رئيس المحكمة هو الذى سرب الخبر بحسن نية نتيجة علاقاته مع بعض القادة السعوديين ، فاضطرت القيادة فى القاهرة الى اعلان القصة صحفيا ، ولكن الأحكام فى النهاية خضعت الى تعديلات القيادتين السياسية والعسكرية ، اذ تقرر الاكتفاء باحالة « على شفيق » للتقاعد لأنه من الضباط الأحرار الذين لا يحاكمون اطلاقا ، أقصد لا تصيبهم « الادانة » الا فى حالة الاشتراك فى جريمة قلب نظام الحكم فقط ، وما عداها من جرائم فهم فوق العقاب ، وتحمل « عبد المنعم أبوزيد » قيادة الجريمة بأكملها ، وعدد آخر من صغار الضباط والمساعدين غير المعروفين ممن كانوا يعملون كمندوبى مبيعات ! وقد حوكموا بتهمة تهريب الذهب لحسابهم وحساب بعض التجار ممن تربطهم صلات مالية مريبة وطبيعية بضباط المشير ! .

حادثان عام ١٩٦٣

لقد قصدت من سرد قصة « على شفيق وعبد المنعم أبوزيد » أن أعرض « نموذجين » من مئات النماذج التى أرست الفساد فى القيادة العسكرية ، وحققت المناخ الذى انتهى بهزيمة يونيو ١٩٦٧ . . . هذا المناخ استغله السوفييت ابرع استغلال وسط غيبة عشرات الضباط القياديين فى رحلات مستمرة طوال العام يطوفون اوروبا للترفيه وشراء أحدث انتاج المصانع العالمية لبيوتهم ..

كان هناك مثلا أحد الضباط مكلفا بشراء « الكريز » من أوروبا مرتين كل شــــهر بتكليف من شمس بدران وزير الحربية المدلل ، وأحد أركان الفســـاد العســـكرى فى مصر ! .

● ماذا قام به السوفييت فوق هذه البيئة ، أو هذا المناخ العسكرى فى مصر ؟ .

أرسلوا فى البداية أساتذة التكتيك السياسي والسيطرة بدلا من مئات الخبراء العسكريين أساتذة فنون القتال جوا أو برا أو بحرا ، وكانوا يرسلون بالخبراء غير الأكفاء لمثل هذه المهـــام ، وأسوق هذه القصة للتدليل على ما أقوله ...

لقد وقع حادثان لطائرتين من طائرات « الأنتينوف » المخصصة للنقل ، كان يقودهمــــا طياران روسيان عام ١٩٦٣ ، وكان الطياران الروسيان يدربان طيــارين مصريين ، وأجرى تحقيق فنى أشرف عليه « الفريق طيار مدكور أبو العز » رئيس أركان الطيران والدفاع الجوى فى تلك الأيام لتحديد المسئولية خاصة وأن الطيارين السوفييت أو المصريين لم يصـــابوا الا بجروح بسيطة وثبت أن هؤلاء المدربين أو الخبراء من مستوى ضعيف لا يتفق والمهمة الموكولة اليهم ، وأثيرت هذه القضية فى لقاء الفريق أبو العز والجنرال استافستكى نائب قائد الدفاع الجوى السوفييتى فى منتصف عام ١٩٦٧) بعد عودة أبو العز الى القوات الجوية على أثر هزيمة يونيو ، وقبل أن يصمم السوفييت ويؤيدهم الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية أيامها على ابعاده نهائيا عن الطيران المصرى فى نهاية العام نفسه ١٩٦٧ ، ويوافق عبد الناصر

في النهاية على هذا القـــرار ... ودفن الموضـوع سرا !! .

● فى هذا اللقاء الذى دار بالقاهرة بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، وحضره «المارشال زخاروف» رئيس أركان حرب القوات السوفييتية سابقا ، وكان قد جاء على رأس وفد عسكرى يمثل بلاده لمعاينة ما حدث على الواقع ولحق به « جنرال استافستكي » نائب قائد الدفاع الجـوى الســوفييتي ، كشف القائد الروسى الكبير زخاروف عن سر خطـير ، استغله الرئيس الراحل عبد الناصر بعد ذلك ، ولكنهم في موسكو حالوا بينه وبين اســتغلال « المطب » الذى وقع فيه « زخاروف » بحسن نية طبعا ، أو بتخطيط سياسى روسي رسـمته له المخـــابرات السوفييتية ، من يدرى !! ..

● « لقد قال « زخاروف » أن القوات الجوية المصرية لم تدمر مطاراتها الحربية فى سيناء قبل الانسحاب ، وان القمر الصناعى السوفييتى نقل لهم صور هـذه المطارات وهى سليمة تماما قبل نهاية الأسبوع الثانى من يونيو ١٩٦٧ » .

● وقال له القائد المصرى أبو العز :

ـ ألم يكن فى مقدوركم بواسطة هذا القمر الصناعى أن تمدونا بما تعده اسرائيل على الحدود وما تقوم به من حشد واستعداد لهجوم شامل علينا بهذا القدر من الاستعداد ، بدلا من أن تبلغونا بحشودهم على حـدود سوريا ، ويطلب سفيركم من رئيس الجمهورية فى فجر الأيام السابقة على « ٥ يونيو » أن لا تكون مصر البادئة بالهجوم !؟ .

● أين الصداقة هنا ؟!
وسكت زخاروف ولم يجب ! .

● ولم نعرف هل كان القـــائد السوفييتى يرمى « سنارة » جـديدة تحمل « طعمــا » جديدا لاحكام سيطرتهم علينا من خلال الهزيمة ، أو انها كانت « زلة لسان » من الرجل بعد عدة كئوس من الفودكا والروم المصرى الذى أقبلوا عليه بنهم وشراهة ! .

السمعة المهلهلة !.

وهكذا ساد التخطيط السوفييتي بأبعاد العنـــاصر القيادية العسكرية المصرية المضـــادة له ، وظهر على المسرح السياسى والعسكرى فى القـــاهرة لازالة آثار النكسة واعادة بناء القـوات المسلحة المصرية بعض من ساهموافى صنع النكسة نفسها ، لأنهم حازوا رضاء السوفييت ، ووجدت موسكو فيهم أشخاصا يعانون من الاحساس بالاثم ، فضـــلا عن شخصياتهم المجرحة وسمعتهم المهلهلة ، مما يجعلهم يلبون طلباتها عن طوع وسلبية ، حتى أن هؤلاء القادة عجزوا عن مناقشة كبار الخبراء الروس عن جدوى « عمرة » المحـــركات فى الاتحاد السوفييتى بدلا من مصر أو بدلا من احضار ورش العمرات الينا مع الطـــائرات كما يحدث فى جميع بلاد العالم التى تشترى الطائرات من دول اخرى ، ولقـــد ظلت المفاوضات حول هذه الورش مستمرة طوال تسع سنوات دون جدوى ! .

● وعجزوا أيضـــا عن مناقشة ارسال ابنائنا من الطيارين للتدريب فى روســــيا ، وبلشفتهم فى نفس

الوقت ، الى جانب تحكم موسكو فى اختيار وقت المعركة بسيطرتها على هذه الأطقم الجديدة من الطيارين المصريين بتوزيعهم على الطيران أو الانضمام الى تشكيلات الدفاع الجوى ... وفى النهاية صدق الرئيس الراحل على تعيين أحد القادة ، رشحه الروس قائدا لقواتنا الجوية ... واستمرت المهزلة « امتدادا » لمنتصف الستينات ومناخها الذى حقق النكسة من قبل !! .

● ألغيت وزارة الانتاج الحربى فى ابريل عام ١٩٦٩ بحجة انها عاجزة عن انتاج طلبية ضخمة من كبارى العبور المخصصة للمشاة والمدرعات ومعدات عبور قناة السويس اللازمة للقوات المسلحة كى تقاتل معركة تحرير سيناء ، وكان الرئيس الراحل قد حدد مهلة ٣ شـهور فقط لتصنيع كل هذه المعـدات ، وفى الحقيقـة كان السوفييت خلف الغاء هذه الوزارة التى تعاونت مع الدول الغربية ، ولفترة طويلة بعد قيام الثورة ، وكانت بالفعل قد اشترت الصلب المدرع عام ١٩٧٠ من أوروبا لتصنيع العربات البرمائية وكبارى العبور،ثم توقفت خطة العبور تلبية لضغط السوفييت وحتى لا تحدث هزيمة جديدة ثم عادوا وقرروا أن لا تدخل القوات المسلحة المصرية حربا جديدة كما أكد لى الفريق أول محمد على فهمى عام ١٩٧٩ .

● هرب أحد قادة الدفاع الجوى السوفييتى من كبار الخبراء الذين كانوا يعملون معنـا ، الى اسرائيل عام ١٩٦٩ ، وسلم تل أبيب كل ما لديه من أسرار عن قواتنا المسلحة .

● ثبت من خـلال تحقيق سرى أجرى عام ٦٩ ـ ١٩٧٠ ـ أن عددا قليلا من الخبراء الروس الذين يعملون

مع تشكيلات الصواريخ المصرية المضادة للطائرات كان على صلة بالقيادة الاسرائيلية فى جبهة سيناء لاسلكيا ، وقد لعب بعض موظفى السفارة الروسية فى القاهرة دورا معروفا فى هذا المجال ! .

● ألغيت تماما صناعة الطائرات فى مصر وذلك فى خطاب عام ألقاه الدكتور عزيز صدقى قبل نهاية ابريل ١٩٦٩ بين عمال هذه المصانع !! .

● تحول المصنع المصرى لصناعة الصواريخ الى صناعة أعمدة الكهرباء المقامة فى الشوارع ! .

● حرمت الطائرات المصرية من كاوتش عجلاتها لأنها اشتركت فى ضرب الانقلاب الشيوعى الذى وقع فى السودان خلال يوليو ١٩٧١ .

● قبل اخراج الخبراء السوفييت من مصر ، كان الفريق أول محمد فوزى قد أعد تقريرا جاء فيه ان الخبراء الروس قد بلغ عددهم عدة آلاف ، وأعد سامى شرف تقريرا يحمل رقم « ستة آلاف » ، ثم اتضح ان عددهم عام ١٩٧١ بلغ ١٧ ألف خبير ! .

● أعدت فى ابريل ١٩٧١ بواسطة الفريق أول محمد فوزى وباتفاق مع سامى شرف وشعراوى جمعة اتفاقية امتيازات جديدة تمنح للسوفييت لكى يوقع عليها الرئيس السادات بضغط من مراكز القوى ، وألغيت بقيام ثورة التصحيح .

● وضع السوفييت فى جميع مطاراتنا الحربية أجهزة الكترونية تسمح بانزال طائرة كل ٣٠ دقيقة ، وقاموا بهذه المهمة سرا مما أثار الشك والريبة فى هذا العمل ، واتضح انه كان يهدف الى تمكين الطائرات الروسية من الهبوط فوق مطاراتنا وبأعداد ضخمة اذا

فكروا فى تطبيق خطة مماثلة لما طبقوه فى بعض دول أوروبا ، وبالتحديد تشيكوسلوفاكيا مع بداية السبعينات ، وقد وقف الفريق أول محمد احمد صادق موقفا ايجابيا من هذه الأجهزة ! .

● ضبط رجالنا فى المطارات المختلفة كميات كبيرة من الذهب المصرى يحملها الخبراء الروس فى رحلاتهم الى بلادهم ، وتحررت محاضر رسمية بذلك ، وتطلب الأمر تدخل الرئيس السادات أكثر من مرة ... كان آخرها ذلك العمل الوطنى الايجابى الكبير الذى انهى السيطرة السوفييتية على مصر وهو اخراج أو ابعاد الخبراء السوفييت عن قواتنا المسلحة ، ثم انهاء المعاهدة الروسية المصرية التى كانت تهدف فى النهاية الى تحقيق هدف كبير آخر ظل بعيدا خلف الستار ، وهو ربط تسليح مصر باقتصادها القومى ، فندفع ثمنا لأسلحة لم نحددها ولم نطلبها ، ما نحصل عليه من عائد المشروعات الانتاجية التى تساعدنا روسيا فى تنفيذها

فيصاب الدخل القومى بخسائر مالية مستمرة مهما ارتفع وكبر حجمه لأنه بالضرورة وأمام هذه السياسة السرية لن يطاول حجم ما ندفعه من أموال فى اسلحة تفرض علينا ، وقد بلغ ثمنها فى بعض الأعوام اربعة مليارات من الجنيهات ! .

● وهكذا ساعدنا الاتحاد السوفييتى فى بناء مشروع ضخم هائل كالسد العالى ، ولكنه كان يخطط فى الوقت نفسه لندفع ما يفوق عائده وعائد المشروعات الاقتصادية الاخرى التى عاوننا فيها ثمنا الأسلحة مكدسة فى مخازنه ولم تعد الجيوش الحديثة تستخدمها ، وكان لابد أن يعمل على اسكات كل الأصوات التى تعترض طريقه قبل

أن يمتلك السيطرة وتصبح له الكلمة الأخيرة فى بلادنا .

ولكن الله أراد شيئا مختلفا لمصر .

وكان ما أراده الله .

●● انه واحد من دروس التاريخ الكبيرة ، ذلك الذى شهدته مصر وعاشه شعبنا بداية بالستينات حتى ما بعد السبعينات ، وبقى علينا أن نعى الدرس جيدا ، ونستوعب الماضى طويلا حتى لا تتكرر الأخطاء وتنتكس الرءوس بعد أن رفعناها عاليا فى يوم غالى الثمن ، يوم السادس من أكتوبر الخالد على مدى التاريخ .

★★

●● والى الفصل السابع لنقرأ وثيقة قضـــــــائية عسكرية مصرية انقلها دون حذف أو اضافة .

الفصل السابع :

قرار قضائي .. عسكري جريء يحدث دوياً في القيادة العامة

.. ما أشجع هذا القرار الذي أصدره قاض عسكري قبل نهاية عام ١٩٦٨ ، في فترة حالكة السواد ، لاذت خلالها أكثر الأصوات ارتفاعا وجرأة بالصمت التام .. !

فوق هـذه الصفحات نعرض قصة قرار عسكرى قضائى ، اصدره المدعى العام العسكرى فى ٢ أكتوبر عام ١٩٦٨ ، وهو اللواء عبد الرزاق أحمد ابراهيم حجازى ، وقد أحدث هذا القرار رغم احاطته بصمت وسرية وتكتم ، ورغم عدم نشره أو اذاعته ، أحدث دويا شديدا على مستوى القيادة العامة للقوات المسلحة عام ١٩٦٨ .

● لماذا ... ؟

● لقد صدر القرار في نهاية عام ١٩٦٨ بناء على بلاغ تقدم به وزير الحربية فى تلك الأيام ، الفريق أول محمد فوزى الى المدعى العسكرى ضد اللواء طيار متقاعد عصام خليل ، أحد رجال المرحوم المشير عبد الحكيم عامر ، قدم وزير الحربية بلاغه فى ٢٤ فبراير ١٩٦٨ ، وكان معروفا لدى جميع القيادات العسكرية المصرية حجم بطش وسيطرة الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية فى تلك الأيام ، ومعنى أن يتقدم ببلاغ الى المدعى العسكرى العام ضد أحد ضباط عبد الحكيم عامر الذين تمت تصفيتهم بوقوع نكسة ١٩٦٧ وبموت عبد الحكيم عامر نفسه ... معنى ذلك صراحة أن يعمل

المدعي العسكري من تلقاء نفسه وعلى الفور لكي يدين هذا الضابط ... هكذا كان يؤمن ويفهم كل ضابط في جيش مصر أسلوب قيادة الفريق أول محمد فوزي ... الأمر الذى لم يحدث على الاطـــلاق لدى اللواء عبد الرزاق حجازى المدعى العسكرى العام ... بل قام الرجل بضمير القاضي باجراء تحقيق دقيق مكثف استغرق ثمانية شـــــهور ، وانتهى بقراره الذى جاء فى بدايته « لا وجه لاقامة الدعوى » ضد اللواء طيـــار متقـاعد عصام الدين محمود خليل ـ وهو القرار الذى أفرد له الفصل السابع والأخير من الكتاب ، وأنشر نصه حرفيا ليس تعاطفا مع الطيار عصام خليل أو تأييدا له وانما تقديرا واكبارا لموقف صادق وطني جرىء وقفه القاضي العسكرى ، وهو يعلم انه سيدفع الثمن محتما ـ وبالفعل ـ أحيل الى التقـــاعد بعد فترة قصيرة من صدور قراره ! .

● ويعنيني من هذا القرار ونشره حرفيا ما تعكسه سطوره من تقييم لحقيقة الأوضاع التى سـادت مناخ الستينات عبر القيادة العامة للقـوات المسلحة المصرية وضباطها الكبار وعلاقاتهـــا غير الطبيعية والتى جاءت بالضرورة كوضع طبيعى بالهزيمة او النكسة العسكرية فى يونيو ١٩٦٧ .

● ولقد أحيط هذا المناخ بستائر الصمت والسرية حتى لا تتكشف كل حقائقه أمام الرأى العـــام المصرى والعالمى ... وحتى ما ســـمحوا بنشره بعد ذلك عن فساد مجتمع القيادة العســـكرية المصرية الذى أفرز نتائج يونيو ١٩٦٧ ، المشئومة التعسة ، كان بحساب دقيق ، حتى لا يتبين أحد جذور هذا المناخ الفاسد !!

نص القرار العسكرى الجرىء

((قرار))

بألا وجه لاقامة الدعوى ضـــد

اللواء متقاعد عصام الدين خليل

بتاريخ : ١٩٦٨/١٠/٢ .

لواء : عبد الرزاق أحمد ابراهيم حجازى ..

المدعى العام العسكرى

بعد الاطلاع على الأوراق والتحقيقات ..

وحيث أن الوقائع تتخلص فى بلاغ ورد من السيد وزير الحربية برقم ٨٢٨ - ٣٣٩٥ بتــاريخ ٦٨/٢/٢٤ ويتضمن أنه سبق أن قامت القيـــادة العربية الموحدة بتحويل مبلغ ٤٠ ألف جنيه استرلينى ، ومبلغ ١٢٠ ألف جنيه استرلينى على بنك الــكريدى سويس بسويسرا لحساب اللواء طيار متقاعد عصام الدين محمود خليل وان اللواء المذكور أقر بأنه لا يوجد أى حسابات بالخارج أو أى مبالغ طرف أى أشخاص خارج الجمهورية العربية المتحدة ، وانه توجد مبــالغ أميرية خاصة بالمشروعات

وتعهد بأنه لن يسحب أى مبالغ من الأموال الموجودة فى هذه البنوك الثلاثة ..

وحيث أن البلاغ المذكور تضمن أيضا أن الهيئة المصرية العامة للطيران أفادت وزارة الحربية بتاريخ ٥/١٠/٦٧ بأن جملة المبالغ المحولة بمعرفة الهيئة الى كل من بنك الكريدى سويس ، وبنك دويتش تعادل بالنقد المصرى ٢٫٤٦٩٫٨٤٠ جنيها و ٨ مليمات وأن اجمالى المبالغ المنصرفة من واقع المستندات والحسابات المقدمة من سيادته تعادل بالنقد المصرى مبلغ ٢٫٤٨٢٫٧٤٤ جنيها و ٨٩٨ مليما وبذلك يكون رصيده دائنا بمبلغ ١٢٫٩٠٤ جنيهات و ٨٩٠ مليما .

كما أفادت الهيئة بأن مبلغ ٤٠ ألف جنيه ، ١٢٠ الف جنيه استرلينى التى حولت الى بنك الكريدى سويس لم يخصما من حصة الهيئة بالنقد الأجنبى وانه يتعذر على الهيئة تحديد الرصيد الباقى حاليا لدى كل بنك من هذه البنوك الثلاثة الأجنبية على حدة نظرا لأن كشوف حسابات هذه البنوك ليست تحت يديها كما أن عمليات التحويل والصرف الكاملة ليست لديها وأنه لا علم للهيئة عما تم بخصوص هذين المبلغين لعدم ادراجه بدفاترها الحسابية ..

وأضاف البلاغ ان اللواء طيار متقاعد أفاد بأن حسابات المبالغ التى حولت باسمه الخارج سواء عن طريق الهيئة المصرية العامة للطيران او من القيادة العربية الموحدة لها أساس بدفاتر وسجلات الهيئة المصرية العامة للطيران وأنه على استعداد لتسويتها بمجرد زوال الظروف التى تحيط به وذكر البلاغ أنه اتضح أن اللواء متقاعد يحتفظ بحساب فى بنك دويتش

بالمانيا الغربية بمبلغ قيمته ١٢٫٢٨١٫٠٩٤ مارك (فقط اثنى عشر مليونا ومائتين واحد وثمانية واربعة وتسعون) ، وان رقم الحساب ٩٧٫٥٢٠ .

وانتهى البلاغ بطلب اقامة الدعوى ضد اللواء طيار متقاعد عصام الدين خليل عسكريا .

وحيث أنه بسؤال اللواء طيار متقاعد المبلغ ضده قرر أن مبلغ الأربعين الف جنيه استرلينى حول على بنك الكريدى سويس بالاتفاق مع السيد الفريق عبد المنعم رياض وتم اخطار الهيئة المصرية العامة للطيران بهذا التحويل وحسابات مصروفاته كانت تخطر بها الهيئة ..

وبالنسبة لمبلغ المائة والعشرين الف جنيه استرلينى فقد حول لشراء أصناف للمصنع ٣٣٣ الحربى وتمت موافقة المرحوم المشير على التحويل وقام السيد الفريق محمد فوزى باتمام عملية التحويل لحساب اللواء متقاعد فى بنك الكريدى سويس ..

وقد تم اخطار الهيئة المصرية العامة للطيران بهذا المبلغ وكيفية انفاقه ..

وذكر أن الهيئة المصرية المشار اليها هى التى تتولى حساباته باعتباره عضوا فى مجلس ادارتها وفى نفس الوقت مدير مكتب نائب القائد الأعلى للمشروعات الحربية الخاصة . وبهذه الصفة ليست له ميزانية مستقلة أو خاصة ولكنها كانت تضاف أو تؤخذ من ميزانية الهيئة المصرية العامة للطيران وهى أعمال حسابية ليس فنيا فيها لأن كل مهمته هى تلقى التحويلات فى البنوك الثلاثة المشار اليها فى الخارج واستخدام المبالغ فى شراء أصناف لحساب المشروعات الحربية الخاصة

متخفيا تحت صفة واسم لا يظهر شخصيته الحقيقية والرسمية ولذلك كان الحساب شخصيا ولا يمكن الصرف منه الا بامضائه الشخصى .

كما ان المبالغ تتجمع فى حساباته لدى البنوك الثلاثة ثم ينفق منها ولا يمكنه تحديد أوجه إنفاق مبلغ ٤٠ ألف جنيه أو ١٢٠ ألف جنيه لأنها أضيفت الى حساباته لدى البنك السويسرى ..

وقرر أن الموجود فى حساباته لدى البنوك الثلاثة الآن هو الفرق بين المحول والمنصرف وان لديه مستندات كانت موجودة فى منزله تبين حساباته ولكن السلطة التى قامت باعتقاله حرزت هذه الأوراق والمستندات ..

وأوضح حقيقة رقم الحسابات الموجودة لدى بنك دويتش وانه يقدر باثنى عشر ألفا ومائتين وواحد وثمانون ماركا وسبعة وتسعون فرنكا .

وحيث انه بسؤال العقيد طيار السيد محمد نديم قرر انه كان يعمل مديرا لمكتب اللواء طيار متقاعد عصام الدين خليل واتفقت أقواله مع أقوال اللواء المذكور .

وحيث انه بالاطلاع على بعض المكاتبات فى مكتب اللواء متقاعد عصام الدين خليل والذى يشرف عليه حاليا الرائد / رمزى البسيونى ضابط أمن الهيئة العامة للطيران اتضح من هذه المكاتبات ما يفيد اخطار المكتب للهيئة المصرية العامة للطيران بمبلغ ٤٠ ألف جنيه ، ١٢٠ ألف جنيه استرلينى عند تحويلهما الى بنك الكريدى سويس ..

وحيث انه بسؤال المهندس ابراهيم ضياء الدين طه رئيس الهيئة المصرية العامة للطيران قرر أن مجموع

المبالغ التى حولت باسم اللواء متقاعد عصام الدين خليل منذ عام ١٩٥٩ حتى تاريخ تقاعده بلغت ٢ر٤٦٩ر٨٤٠ جنيها و ٨ مليمات وكان اللواء المذكور يقدم فواتير بالمبالغ ومستنداتها الى الهيئة لمعالجتها حسابيا ونتيجة هذا الحساب ان حسابه دائن للهيئة بمبلغ ٩١٨١ جنيها و ٧٧١ مليما حسب الفواتير التى أرسلت للهيئة حتى الآن .

وقرر ان الهيئة العامة للطيران هى المسئولة عن مراجعة وضبط المبالغ التى حولت له عن طريق الهيئة . وانه بالنسبة لمبلغ ٤٠ ألف جنيه استرلينى ومبلغ ١٢٠ الف جنيه استرلينى فان اللواء متقاعد عصام الدين خليل قام باخطار الهيئة فى حينه . بأن القيادة العامة حولت المبلغ الأول والقيادة العربية الموحدة حولت المبلغ الثانى وتم التحويل باسمه فى بنك ألكريدى سويس . ولم يرد للهيئة اى اخطار من هاتين الجهتين .

وذكر انه لما كان هذا المبلغان محولين عن غير طريق الهيئة فان الهيئة لم تقم بدرجهما فى ميزانيتها ولكن تم التفاهم بين الشاهد وبين اللواء على أساس قيام الهيئة بفتح دفتر حسابى للمبلغين حتى يمكن ضبط ما يصرف منهما .

وقرر ان طبيعة مهمة اللواء متقاعد عصام الدين خليل هى شراء البضائع التى لها طبيعة خاصة ولا يمكن شرائها بالطريقة الروتينية أو الوسائل العادية ولذلك يتم تحويل نقد أجنبى باسمه فى البنوك الثلاثة (دويتش ، كريدى سويس ، يونايتد ستيت) وكان دور اللواء هو التعاقد بوسيلته الخاصة دون التقيد بأى نظم او لوائح مالية ثم يقوم بالدفع من حساباته الخصوصية لدى البنوك

ويوافي الهيئة بالفــواتير لاستنزال قيمتها من حساب السلفة الخاصة به ولاتخـــاذ الاجراءات المخزنية من استلام البضائع وفحصها واضافتها العهدة ..

وقرر انه فى بعض الأحيان كانت جهات أخرى مثل القوات الجوية والمخابرات العامة والقيادة العامة تقــوم بطلب خدمات خاصة بها ويصدق عليها فكان اللواء يتولى اخطار الهيئة بما ينفقـــه على هذه المطلوبات والفواتير المؤيدة لها حتى تقوم الهيئة باسترداد المبالغ بالنقـــد المصرى من هذه الجهات .

وقرر ان الهيئة على استعداد لعمل الحساب النهائى لكافة مصروفات اللواء متقــاعد عصام الدين خليل اذا وجدت كافة المستندات الخاصة بعملياته الحسابية ..

وانه يمكن حصر الحساب باتباع الخطوات التالية ..

١ ـ التعرف على رصيد حساباته الحالى لدى بنوك دويتش ، وكريدى سويس يونايتد ستيت ..

٢ ـ يضاف الى هذا الرصيد مديونية الهيئة لعصام الدين خليل ..

٣ ـ يضـــاف اليه كذلك مبلغ ٧٨٤٥٥ر٨٠ مارك المانى + ٢٤ فرنك سويسرى قيمة صفقة سيارات لحساب رئاسة الجمهورية والقيادة العليا للقوات المسلحة دفعها عصام الدين خليل من حساباته وأخطر بهـا الهيئة فى ٢٨/١٠/١٩٦٧ .

٤ ـ الاطلاع على الفواتير والمستندات التى لا تزال طرفه ..

٥ ـ يقارن مجموع الرصيد المتبقى بمبلغى ٤٠ الف جنيه ، ١٢٠ الف جنيه استرلينى المحولة للواء عصام

من القيادة العامة والقيادة العربية الموحدة فاذا تساوى الرقمان كان الحساب مضبوطا ..

واضاف المهندس ابراهيم ضياء الدين ان اللواء متقاعد عصام الدين خليل كان فى سبيله الى تسليم المستندات التى لديه فعلا عقب تقاعده وطلب مقابلة مراقب عام الشئون المالية بالهيئة للتفاهم معه على طريقة وترتيب تسليم المستندات غير ان الأمر لم يتم لظروف اعتقاله .. وما زالت المستندات لم تصل تحت يد الهيئة .

وأبدى الشاهد تأكيد الهيئة ومسئوليتها واستعدادها لفحص حساباته بعد وصول المستندات .

وحيث انه قد صدر كتابنا رقم ن/١/عمومى ٦٨ ــ ١٥٢٠ بتاريخ ١٩٦٨/٣/٢٦ الى المخـــــابرات الحربية لموافاتنا بكافة الأوراق والمستندات الخاصة بعهدة اللواء متقاعد عصام الدين خليل وحساباته المالية والتى حرزت وقت اعتقاله . فورد لنا رد المخـــــابرات الحربية فى ١٩٦٨/٤/١ مرفقا به الكشوف والأوراق المطلوبة . كمـا وافتنا المخابرات الحربية بثلاثة اخطارات لبنوك دويتش، كريدى سويس ، يونايتد ستيت مؤرخة فى ديسمبر ٦٧ تبين الرصيد المتبقى باسم اللواء عصام الدين وحيث انه بعرض هذه الأوراق على اللواء متقاعد عصام الدين خليل أقر بأنهـا الأوراق المطلوبة والتى تحتوى على حساباته ولا يخشى وجود غيرها . وأوضح انه على استعداد لعمل الحساب امام لجنة متخصصة واثبات خلو طرفه واضافة واقعة مؤداها انه توجد مستندات موقع عليها بالصرف من المشير ولكن رغم ذلك لم يقم اللواء متقاعد بصرفها لعدم وجود مسوغ الصرف بعد التصديق ذلك ان المبلغ كان

مفروضا صرفه للخبير الألمانى هانز كروج ولكن اختطف الخبير قبل صرف الشيك الأمر الذى دعا عصام الدين خليل الى وقف الصرف ..

وحيث انه بتاريخ ٦٨/٤/٢ قررت النيابة العسكرية تشكيل لجنة فنية من المهندس ابراهيم ضياء الدين طه مدير الهيئة المصرية العامة للطيران والسيد محمد محمود قطب مراقب عام الشئون المالية للهيئة والعقيد طيار السيد على نديم وتم للجنة استلام الاوراق والمستندات اللازمة لأداء مهمتها ووقع الاستلام بحضور اللواء متقاعد عصام الدين خليل ..

وحيث انه فى ٦٨/٤/٢٥ انهت اللجنة عملها وقدمت اجراءاتها وضمنتها اطلاعاتها على المستندات والدفاتر بما فى ذلك حساب مبلغ ٤٠ الف جنيه استرلينى ومبلغ ١٢٠ الف جنيه استرلينى ..

وانتهت اللجنة الى ان رصيد اللواء متقاعد عصام الدين خليل مدين بمبلغ ١٥٠ جنيها و ٥٣٠ مليما وفى تقرير اللجنة ان الحساب على الوجه السابق يعتبر حسابا تقريبيا حيث استخدمت أسعار تقريبية للعملات الأجنبية بالاضافة الى ان اللجنة تبين لها انه لم تحتسب أى مصروفات بنوك خلال الفترة من ١٩٥٩ حتى ١٩٦٧ كما انه تبين لها ان هناك تسويات كثيرة تمت خلال هذه الفترة بأسعار تقريبية للعملات المختلفة مثل المارك والدولار والجنيه والاسترلينى لعدم معرفة الأسعار الفعلية التى تمت بها تحويل هذه العملات من الفرنك السويسرى الى هذه العملات ..

وبتاريخ ٦٨/٥/٢ صدر قرار السيد وزير الحربية بتكليف اللواء طيار متقاعد عصام الدين خليل بنقل

حساباته الرسمية المتبقية فى البنوك الأجنبية الى السيد العميد أ . ح عز الدين مختار الملحق العسكرى للجمهورية العربية المتحدة فى باريس . وبناء على ذلك تم سحب الشيكات التالية ووقع عليها اللواء طيار متقاعد المذكور ..

(١) شيك على بنك يونايتد ستيت ناشونال بمبلغ ٢١٥٧٥ دولار و ٨٣ سنتا يحمل رقم ٦٨٨٢ ورقم ٦٠-٩٠ - ١٢٢٢ ومؤرخ ١٩٦٨/٥/٦ .

(٢) شيك على بنك دويتش بمبلغ ١٢٢٨٠ مارك ، ٩٧ فنيك يحمل رقم ٣٧٣٥١ ورقم حساب ٩٧/٠٧٩٥٠ ومؤرخ ١٩٦٨/٥/٦ ..

(٣) شيك على بنك كريدى سويس بزيورخ بمبلغ مليون وسبعمائة وواحد وعشرون وسبعمائة وتسعة وثلاثون فرنك ويحمل رقم ٣٦٧٨٠٠٢ ومؤرخ ٦٨/٥/٦ .

وأرفقت الشيكات الثلاثة بخطاب المدعى العام العسكرى رقم ن/١/عمومي/٦٨ بتاريخ ٦٨/٥/٧ الى مدير المخابرات الحربية لتنفيذ قرار السيد وزير الحربية .

واجابة على هذا الكتاب صدر كتاب السيد مدير المخابرات الحربية الى السيد وزير الحربية رقم مم/ ٣٠٣/١/٨/٦/٢ بتاريخ ١٩٦٨/٨/١٧ . وصورته الى المدعى العام العسكرى بأنه قد تم تحصيل قيمة الشيكات الثلاثة وأودعت قيمة كل شيك بحساب منفصل باسم الملحق .

وان أرقام الحسابات كالآتى :-

أ ـ حساب الدولارات ١٨٢/٣٩ ـ ٠٢٦/٢٠٠ وقيمته ٢١٥٧٥ر٨٣ دولار .

ب ـ حساب الماركات الألمانى ١٨٢/٠١-٠٢٦/٢٠٠ وقيمته ١٢٢٨١ر٩٧ مارك ألمانى .

ج ـ حساب الفرنكات السويسرية ١٣ ظ ١٨٢/٠٢٦/٢٠٠ وقيمته ١٧٢١٧٣٩ر٠٠٠ فرنك سويسرى .

وحيث انه تبين مما تقدم ان الموقف الرسمى لحساب اللواء متقاعد عصام الدين خليل ، كان يتوقف اظهاره على عناصر رئيسية أوضحها المهندس ابراهيم ضياء الدين فى أقواله واهمها تواجد المستندات التى كانت فى حوزة اللواء متقاعد .

وقد تأخر تقديم هذه المستندات لسبب خارج عن ارادة السيد المذكور هو وضعه فى الاعتقال فى الوقت الذى كان مزمعا فيه أو هو بسبيله الى تسليمها للمختصين بالهيئة بعد تقاعده عن العمل ..

وحيث انه قد اتضح من اجراءات اللجنة ان موقف السيد عصام الدين خليل مدين بمبلغ ١٥٠ جنيها و ٥٣٠ مليما وقد أوضحت اللجنة فى اجراءاتها أنه لم تحتسب من هذه المديونية مصروفات البنوك خلال الفترة من ٥٩ حتى ٦٧ كما احتسبت أسعار التسويات بصفة تقريبية لعدم توفر المعرفة الفعلية للأسعار .

وحيث انه بالاضافة الى هذه الأسباب فان حجم ما انفقه السيد عصام طوال مدة عمله فى المشروعات الحربية الخاصة بمبلغ ٢ر٤٦٩ر٨٤٠ جنيها لحساب الهيئة المصرية العامة للطيران ، يضاف اليها المبالغ التى

كانت تحول اليه من جهات أخرى مثل مبلغ ٤٠ ألف جنيه ، ١٢٠ ألف جنيه استرلينى ..

أى ان حجم المبالغ المتعامل بها يفوق المليونين ونصف المليون جنيه ، ومن غير المتصور ان يكون فرق المديونية البالغ ١٥٠ جنيها و ٥٣٠ مليما يمثل مبلغا مختلسا أو مستولى عليه ، وانما المؤكد انه يمثل الفروق الحسابية السابق الاشارة اليها .

وحيث أن الثابت من اجراءات اللجنة من اخطارات البنوك بالخارج أن الحساب المودع باسم السيد عصام الدين خليل مبلغ ١٣٥٩٦٣٧ر١٣٥٩ (دويتش) + ٩٤٣٧ر٠٥٢ (يونايتد ستيت) + ١٧٤٨٦٣ر٢٥٦ (كريدى سويس) مجموعها ١٨٥٦٥٩ر٩٤٥ جنيه مصرى ..

وحيث أن وزارة الحربية قد استعادت هذا المبلغ الموجود بالبنوك الأجنبية بكامله — والدولة صاحبة الحق فيه — غير أن المبالغ التى تم نقل أرصدتها تقل عن مبلغ ١٦٠ ألف جنيه استرلينى (تعادل مبلغ ١٩٦٣٤٠ر٨٠٠ جنيه مصرى) والذى يخص وزارة الحربية — بما يساوى مبلغ ١٠٦٨١ر٨٠٠ جنيه مصرى .

وحيث ان مبلغ ١٦٠ الف جنيه استرلينى دخل فى التسويات التى أوردتها اللجنة الفنية المشكلة بأمر النيابة العسكرية والتى انتهت نتيجتها الى ان اللواء طيار متقاعد عصام الدين خليل مدين بمبلغ ١٥٠ جنيها و ٥٣٠ مليما الأمر الذى يبنى عليه بالضرورة أن فرق المبلغ المكمل لمبلغ ١٦٠ الف جنيه استرلينى والبالغ

١٠٦٨١ جنيها و ٨٠٠ مليم السابق ذكره انها استخدم في أغراض لحساب الهيئة المصرية المسماة لشئون الطيران ..

وحيث أنه لم يثبت من الوقائع التى عرضت في التحقيق أن اللواء طيار متقاعد عصام الدين خليل قد أساء استخدام وظيفته أو أنه استولى لنفسه على أموال مما كانت تسلم اليه بمقتضى تلك الوظيفة ، بل أن الثابت أن الأموال التى كانت فى حوزته وجدت على حالها وبعد أن سلمت اليه تسليما قانونيا بمقتضى وظيفته ، ثم ارتفعت يده عن هذه الأموال بغتة بالقيد الذى وضع على حريته ، ولما أن كلف بتسليم الأموال بادر الى ذلك على نحو ينفى النية بالاحتفاظ بها لنفسه ..

وحيث أن محصلة كل ما تقدم نتيجتان :

أولاهما : انه لا جريمة يمكن اسنادها ـ طبقا لما استبان من التحقيق ـ الى اللواء طيار متقاعد عصام الدين خليل ..

وثانيهما : ان وزارة الحربية قد استعادت المبالغ التى سبق لها أن سلمتها للمذكور ينقص منها مبلغ ١٠٦٨١ جنيها و ٨٠٠ مليم استخدم لحساب الهيئة المصرية العامة للطيران الأمر الذى يقتضى مطالبتها به ..

« وبناء عليه »

نأمر :

أولا : قيد الدعوى برقم ادارى .

ثانيا : عدم وجود وجه لاقامة الدعوى ضد اللواء طيار متقاعد عصام الدين خليل لعدم الصحة .

ثالثا : على الأجهزة المختصة بوزارة الحربية ـ أن رغبت ـ مطالبة الهيئة المصرية للطيران بفرق المكمل لمبلغ ١٦٠ ألف جنيه استرلينى ..

لواء / عبد الرزاق احمد ابراهيم حجازى
المدعى العام العسكرى
امضاء

طبق الأصل /

مستند استلام

استلمت أنا الرائد عز الدين حسن رياض عضو النيابة العسكرية بادارة المدعى العام العسكرى الشيكات الآتية من السيد اللواء متقاعد عصام الدين خليل وباسم العميد أ . ح عز الدين مختـــــار الملحق العسكرى للجمهورية العربية المتحدة بباريس . وهذه الشيكات هى :

الشيك الأول : على بنك دويتش بمبلغ ١٢ر٢٨١ر٧٩٠ مارك . ورقم الشيك ٣٧٣٥١ . برقم حساب ٩٧ر٧٠٥٠ ولا يصرف الشيك الا لحامله (فقط المبلغ اثنى عشر الفا ومائتين وواحد وثمانون مارك وسبعمائة وتسعون فنيك) ويحل بتاريخ ١٩٦٨/٥/٦ .

الشيك الثاني : على بنك كريدى سويس بزيوريخ بمبلغ ١ر٧٢١ر٧٣٩ فرنك ورقم الشـــــيك ٣٦٧٨٠٠٢ ورقم الحساب ٣٦٠١٤٧ ويحل الشيك بتــاريخ ١٩٦٨/٥/٦ القاهرة تفقيط المبلغ (مليون وسبعمائة واحــد وعشرون الف وسبعمائة وتسعة وثلاثين فرنك) .

الشيك الثالث : على بنك يونايتد ستيتس ناشونال

بمبلغ ٢١٥٧٥ر٨٣ دولار ورقم الشيك ٦٨٨٢ فى أسفله ويحمل رقم ٦٠ ــ ٦٩/٢٢٢ فى أعلاه ويحمل الشيك تاريخ ٦/٥/٦٨ تفقيط المبلغ (واحـــد وعشرون الف وخمسمائة وخمسة وســـبعون دولار وثلاثة وثمانون سنت) . وذلك طبقـــا لتأشيرة السيد وزير الحربية والمبينة فى محضر النيابة العسكرية فى القضية رقم ١ محضر تحقيق لسنة ١٩٦٨ المدعى العام العسكرى وهذا ايصال بالاستلام .

محرر بتاريخ ٦/٥/١٩٦٨ (السادس من مايو سنة الف وتسعمائة وثمانية وستون ميلادية .

عز الدين رياض
عضو النيابة العسكرية

الفصل الثامن :

الركوض نحو الهزيمة

★ بلا مقـــدمات ، على غرار الفصول السابقة من الكتاب ... تعـال تقرأ هذا الفصل الثامن والأخير ـ حصيلة أخطر الأعوام والمراحل فى عمر ثورة يوليو ١٩٥٢ ـ تلك الفترة التى انتهت بيونيو ١٩٦٧ ★

أكتب الفصل « الثامن » والأخير من هذا الكتاب عن ركوض السلطة فى مصر منذ منتصف الستينات نحــو « الهزيمة العسكرية » الفادحة ــ ولأختتم به الفصول السبعة السابقة ، وما أردت بها غير أن أصف « المناخ » الذى قادنا الى ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وما بعده من أيام قاسية طويلة ــ طاف الأمل خلالها بخيالنا ما بين عامى ١٩٦٩ ــ ١٩٧٠ ــ وهى فترة أطلق عليها « حرب الاستنزاف » وعبور بعض الوحدات العســـكرية المصرية الى الضفة الشرقية للقناة ، لتقـــاتل هناك معركة قصيرة ، وتعود بعدها الى قواعدها بالضفة الغربية ! ثم سادنا « الصبر والصمت » الذى رفع الرئيس السادات شعاره فى نهاية عام ١٩٧١ ــ حتى قامت حرب أكتوبر الرمضانية عام ١٩٧٣ ــ واسترد الشعب المصرى بأكتـــوبر ــ كرامته وثقته بقواته المسلحة .

●● ولقد صـــدرت كتب كثيرة عن نكسة ١٩٦٧ ، باللغات العربية والعالمية ــ وأكثرها فى ذهنى وأنا أكتب هذه الصفحات ــ فاذا أضفت اليهـــا اليوم « الفصل الثامن » من هذا الكتاب « مأساة عبد الحكيم عامر » انما أحاول اضافة « شىء » الى ما صدر من كتب

ووثائق تسهم فى العثور على الحقيقة وتشير الى الجناة ـ خاصة وان ما نشر فى مصر عن « النكبة » كما يصفها البعض أو نكسة يونيو ، كان أغلبه صادرا من بعض قادة يونيو نفسه ، وعدد ليس بكبير من هؤلاء القـــادة ، استمروا فى مواقعهم العسكرية القيـــــادية ، وقال الآخرون الذين أحيلوا الى التقاعد :

« كيف يبقى من اشـترك فى صنع النـكسة ليعالج اصلاح جريمته ؟!! » .

●● ولقد اشترك الجميع ، الذين أبقـوا عليهم ، والذين ابعدوهم عن القـــــوات المسلحة فى اصدار البيانات ، ودبلجة المقالات ونشر الـكتب ما بين ١٩٧٢ ـ ١٩٧٦ ـ يبرئون فيهـا أنفسهم من شبهة الاهمال أو التقاعس أو التغـاضى عن التنبيه والتحذير أو مسايرة اللاهين والمنحرفين من زملائهم كبار القادة الذين الحقوا الهزيمة بنا ـ ويكادون جميعا يقولون فى صوت واحد وبنغمة واحدة ان المسئولين هما « جمال عبد النـاصر وعبد الحكيم عامر » فقط ! .

● وهكذا اقتنع أو خدع البعض بهذا الكلام ، مما دفعنى الى اعداد هذا الفصل ـ ورصيدى الذى ألجأ اليه ليس البيانات أو الوثائق أو المراجع التى أشرت اليها ـ بل المعايشة الكاملة للموقف على الطبيعة بـكل أبعاد تطوراته وهى معايشة نابعة من ارتباطى كصحفى عاشق للعسكرية المصرية ـ بقواتنا المسلحة منذ صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ وحتى اليوم ـ وملازمتى للقيادة العامة وبعض فروعها الرئيسية خلال الأسـابيع القليلة التى سبقت الركوض نحو الهزيمة ـ ثم انتقـالى الى مسرح سيناء صباح يوم ١٧ مايو ١٩٦٧ ـ الى أن عدت منسحبا مع

بعض وحدات المظلات من منطقة « شرم الشيخ » جنوب سيناء ، ظهر يوم ٨ يونيو ١٩٦٧ ـ وشهدت لأول مرة فى حياتى شكل الانسحاب وبشاعته ونجونا بأعجوبة ـ فقد رافقت فى رحلة الركوض نحو الضفة الغربية للقناة ثم السويس ـ بعض الزملاء ، وهم الاذاعى الشهير يوسف مرزوق ، والصحفى سند جاد الحق ، والمصور الصحفى صلاح عبد البر أحمد .

● وفى بداية مايو ١٩٦٨ بذلت جهدا مكثفا حتى حصلت على تصريح بنشر خمس مقالات عسكرية لمدة خمسة أسابيع متصلة ـ فوق صفحات « مجلة المصور » التى أعمل بها ـ اكدت فيها كيف قاتل المقاتل المصرى أشرف القتال وكيف استبسل فى معركته دون غطاء جوى يحميه فى مواجهة عدو يملك التفوق فوق الأرض والمظلة الجوية فوقه تمهد له الطريق بابادة القوات المصرية قبل أن يقترب منها برا ، وبالرغم من هذا الموقف ظل المقاتلون المصريون يقتحمون القوات الاسرائيلية فى هجوم انتحارى ، بل وقاتل بعضهم بالسلاح الابيض وكيف جاد أبناؤنا بأغلى ما يملكون فى هذه الحرب دفاعا عن شرف العسكرية المصرية ، ثم صدر قرار الانسحاب فكان أشبه بطعنة فى الظهر !! .

● وبالطبع لم يستطع أحد على الاطلاق فى هذه الفترة أن يتساءل من الذى أصدر هذا القرار ؟ هل هو المشير عبد الحكيم عامر حقا ؟ أم أن هناك من شاركه فى اصدار مثل هذا الأمر .. أمر الانسحاب الفورى والذى نفذ بأسلوب جنونى هو الخيانة بعينها ؟! .

●● ولقد ظللت حريصا على موقعى فى قواتنا المسلحة بعد عودتى من سيناء ظهر ٨ يونيو ١٩٦٧ ـ

واستمرار الكتابة عن معدن المقـــاتل المصرى وكفاءته ومعاركه التكتيكية والصغيرة ما بين يوليو وأكتوبر ٦٧ برا وجوا وبحرا ــ ثم معـــارك نوفمبر ١٩٦٨ ــ التى تكلمت فيها المدفعية المصرية بصوت مدو وبعدها معارك عامى ١٩٦٩/١٩٧٠ ــ وقد توقف القتـــال صباح ٨ اغسطس عام ١٩٧٠ ــ ثم أســـتمر شعار « الصبر والصمت » مطبقا ــ لكننى لم أتوقف عن الكتابة فى حجم ومدى استعداد قواتنـــا لتحطيم أسر سيناء ، حتى منتصف سبتمبر ١٩٧٣ ، وكرمنى الله بدخول سيناء المحررة بعد ذلك فجر ٧ أكتـوبر عام ١٩٧٣ مع احدى كتائب « الفرقة ١٦ » مشاة بقيـادة البطل الشهيد لواء شفيق مترى سدراك ، أحد قادة الجيش الثـــانى الميدانى .

●● أعود بعـــد ذلك الى الوراء ... الى الملامح الأخيرة للمناخ القيادى العسكرى فى قواتنا المسلحة قبل يونيو ١٩٦٧ ــ وما بعده من أيام تعسة ...

● فى القاهرة التقيت بالفريق أول طيـار محمـد صدقى محمود قائد القـوات الجوية المصرية السابق ــ وأجريت معه حديثا صحفيا ــ صباح السبت ١٣ مايو ١٩٦٧ ــ وقد راجع الحديث وصدق بنشره يوم الاثنين ١٥ مايو ١٩٦٧ ــ بعد أن حذف منه بعض الأسئلة وبالتالى أجوبتها ــ ثم نشر هذا الحـــديث الصحفى « بمجلة المصور » العدد الصادر يوم ١٩ مايو ١٩٦٧ ــ وكنت قد انتقلت الى مسرح سيناء مع الحشد الهـــائل من التشكيلات المدرعة ، وتشكيلات الصـــواريخ والمدفعية التى قطعت شوارع القاهرة نهارا ــ فى طريقها الى سيناء فى نهاية الاسبوع الثانى من مايو ــ بعـدها اصـــدر

المشير عبد الحكيم عامر ـ « امر القتال رقم واحد » ـ ووزع فى جميع المسارح العسكرية المصرية ، ومن بينهـا مسرح سيناء ـ وبلغت سطور « أمر القتال » هذا ـ أكثر من ستين سطرا ، جاءت كلهـا قطعـة انشائية جميلة تتحدث عن مصر ودورها العربى وضرورة ردع اسرائيل ـ وابتعدت تماما عن اى واجبات أو قرارات حربية أو عسكرية ... يصدرها المشير عامر ، وكان الهدف من أمر القتال هذا سياسيا بحتا ! .

● نعود الى الفريق أول طيار صدقى محمود .. واهم ما جاء فى حديثه الصـحفى ـ والذى جعل السفارات الأجنبية المختلفة فى مصر تبعث فى طلب شراء نسخ « مجلة المصور » العدد الذى نشر به هذا الحديث ـ وتدفع فى النسخة الواحدة « بعد النكسة » جنيهين كاملين ، وقد اشترت احدى السفارات أربعين نسخة ، دفعة واحدة بمبلغ ثمانين جنيها ! .

● لقد صرح قائد قواتنا الجوية السابق ، فى هذا الحديث الصحفى ولأول مرة بأننا نملك الطائرة الروسية « سوخوى » ووصفها بأنها أحدث مقاتلة قاذفة فى العالم ـ كما صرح ايضا بأن هناك اربعة أسباب تمنع اسرائيل من التفوق علينا .. وفى كلا التصريحين لم يكن يلتزم الصدق ، بل المشاركة فى عملية شحن الجماهير المصرية اعلاميا حتى الحد الأقصى ، وقد اقتنعت القيـادة السياسية والعسكرية ، وبطبيعة الحال لم يـكن هناك احد من معاونيهم يجرؤ على الاعتراض او نقد ما تقتنع به القيادات العليـا من فكر او وجهـات نظر او خطط استراتيجية ... اقتنعت « القيـادة » تماما بأن امريكا وأسرائيل ستتراجع عن الهجـوم على مصر بل

ستطلب كل منهما فرصة الابقاء على الباب مفتوحا ، لأن حكومتى واشنطن وتل أبيب على يقين كامل من قـدرة مصر العسكرية المتفوقة ، ومن تدخل موسـكو بشكل إيجابى لمسـاندة مصر اذا حاولت اسرائيل وحدها أو أمريكا من خلفها محاولةضرب مصر ! .

● ان هذا التفسير الذى أكتبه اليوم ليس من عندى بل هو اختصار شديد لوجهة نظر بعض القادة العسكريين المصريين الذين لا يمكن للمرء غير احترامهم ـ اكبـارا لسيرتهم الوطنيـة ـ وقد اقتربوا كثيرا من الرئيس الراحل جمـال عبد الناصر بعـد يونيو ١٩٦٧ ـ وحتى وفاته فى سبتمبر ١٩٧٠ .

● اننى أستأذن القارىء فى نشر بعض ما تحدث به الفريق أول طيار محمد صدقى محمود قبل تقاعده ثم محاكمته عسـكريا ، وانضمامه الى نزلاء السجون حتى افرج عنه الرئيس أنور السادات عام ١٩٧٤ تلبية لرجاء الفريق طيار محمد حسنى مبارك ـ قائد القوات الجوية المصرية فى حرب أكتوبر الرمضانية .

● قلت للرجل : نشر معهد الدراسات الاستراتيجية لبحوث الدفاع فى لندن ـ أخيرا ـ ان اسرائيل تملك سربين من الطائرات القاذفة بكل منهما ٢٠ طائرة من النوع الذى يحمل اسم أوراجان .. فما هى هـذه الطائرة ؟ .

● وأجاب الطيار القديم :

ـ هى طائرة قاذفة مقاتلة فرنسية الصنع ولا تشكل اى تهديد ـ وقد حصلت اسرائيل عليها منذ زمن طويل ـ وكنا نتعامل معها بكفاءة بواسطة الطائرات الفامبير .

« وقد ظهر خلال جولة يونيو ان اسرائيل طورت هذه الطائرات واستخدمتها أمثل استخدام » .

● عدت أقول له :

● جاء فى تقرير ذلك المعهد أيضا ان اسرائيل لديها سرب من طائرات « فوتور » تستطيع كل طائرة منهـا حمل قنبلة ذرية تزن ٦٠ طنا وان لديها ثلاثة أسراب « ميراج ٣ س » الفرنسية المقـاتلة وان بعضها مجهز بصاروخ « ماترا » الفرنسى من ائجو للجو ـ الى جانب سرب مقاتلات « سوبر ميستير » المساندة للقوات البرية ـ وسربين من طائرات « ميستير ٤ ـ ٢ ـ القاذفة » فهل تشكل هذه القوة الجوية اى تفـوق امام تسليح قواتنا الجوية واستعداداتها وما هو شرح سيادتكم لهذا الاستعداد الاسرائيلى ؟ .

● واجاب الرجل شارحا :

ـ اسرائيل مهما حصلت على أسلحة ومهما كان عددها ونوعها فلن تكون فى قوة سـلاحنا الجوى للأسباب الآتية :

١ ـ قواتنا الجوية أفرادها رسـالتهم الدفاع عن القومية العربية وأعادة الحقوق المغتصبة لأصحابها فى حين ان أفراد القوة الجوية الاسرائيلية يعلمون تماما انهم معتدون ومعظمهم مرتزقة يسعون وراء الكسب .

٢ ـ ان زيادة هذه المعدات وتكديسها فى رقعـة صغيرة من الأرض مثل اسرائيل مع عدم توفر العمق الاستراتيجى يعطى فرصة أكبر لقواتنا الجوية لتـدمير اكبر عدد ممكن عند توجيه ضرباتنا .

٣ ـ من ناحية تهديدهم للمجال الجوى لـ . ج . ع .

م فانى أؤكد ان وسائل الانذار والدفاع الجوى كفيلة باكتشاف وسحق وتدمير اى هجوم للعدو باى أعداد ومن أى اتجاه قد تسول له نفسه فكرة الاعتداء على مجالنا الجوى .

٤ ـ الطائرة فوتور القاذفة ذات امكانيات محدودة بالمقارنة مع القاذفات العربية ـ علما بأن اسرائيل لا تملك اى نوع من الطائرات يمكنه حمل قنبلة ذرية تزن ٦٠ طنا .

● سؤال آخر ...

● ما هى الطائرة الأمريكية « اف ١١١ » التى قيل انها ذات أجنحة متحركة وتعتبر من أحدث الطائرات الحربية فى العالم .. وهل يمكن أن تحصل عليها اسرائيل ؟ .

ـ الطيران عموما يتقدم فى جميع المجالات وليست هذه هى الطائرة الوحيدة التى تم تعديلها ـ علما بأن هذه الطائرة لم تستخدم بأعداد وفيرة فى القوات الجوية الأمريكية للآن لانها ما زالت تحت الاختبار . ومهما حصلت اسرائيل على أسلحة جديدة فقواتنا الجوية لديها أسلحة حديثة مماثلة وتحصل على أسلحة حديثة مماثلة وتحصل على أسلحة حديثة باستمرار تمكنها من مواجهة أحدث الطائرات ـ وعموما ليست العبرة بحداثة السلاح ولكن بالطيار الكفء المؤمن برسالته التى يدافع عنها .

● سألته قائلا :

● ذكرت بعض صحف المانيا الغربية ان اسرائيل حصلت على صاروخ « دبامان » من فرنسا وقيل انه

الصاروخ الذى حمل القمر الفرنسي الى الفضاء بعد أن جهز للأغراض العسكرية ... فما هو تعليق سيادتكم ؟ .

● وأجابنى قائد الطيران السابق :

ـ ولو ان اسرائيل حصلت على مثل هذا الصاروخ الا أنه ليس له تأثير كبير من الناحية العسكرية وعموما فلدى الجمهورية العربية المتحدة مثل هذه الصواريخ بل انواع متعددة منها تجعلها على استعداد تام للتعامل بمثل هذا السلاح عند الضرورة .

● عدت أقول ... اسمح لى بأن انقل لك ما سمعته من بعض الصحفيين العرب ..

● ان الرأى العام العربى يسعده أن يقرأ شرحا من سيادتكم للصواريخ « توباز ــ روبى سافاير » التى قيل ان اسرائيل تملكها وانها أطلقتها ما بين أعوام ٦٣ ــ ١٩٦٥ وماذا تشكل هذه الصواريخ من قوة هجومية دفاعية ، اذا ما قورنت بالصواريخ المصرية ؟ .

● وقال الفريق محمد صدقى محمود :

ـ ليست لدينا معلومات بملكية اسرائيل لهـذه الصواريخ ، والصواريخ الثـلاثة ليست ذات أهمية عسكرية لأنها صواريخ بحوث فقط ــ وقد أطلقتها فرنسا ما بين سنة ٦٣ ــ ١٩٦٥ فى صحراء الجزائر .

● هل استعملت أمريكا الصاروخ الأمريكى « ردای » الذى قيل ان وزنه ١٠ ك جرامات ويعمل بالأشعة تحت الحمراء لتوجيه الصاروخ نحو مصدر الحرارة فى الطائرة المغيرة .. وهل ثمة احتمالات لحصـول اسرائيل على هذا الصاروخ ؟ .

● رد الرجل قائلا :

ـ الصواريخ فيها موجه نحـو مصـــدر حرارى او مصدر عاكس للموجه أى معدنى كما توجد أنواع أخرى متعددة وكل من هذه الأنواع له الاجراءات المضـــادة لتأثيره وذلك سواء بمعدات فنية فى الطـــائرة نفسها أو باجراء مناورات معينة فى الجو لمفاداة الاصابة بهـــذه الصواريخ وفى حالة حصول اسرائيل على اى نوع من الأسلحة الجديدة ـ فيتم فورا دراسة خصائص هـذا السلاح وكيفية مقاومته وطرق التخلص منه ويتم نشر هذه المعلومات لدينا والتدريب المستمر عليها .

السوخوى عندنا

● تحدثت الأنباء العالمية عن الطائرة « سوخوى » وأهميتها .. فما هى هذه الطـــائرة ... وهل تملكها قواتنا الجوية ؟ ..

ـ يشرفنى أن أقرر ان القوات الجوية حصلت على هذه الطائرة وهى من أحدث الطائرات المقاتلة القاذفة فى العالم وانى أشكر المسئولين لتدعيمهم الدولة وقـواتها المسلحة بأحدث الأسلحة وأقواها حتى يمكنها الذود عن جمهوريتنا العظيمة بصفة خاصة والدول العربية بصفة عامة .. وهذه الطائرة ذات كفاءة عالية وتأثير تدميرى كبير . يمكنها من مهـــــاجمة مختلف الأهداف الجوية والأرضية والبحرية بكل دقة وكفـــاءة مع أقل تعرض ممكن للأسلحة المضادة .

● هل عرفت الحرب العـــالمية الثانية وما بعـدها القتال الجوى « الليلى » وما هى أهميته بالنسبة لتطور قواتنا الجوية لدينا ؟ .

ـ لم يكن هذا النوع من القتال معروفا خلال الحرب العالمية الثانية والذى كان متبعا هو الغـــارات الجوية الليلية .

وقد استحدث هذا النوع من القتـال لزيادة فاعلية الدفاع الجوى ليلا ضد الأهداف التى تكون خارج مدى المدفعية م/ط والصواريخ وقواتنا الجـوية تمشيا مع وسائل الدفاع الجوى سواء نهارا أو ليلا ، وقد استكملت تطور الأسلحة فى العالم وحتى تكون على أتم كفاءة فى وسائل الدفاع الجـوى الليلى بأسراب مقاتلة ليلية أصبحت على أتم استعداد لصد أى غارات ليلية .

● ما هو « الالتراسونيك » ؟ .

ـ لتوضيحها الى الأذهان يمكننا أن نقول ان هنـاك السرعات الأقـل من سرعة الصـوت والأكبر من سرعة الصوت وهى ما تسمى الالتراسونيك ، وعموما فسرعة الصواريخ التى ترسل الى الفضاء التى تحمل الأقمار الصناعية تكون سرعتها « التراسونيك » .

● هل هناك « مساع اسرائيلية » لتذليل الصعوبات الفنية التى تعترض صـــناعة الرءوس الذرية اللازمة للصواريخ بواسـطة علماء الذرة اليهـــود لمد الدولة الصهيونية بها ؟ .

ـ ان اسرائيل دائبة السعى وراء الحصـــول على أسلحة عدوانية مهما تكلفت فى سبيل الحصول عليهـا وذلك تمشيا مع أغراضها العدوانية فى الشرق الاوسط. فلا أستبعد أن تكون هناك مثل هذه المساعى .

● ما هى احتمالات تدخل الحماية الجوية الغربية فى حالة القيام بهجوم على المنشآت الذرية الاسرائيلية « فى بير سبع » مثلا وما هو ردنا ! .

ـ اسرائيل دائما تكون مدعمة بالمساعدات الغربية في أي عدوان تقوم به وليس أدل على ذلك من عدوانها سنة ١٩٥٦ ففى حالة القيام بأى هجوم جوى على اسرائيل فسوف يكون هناك بالتالى تدعيم من الدول الغربية ، ونحن نضع هذا فى اعتبارنا دواما عند التخطيط فى ضوء الدروس المستفادة من العدوان الثلاثى الفاشل .

● تحدثت سيادتكم فى مؤتمركم الصحفى الأخير عن زيادة حمولة طائراتنا من القنابل والصواريخ ... فهل معنى ذلك اننا نملك قاذفات مثل قاذفات القنابل الاستراتيجية الحديثة التى استعملت فى فيتنام والتى تضرب الأهداف الواسعة والبعيدة يؤهلها لذلك شحناتها الكثيرة الثقيلة من القنابل ؟ .

ـ العدو الرئيسى بالنسبة للدول العربية هو اسرائيل ولدينا من القاذفات الخفيفة والثقيلة التكتيكية والاستراتيجية ما يكفل لنا اصابة أى هدف داخل اسرائيل ، والأسلحة الحديثة التى لدينا تفى بالغرض المطلوب منها ..

وحيث انه ليست لدينا النوايا العدوانية مثل النوايا الاستعمارية المنفذة فى فيتنام فليس هناك ضرورة للحصول على قاذفات مماثلة .

● سؤال أخير :

● علمت فى نهاية عام ١٩٦٥ ان تجربة ناجحة أجريت على الطائرة المصرية القاهرة ٣٠٠ بعد أن صنعنا المحرك وجسم الطائرة فى بلادنا وفى الأيام الأخيرة نشر ان الموتور صنع فى مصر واستعمل فى جسم صنع فى الهند فما هى التطورات التى أدخلت على صناعة هذه

الطائرة .. وهل اطمع فى سرد قصة هذا المجهود العلمى الذى انتهى بهذا النصر الصناعى الحربى ؟ .

● وتكلم الطيار القديم قائلا :

ـ بدأ العمل فى جسم الطائرة القاهرة ٣٠٠ فى أواخر سنة ١٩٦٠ ولم تكن حينئذ سوى فكرة فى ذهن المصمم وقد حشدت لها خيرة الخبرات المصرية وبعض الخبرات الأجنبية وأمكن تصميمها وعمل الرسومات التفصيلية لكل جزء من أجزائها حتى أمكن انتاج النموذج الأول منها ـ وكما حدث فى الطائرة حدث نفس الشيء بالنسبة للمحرك والذى بدىء العمل فيه فى أواخر سنة ١٩٦١ وأمكن انتاج النموذج الأول لاجراء الاختبارات الأرضية العنيفة والمتعددة عليه فى خلال سنة ١٩٦٤ وهذه التجارب تستغرق وقتا طويلا للتأكد من سلامته وقدرته ومدى تحمله قبل تركيبه فى الطائرة التى صممت له وعلى ذلك انتهت التجارب الأولى بنجاح تام فى نهاية عام ١٩٦٥ وكان التصنيع كاملا للجسم والمحرك فى بلادنا .

وهذا المحرك الذى أنتج محليا ليس له شبيه من حيث قدرته بالنسبة لحجمه ووزنه وهو أقوى كثيرا من المحرك الانجليزى الصنع المركب فى الطائرة الهندية التى تبلغ سرعتها بالمحركات المركبة فيها أصلا سرعة الصوت بل أقل من ذلك بكثير ، وكانت الهند على علم بتصميم وتطوير وانتاج هذا المحرك ووجدت انه لو أستخدم فى طائراتها فستفوق سرعتها سرعة الصوت ، وبالنسبة للتعاون القائم بين البلدين الصديقين فى مختلف المجالات رحبنا بهذه التجربة وعلى هذا الأساس ارسلت الهند جسما من صناعتها وركبت به محركات من انتاجها وأمكن

لهذه الطائرة اختراق سرعة الصوت مما أكسبها ميزات كثيرة .

● انتهى حديث القـــائد السابق للقوات الجوية المصرية ــ فريق أول طيار محمد صدقى محمود ــ وبعد ايام قليلة قبل نهاية مايو ١٩٦٧ ــ اشترك فى اجتماع عسكرى حضره الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ــ والمشير عبد الحكيم عامر ــ وعدد من القادة ــ وقال الرئيس الراحل لرجاله ما أذيع على العـالم ، وعرفناه بعد الهـــزيمة ، حين طالب قادته بأن يتحملوا الصدمة الأولى أو الضربة الجوية الاسرائيلية ، وأن يقوموا بعد ذلك بالهجوم المضاد ، حتى لا تتهمنا أمريكا بأننا البادئين بالهجـــوم ــ وتكلم صدقى محمود امام الرئيس وكلامه ثابت بمحاضر محاكمته العسكرية ــ تكلم قائلاً :

ــ « تفرق كثير يا ريس ــ أن نتحمل الضربة الجوية الاسرائيلية الأولى أو نقوم نحن بهذه الضربة ... » .

● وقامت الحرب .. وضاعت الحقيقة ، وسأعود الى هذا الموضوع لأهميته قبل نهاية الـكتاب .

●

انتقل الى قائد آخر ــ وهو الفريق أول عبد المحسن مرتجى قائد القوات البرية حتى الهزيمة ــ الذى عقد لنا مؤتمرا صحفيا فى عمق شمال سيناء ظهر يوم الخميس ١٨ مايو ١٩٦٧ ــ حضره ما يقـرب من عشرين صحفيا واذاعيا مصريا ــ وجلس بجانب الفريق أول مرتجى ــ الفريق أنور القاضى رئيس هيئة العمليات ــ واللواء ــ احمد اسماعيل ــ المشير فيما بعد وكان يشغل منصب رئيس أركان القوات البرية ــ واللواء على عبد الخبير

ممثلا للمشير عبد الحكيم عامر ، وقد ظل بالخدمة حتى عام ١٩٧٢ ـ وقال الفريق أول مرتجى عدة تصريحات عسكرية ـ سياسية تعكس المناخ الذى أشرت اليه من قبل غير ان أبرز ما صرح به هو قوله باننا قادرون على اقتحام اسرائيل خلال ست ساعات ـ وكأنه يتنبأ بحرب الساعات الست ـ ولكن بالعكس ـ كمـــا وصفها الصحفيون الغربيون ـ وصفوا حرب يونيو ١٩٦٧ ـ بعد ذلك !! .

● ولقد عدت الى القاهرة يوم ٢٦ مايو لأعرض على هيئة الرقابة العسكرية رســالتى الصحفية الأولى ـ وحدثت أحد الأصدقاء بها وهو المقدم نجيب عبد البارى ـ متقاعد حاليا ـ ويعمل باحدى مؤسسات القطـــاع العام بما قاله قائد القوات البرية ـ واندهش الرجل ، واتفقنا على حذف هذا التصريح من رسالتى الصحفية ـ كما قام بحذفها من الرسائل الصحفية الأخرى التى كتبهـــا زملاء الصحف اليومية ممن حضروا المؤتمر الصحفى للفريق أول مرتجى ـ فى عمق سيناء ! .

● كانت هيئة القيادة العسكرية فى مستوى القمة حتى يونيو ١٩٦٧ ، تمثل حزبين أو جماعتين متنافرتين ـ الجماعة الأولى وهى المقربة من المشير عبد الحكيم عامر وتضم الفريق أول مرتجى والفــريق أول محمد صدقى محمود والفريق أول المرحوم سليمان عزت قائد القوات البحرية والفريق أنور القـــاضى رئيس هيئة العمليــــات ـ وليس معنى اقترابهم الشخصى من المشير عامر انهم على علاقة كراهيـــة أو عــداء مقنع لجمال عبد الناصر ، لا .. فقد بقيت علاقاتهم به على مستوى طيب حتى قدموا اســـتقالاتهم جميعا يوم ٩

يونيو ١٩٦٧ مساندة لعبد الحكيم عامر ــ ولكنهم ما قبل الهزيمة كانوا متباعدين عن عبد الناصر ولا يلتقى بهم الا فى الاجتماعات العسكرية القليلة التى يتحتم عليهم المشاركة فيها ــ وفى الوقت نفسه كانت الجماعة الأخرى تضم الفريق أول محمد فوزى رئيس الأركان ، واللواء محمد أحمد صادق مدير المخـــابرات الحربية ــ ثم رئيس الأركان عام ١٩٦٩ ــ ووزير الحربية بعد مايو ١٩٧١ ــ وهو الرجل الذى قاد حملة القبض على ضـــــباط المشير عامر وأعوانه قبل موت عامر بأيام قليلة وما بعــد وفاته قتلا أو انتحارا .

● وكان عبد الحكيم عامر يتهرب كثيرا من مقابلة هؤلاء القـــادة وقد حاول عدة مرات ازاحتهم من طريقه لكن عبد الناصر بقى متمسكا بهم لخدمة مصالحه ! .

● وفى القمة أيضا كان هنـــــاك صلاح نصر رئيس جهاز المخابرات العامة وحين التقيت به بعد أن أفرج عنه الرئيس أنور السادات عام ١٩٧٥ ــ أكد لى انه حرص طوال خدمته على التوفيق بين ناصر وعامر ــ وان ناصر حاول أن يجنده ويجند الجهـــاز للتجسس على عامر ، ولكنه رفض ذلك فأنشأ عبد الناصر جهـــازا جديدا وأسند رئاسته الى « سامى شرف » ــ وكانت مهمة هذا الجهاز الجديد تقديم المعلومات الشخصية عن الأسماء العامة والبارزة فى المجتمع المصرى والعربى ــ وما أكثر سعادة عبد الناصر حين تقع عيناه على تقرير سرى حول تصرفات مشبوهة جنسيا أو تصرفات غير أخلاقية لاحدى الشخصيات العـــامة ــ مثل الصحفى الكبير الذى كان يتمتع بصداقته وثقته ولكنه كان يخفى عنه علاقته باحدى السيدات العربيات الشهيرات ممن

يعشن بمصر ــ وقــد جاءوا له بشريط تسجيل صوتي لمطارحة غرامية بين هذا الصحفى الكبير والسيدة العربية ــ فطلب عبد الناصر التسجيل بالصورة أيضا ...

● وهكذا كانت بعض أجهزة المخـــــابرات تكلف بالعمل فى قضايا صبيانية صغيرة ــ ومن الطبيعى أن تقع ضحية للنصابين والمحتالين العالميين تجار المعلومات الحربية والعسكريه الزائفــة حين تجد نفسها مطــالبة بالحصول على مثل هذه المعلومات ــ بينما قيـــــادتها لا تملك الكفاءة لاقتحام هذه الميـــادين ــ لأن جهــدها الحقيقى يذهب الى جبهات شخصية أخرى !! .

● وليس معنى هذا أن أجهزة المخابرات التى كانت تعمل بولاء خاص للمشير عبد الحكيم عامر بقيت بعيدة عن هذا المنحدر ... لا ... فأغلبية من رجالها هم أبناء شرعيون للبيئة التى أنبتتها السلطة ما بعد ١٩٥٧ ـ و ١٩٦٢ ــ مرورا بعامى ١٩٦٥ ــ ١٩٦٦ ــ حيث شهدت القــــوات المسلحة حملة تطهير ضخمة وحملة اعتقالات واســـعة طويلة المدى ــ وترك عدد كبير من العسكريين الشرفاء أصحاب الكفاءات الممتازة ــ تركوا الجيش الى التقــــاعد أو السجون ــ وسيطر شمس بدران ورجاله وكانوا يطلقون عليه سرا «شمس غدران !» حتى ركضوا جميعا نحو الهزيمة والعــار والموت قتــلا أو انتحارا أو وفاة بالسكتة القلبية !! .

●● لقد روى لى أحد رجال أو أجهزة عبد الحكيم عامر انه حين تقرر انقيام بزيارة فرنسا على رأس وفد رسمى والالتقاء بالرئيس الراحل شارل ديجول رئيسى فرنسا ــ طلب عامر من « صلاح نصر » أن يعد له كشفا بأسماء مجموعة من أحسن ضباطه ليرافقوه فى رحلته

الى فرنسا ــ وانه جند هؤلاء الضباط كما جند عددا من مشاهير الكتاب المصريين ليعـــــدوا له الكلمات القصيرة التى سينطق بها لحظة لقائه بديجول ــ وقـد أعدوا له عشرات بل مئات الكلمات ، وهو يرفضها ... واستمروا يعملون بهذه المهمة عدة أيام وليال ــ دون أن يتفرغوا لطبيعة المهام السرية التى ستوكل اليهم خلال هذه الزيارة وما قبلها وما بعدها ــ وفى النهاية أعلن المشير عامر انه اختار جملة راقت له ، فسألوه عنه فقال لهم :

« سأقول له : لقد قام نابليون بونابرت بغزو مصر ــ وذهب نابليون وذهب أسطوله وبقى فى مصر من هذه الحملة المطبعة والبعثة العلمية التى صحبت نابليون » .

● وصفقوا له ــ فقد كانت جملة رائعة فعلا ، ثم علموا بعد ذلك ان « الجملة » للفنانة برلنتى عبد الحميد وأحد رؤساء التحرير من الصحفيين المصريين ممن كانت له صلة طيبة بالرجلين ــ واكتشفوا أيضا أنه لم يقرأ مئات الاقتراحات التى قدموها له وسهروا من أجلهـا عدة ليال بلا طائل ... لقد وجـدها أحدهم فى مظاريفهـا المغلقة كما تركوها فوق مكتبه دون أن تمس أو يحاول قراءتها معلنا انه لم يجد فيهـا ما يراه مناسبا ! .

● وكان طبيعيا فى هذا المنـــــاخ أن يلوذ الجميع بالصمت ولم يجرؤ أحدهم على معاودة الحديث فى هذا الموضوع مرة أخرى !! .

●

ومرت الشهور ــ وجاء يونيو ١٩٦٧ ووقعت النكبة ــ وأسرد فوق الصفحات القـــادمة ــ نقلا عن أوراقى الخاصة « التجربة الميدانية كما عشتها » فـوق سيناء

★ التاريخ – ابريل عام ١٩٦٨ – حيث كتبت هذه الصفحات عن معركة يونيه ١٩٦٧ .

● كانت سيناء مزدحمة بالأفراد والأسلحة ، ولكنه ازدحام مرتب هائل الحجم ، ورائحة الصحراء تختلط بالعرق ، برائحة الزيت المشبع بالبارود والرجال يعدون مدافعهم الرشاشة ، والمدافع المضادة للدبابات ، والجو حار ، والماء قليل ، والطعام ساخن ، والخطوات لاهثة والسيارات تتحرك بين المدرعات ، وملابس الحرب فوق أجساد الجنود والضباط ما زالت تحمل رائحة نظيفة ، رائحة العاصمة ، ومعسكرات الايواء القادمين منها ...

وانقضى أكثر من نهـــار أصفر اللون كالرمال ، كأن عاصفة ترابية رملية هوجاء صبغته بلونهـا ، وسيناء الفسيحة كأنها الأنهار والأرض تضيق بقواتنا من كثرة الزحام والحشد ، وأخذ الرجال يحفرون خنادقهم ، والظهور منحنية فى صلابة .. لكن لا ضعف ولا مرارة ، قلوب متفتحة وكلمات يتبادلها المقاتلون عامرة بالأمل ..

ان أقوى علاقة وأوسعها هى علاقة الانسان بالانسان وفى صحراء الحرب يتحدث الرجال ويتعاملون كأنهم أبناء

حقل واحد ، وقد انهمك الجميع فى سعى دائب لا يمل ـ فسر الحياة وعظمتها هو انهـــا تدافع عن نفسها أتوماتيكيا ضد اليأس والخوف والعجز .

ومرت الأيام ، لا ثقل فى العين ولا خمول في الحواس، وحلقات الرجال أمام أسلحتهم أينما وليت وجهـــك والعيون مفعمة بشعاع اليقظة والترصد والحذر .

ومن فرط الحرارة خرجت الثعـــابين من جحورها كأنها ثعابين اليفة تعدو بين أقدام الجنود وهم ينظرون اليها بلا مبالاة ، ربما من فرط رؤيتهم لها الفوها والفت هى رائحتهم ..

وكنا نقول فى جلساتنا .. الى متى هذا الهدوء ، وانطلق السؤال ينتشر بين الجنود والضباط ، واختلطت الصورة بكل الأبعـــاد وتناقضت واضطربت واظلمت السماء وافترق المقاتلون الى مواقعهم ، وخلع الجنـــود أحذيتهم يغسلون أقدامهم فقد كانوا منذ ١٥ يوما يرتدون هذه الأحذية الثقيلة المضنية .

● وكان جنودنا البواسل ينتظرون لحظة لا يعرفون متى ستجىء ، فى ظلام الليل ، فى ضوء الفجر ، فى سفور الشمس ، وهم يتناولون الطعام ، وهم يكتبون خطاباتهم ، وهم ينظفون أسلحتهم .. متى ستجىء هذه اللحظة ؟! .

المبـــاداة

ما أطول الصمت الذى لا يقطعه الا طرقعات السلاح ... كان الضباط يتناقشون فى تأكيد وقطع بأن الغرب لن يترك اسرائيل تحارب وحدها ، ولن يحارب معهـــا

فى سفور تام كما فعل عام ١٩٥٦ ، لقـــد كان تواطؤ الغرب الواضح معها عام ١٩٥٦ ، سببا هاما فى فشل هدف اسرائيل يومهـــا وهو ضرب الثورة المصرية بل والقضاء عليهـــا ، ولذلك ومنـــذ ذلك العـــام خططت واستعدت ، وكانوا يعرفون انها ستحارب على أساس المباداة بالحرب .. فعمقها الاستراتيجى البسيط لابد أن يدفعها لنقل المعركة خارج أراضيها ، والا لجاءت لحظة القضاء تماما عليها .

● وكان معروفا فى القوات المسلحة ، وقد آن أن تكشف عن ذلك ، كان معروفا أن أجهزة التخطيط والفكر العسكرى فى قواتنا المسلحة قد أعدت دراسة عسكرية هامة فى ١٥ ابريل ١٩٦٧ ، قدمتهـــا للقيادة العليـــا ، كشفت فيها عما يمكن أن تقوم به اسرائيل فى عملياتها الهجومية جوا وبرا وبحرا ضدنا ، ولكن هذا التقرير للأسف الشديد لم يجد قبولا من قادة ماقبل يونيو ١٩٦٧ ، بل لم يجد وقتا لديهم لدراسته أو مناقشته مع الذين وضعوه ، ولقد تحقق بعد ذلك كل ما جاء فيه .. لقد جاء فى هذا التقرير أن العدو سيطير على ارتفاع بسيط ويقوم بهجومه الخـــاطف الأول على قواعدنا الجوية ، ويتبع الهجوم الجوى المفاجىء هجوم برى ، تحدث عن أى المطارات يجب أن تضم طائراتنا ، عن انتشار الطـــائرات المصرية ، عن ملاجىء ودشم المقاتلات والقاذفات ، عن مناورة الطائرات من مطـــار لآخر ، بل تحدث عن نشاط القتال الجوى للعدو بالتفصيل .

● طالب التقـــــرير مثلا بتكثيف ميدان التغطية الرادارية ! حلل وقدم دراسة عسكرية ذات تفاصيل دقيقة لتدابير العدو ، وتحدث عن فترات الانذار التى

يمكن أن تحصل عليها القيادة العليا قبل وقوع أى هجوم مفاجىء علينا ، وكيفية الحصول على هذه الفترات الزمنية ، ولكن القيادة العليا لم تخص هذه الدراسة الموضوعية بالاهتمام الجدير بها .

● وطبق العدو خطته « ضربة صهيون » كما أطلق عليها صباح ٥ يونيو ١٩٦٧ . كانت التعليمات لطياريه بالنسبة لشقها الجوى « كولومب » انه فى حالة اكتشاف هجومكم الجوى عليكم بالعودة دون اطلاق صاروخ واحد ، لأن العملية تعتمد فى الدرجة الأولى على المباغتة والمفاجأة وأجهزة التشويش والشوشرة الالكترونية التى وفرها لهم الدعم الأمريكى الى جانب عمليات فك الشفرة والرموز ، وما كان يمكن أن يتحقق ذلك لاسرائيل لولا المعاونة الضخمة التى لقيتها من الصهيونية العالمية وقواعد الاستعمار العالمى .

● ولقد خرجت الطائرات الاسرائيلية من مطارات اللد والرملة وسط اسرائيل متجهة الى الساحل الشمالى للجمهورية العربية المتحدة وانقسمت الى ثلاث مجموعات وعددها ٣٧٨ طائرة .

● المجموعة الأولى لتدمير الأهداف الجوية فى سيناء حيث قواعد العريش وتمادا والمليز والسر .

● والمجموعة الثانية لتدمير قواعد كبريت وفايد وأبو صوير بالقنال الى جانب ضرب مطار الغردقة .

● والمجموعة الثالثة تتجه جنوبا على امتداد فرع دمياط لتدمير قواعدنا الجوية فى الدلتا وغرب القاهرة والماظة وبنى سويف .

وبعد ذلك أعد العدو قواته البرية لهجوم برى .. وخطة اسرائيل عام ١٩٥٦ ، أو عام ١٩٦٧ كانت تعتمد

اساســـــا على تحقيق نصر سهل رخيص مبدئى سريع عاجل ، ولن يتحقق لها ذلك الا بالهجوم أولا على أضعف مواقعنا الدفاعية . تهجم عليه بقوات كبيرة ، ثم تتوغل فى الداخل مما يرفع معنويات جنودها ، ويحدث شللا فكريا لدى قادة عدوها ، وينتشر الارتباك بين صفوف قواتنا ، وبالتالى نفقد السيطرة تدريجيا ، فيقع الانهيار فى خطوط الدفاع القوية ، وبين القوات الهجومية .

● وبدأ الهجوم فى سيناء مركزا فى الشمال وفى منطقة الوسط ، وكانت قواتنا قد ركزت ثقلها الدفاعى فى الجنوب والوسط ، ومن هنا كانت خطة اسرائيل التى ترمى الى تركيز الهجوم فى أضعف المواقع الدفاعية المصرية ، فدفعت بقوات مشاة ميكانيكية ومظلات بتكثيف حول قواتنا فى رفح دون الدخول فى معركة مع القوات المصرية ثم اندفعت الى العريش فى محاولة لتنمية الشلل الفكرى الذى تتوقع اصابة القيادة المصرية به بعد ضربة الطيران ..

● وفى الوسط ، اخترقت قوات اسرائيلية الحدود عبر مدقات فرعية لتصل الى عمق خلفى وتقيم كمينا من المدرعات بين الطريق الأوسط والشمالى لسيناء ، فيمكنها اذا نجحت حجـــز اى امدادات أو دفاع أو تعزيزات لقواتنا فى الشمال ، وبالتالى تمنع القــوات المصرية من الانسحاب عبر الوسط الى الجنوب ..

كانت هــذه هى المرحلة الأولى من هجوم العـــدو الاسرائيلى ، وبعــد ذلك تقدمت قــواته من المدرعات والمشاة الميكانيكية ، وعنصر عسكرى استخدمته اسرائيل حديثا واســـتفادته من عمليات فيتنــام وهو عنصر الاقتحام الجوى الرأسى ، قوات مشاة تنقل بالهليكوبتر

تهبط خلف قواتنا فى المحـــور الأوسط بسيناء ، وتشتبك مع الدفاعات الرئيسية فى أبى عجيلة وأم كتاف ، ثم تقطع خط مواصلاتنا حتى بلدة « نخل » .

● ومرحلة ثالثة ، وهى زحف قوات مدرعة اسرائيلية متجنبة الدخول فى قتال مع القوات المصرية ، كى تلتف حولنا لتصل بسرعة الى مضـــايق سيناء ، ثم رمانة والجفجافة والجدى والحيطان ، حتى ممر متلا ، وبذلك يمكنها السيطرة على الممرات وحجز القوات المصرية اذا اتجهت الى الغرب .

● وكانت المرحلة الأخيرة تتضمن تمسك اسرائيل بهذه المضايق والممرات فى محـــاولة لتصفية القوات المصرية حتى خط شرق المضايق ، والوقوف على نهاية الضفة الشرقية .

● لقد كان العدو على امتداد عشر سنوات أعقبت جولة خريف ١٩٥٦ قد أكمل اعداد سبعة ألوية مدرعة كل لواء مدرع به ١١٠ دبابات سنتوريوم وباتون و أ . م . اكس الفرنسية ، ولـكل منهـا خصائص تنفرد بهـــا فى القتال ، ثم ٢٤ لواء مشاة ميكانيكى ومظـــلات ، وقوات من الكتائب المدرعة وكتائب الاقتحام الجوى الراسى التى تهبط من الطـــائرات الهيلكوبتر لتعمل على الفور وقد أخذت تشكيل القتال خلف القوات المعادية .

عمليات ٥ ــ ٩ يونيو

● وكانت العمليات العســـكرية التعرضية التى استمرت من ٥ حتى ٩ يونيو تدور من الشمال الشرقي الي الجنوب الغربى فى سيناء .

● دفع العدو مجموعتى عمليات حتى تصل مدرعاته الى المضايق ، وفى اليوم الأول كان عليه أن يصل الى العريش ثم أبو عجيلة ثم العـــــــوجة ، وفى اليوم الثانى يطور هذا الهجوم اتجـــاه جنوب غرب لتصـــل قواته شمال الحسنة جنوب القسيمة ، بشرط تجنب القتال مع القـــوات المصرية ، وفى اليوم الثالث يصل مضيق الرمانة والجفجافة والجدى فممر متلا .

واتخذ الشكل الأخير للعمليات التعرضية محـــــاولة العدو عن طريق التوغل خلف قواتنا ودون الاشتباك بقدر المستطاع مع القوات المصرية ـ الوصول الى الضفة الشرقية للقناة .

ان ثمة حقيقة عسكرية واضحة فى هذه الحرب ، وهو ان اسرائيل لم تكن تستطيع القيام بهذه العمليات البرية اذا لم تتوفر لها السيطرة الجوية ، ولذلك فقـــد استقبلت تل أبيب ٦٠٠ طيار أجنبى كمتطوعين ، عملوا من قبل فى مسارح عســـكرية مماثلة وشكلوا العصب الرئيسى فى العمليات الهجومية على قواعدنا الجوية . أيضا حصلت اسرائيل على خبرات فنية متخصصة عالية الـكفاءة مكنتها من الوصول الى مستوى طيب جدا فى استخدام مطاراتها ، حتى تتمكن طائراتها من الاقلاع وضرب الأهداف المصرية ثم العودة ، وتجهيز الطائرات بالذخيرة والوقود والهواء المضغوط والكشف على اجزائها وصيانتها فى دقائق لتقلع الطائرات مرة أخرى وتقوم بالهجوم .

هذه الخدمة الممتـــازة التى توفرت لها فوق الأرض زادت من فعالية طائراتها ، وحجم اغاراتهـــا الجـــوية علينا ، والمعروف ان طلعات الطائرة لا تزيد على اربع

طلعات يوميا كمعدل عالمى ـ ولكن اسرائيل جعلت طائراتها تقوم بطلعات تصل الى ٨ أو ٩ طلعات فى اليوم ـ نتيجة زيادة العنصر البشرى المتخصص ذى الكفاءة العالية لديها ، فكما تزودت اسرائيل بالطيارين كان لديها عدد أكبر من الطائرات دون أن تحصل على طائرات زيادة ، لأن أربعة من مقاتلى أو قذاف الجو يشكلون عمل ١٦ طائرة ، وكلما كانت المهارة الشخصية فى تموين الطائرات بالذخيرة والوقود والصيانة سريعة ساعدها ذلك على زيادة عدد طلعاتها ، فأربعة طيارين يمكنهم أن يتناوبوا العمل على طائرة واحدة ، فيتحقق بذلك استغلال الكفاءة والقدرة القتالية الى أقصى حد ممكن وبالتالى يمكن للطائرة الواحدة أن تقوم بثمانى طلعات فى اليوم الواحد .

● ولقد حصلت اسرائيل نتيجة الدعم الامبريالى لها على معلومات دقيقة عن مطاراتنا وتوزيع طائراتنا الهيكلية اى الخشبية منها ، والطائرات الحقيقية . وساهمت الأقمار الصناعية فى الحصول على أدق هذه المعلومات .

هجوم أو دفاع !؟

● ان ديناميكية حرب يونيو ١٩٦٧ ، أو سير القتال خلال فتح النيران فى سيناء يكشف عن أسرار مثيرة للغاية .. فحول معركة الاتجاه الشمالى ، كانت الدفاعات المصرية بالنسبة للخطة الموجودة لدينا تقول بتركيز الدفاع المصرى عن سيناء على خط العريش ـ أبى عجيلة ـ القسيمة . وبمجرد أن بدأ التصاعد

السياسى بين الحكومات العربية واسرائيل أدخلت تعديل على الخطة المسبقة ، ونقلت قوات من أماكن لأماكن أخرى ، وأنشئت دفاعات جديدة ، وتحركت قوات من مكان لآخر ، ومن أبرز أشكال هذا التعديل ان فرقة مشاة مصرية دفعت الى رفح لتعزيز دفاعات رفح ، وكلفت فى وقت واحد بواجب دفاعى وواجب هجومى ، ولم تستطع بالطبع أن تحسن الدفاع أو الهجوم ، فللدفاع متطلباته من حفر وتكسية وزرع الغام وتنسيق نيران وربط مواصلات تليفونية وللهجوم متطلبات أخرى من قدرة عالية على الاقتحام وخفة حركة وتجميع متوازن لعناصر المعركة فمثل هذه الأوامر بالهجوم والدفاع مما يقضى على فعالية أى قوات مسلحة ، فأمكن للعدو أن يلتف حول أجناب الفرقة ، الى أن وصل منطقة الشيخ زويد محاولا القضاء على رئاسة الفرقة التكتيكية حتى يمكنه معاودة الهجوم من الخلف ، بينما تندفع قوات أخرى له لتصل الى العريش ومطارها . وفى هذا المجال لابد من ذكر قصة هامة لها دلالتها ، لقد حدث عام ١٩٥٦ ان التقى لواءان إسرائيليان فاشتبكا فى سيناء ، ودمر كل منهما الآخر ، وحاول العدو عام ١٩٦٧ الاستفادة من هذا الدرس فسارت قوة على الطريق الغربى بين العريش والحسنة ، وقوة أخرى على الطريق الشرقى ورغم ذلك اشتبكت القوتان فى بير لحفن وأصيب كل منهما بخسائر كبيرة .

الطلعات الانتحارية

● كان كل شىء يجرى بسرعة هائلة ، وقواتنا البرية تحارب بلا غطاء جوى على الاطلاق سوى بعض طلعات

انتحارية جويه قام بها بعض الطيـــــارين تحت أشق الظروف الجوية ، وأثبت الرجال بسالتهم ووجودهم بأغلى ما لديهم من الحياة ، بكل الشرف بكل الجراة بكل البطولة يدافعون عن حبـــــات الرمال ، والصواريخ الاسرائيلية تنهال من السماء عليهم كالأمطار .

● اندفعت بعد ذلك مجمـوعة اسرائيلية عبر أوديه تصب من « اسرائيل الى عمق سيناء ، لتصل بمجموعة لواء مدرع مكون من ١١٠ دبابات حتى بير لحفن ، ثم حاولت اقامة كمين مدرع ضد التحـــركات المصرية من المحور الأوسط وقد استمرت المعركة هناك طيلة يومين كاملين . وجاءت قوات اسرائيلية أخرى تخترق الحدود ، مستخدمة جميع انواع المناورة الهجومية كى تصل الى بير لحفن وبواسطة الاسقاط الجوى الرأسى وصلت حتى مكسر الفنـــاجيل ، وكانت المقـــاومه المصرية عنيفة مستبسلة ، فجاءت الطائرات الاسرائيلية وركزت هجومها على قواتنا فى أم كتاف ، وعاونت المدفعية الاسرائيلية طائراتها فكانت تلقى كمية من القنابل تزن ١٠٠ طن فى الساعة الواحدة ، واستمر العـــدو يضرب الدفاعات المصرية بالطيران والمدفعية فى أم كتاف ، محـــاولا الحصول على اى نصر فى أم كتاف ، تلك التى قال ديان نفسه عنها فى معارك ٥٦ لقد كانت منطقة أم كتاف هى المكان الذى حارب فيه الجنـــدى المصرى على أحسن وجه ، بينما حارب فيها الجندى الاسرائيلى على أسوأ صورة » .

● واندفعت نصف مجموعة العمليات الوسطى لتصل بباقى قواتها من بير لحفن حتى أبو عجيلة فى محـاولة للقيام بعملية هجـــومية على الحسنة ثم السيطرة على

المضايق الوسطى فى سيناء ... هكذا كانت ديناميكية اسرائيل فى المحور الأوسط .

لواءان ضد لواء !

● ان معركة المدرعات التى دارت بين قـواتنا وبين قوات العدو ظهر ٦ يونيو حتى منتصف ليلة ٧ يونيو تكشف عن قوة المقـــاتل المصرى وقوة سلاحه المدرع وايمانه بالقضية التى يحارب من أجلهـــا ، وسيطرته بالمبادأة والجراة والاقتحام حين يلتقى بالعدو وجها لوجه فى احدى المعارك .

فقد كانت مجموعة العمليـيات الشمالية الاسرائيلية مكونة من لواءين مدرعين ، ضـــــد لواء مدرع مصرى واحد ، عهـــد اليه بصد الاختراق الاسرائيلى عنـد الكيلو ١٦١ ، وكان هذا اللواء المصرى قـد قطع ٨٠٠ كيلو متر على الجنزير والمفروض الا يقطع أكثر من ٤٠ ك . م سار من هاكستب الى شرق الاسماعيلية الى الحسنة حتى الشيخ زويد ثم عاد الى الحسنة كل ذلك اثناء مرحلة ما قبل القتـال ثم استمر ينتقل تنفيـــذا للتعليمات التى تصل اليه حتى جنوب الحسنة ، قطع أطوالا طويلة اجهدته واجهــــدت الآلات والرجال داخل الدبابات ، والجو حار خانق والماء قليل ، ومن يعش ساعتين داخل دبابة يمكنه أن يشعر بهـذه الحـرارة الحـــارقة التى تقضى على كل مقومات ومعنـويات الانسان .

ولكن اللواء المصرى اشتبك فى عمليات ليلية ضد الكمائن الاسرائيلية المدرعة فى بير لحفن وثبت تفـوق

وقدرة المقاتل المصرى حين يلتقى بالعـدو الذى عمـل وحرص طوال حرب سيناء على تجنب الالتقـاء بقواتنا فوق الأرض . .

● أخذ اللواء المدرع المصرى مواقعه الدفاعية المجهزة سابقا بواسطة قوة مصرية كانت قد سحبت ونقلت توا الى موقع آخر ، وفى منتصف يوم ٦ يونيـــو حاولت القوات الاسرائيلية الاتصال بالموقع المصرى وحوالى ٤ ظهرا وقع الالتحــــام الفعلى بين القوتين ١٦٠ دبابة اسرائيلية و ١١٠ دبابات مصرية ، وحاول العدو الاقتحام بالمواجهة ، ففتحت دباباتنا نيرانا مؤثرة مما جعلهم يهربون خارج نطاق ومدى النيران المصرية .

وكان اول أسلوب اتبعته القوات الاسرائيلية ان وقفت على مشارف النيران ثم اخذت ترسل قواتها للالتفاف شمالا وجنوبا على أجناب القوات المصرية لارهابنا نفسيا، فمد القائد المصرى جناحيه الجنوبى والشـمالى لمقابلة الدبابات الاسرائيلية الملتفة ونجح فى تدميرها ، ولـكن بعض الدبابات الاسرائيلية استطاعت الالتفاف حول جنوبه ومؤخرته وقد قضى عليها بقوة مصرية أخرى ، ثم حاولت القوات العـــدوة المدرعة استخدام الدبابات الفرنسية خفيفة الحركة « ١٣ طنا » لتدخل مدى النيران المؤثر ثم تنسحب بسرعة فى اتجـــاه الشرق حتى تخرج الدبابات المصرية وراءها فتنـــالها الصواريخ الاسرائيلية المضادة للدبابات ، وقد فشلت المحاولة الثالثة لأن القائد المصرى كان سريع الاحساس بالـكمين ، فـاستمر فى مواقعه ولم يخرج الى العراء حتى يقضى عليه الطيران الاسرائيلى ، ولكن الهجمات الجوية ، زادت على اللواء المصرى المدرع ، وبحلول مساء ٦ يونيو صـــــدر أمر

الانسحاب بالاتجاه غربا ولكن المعـــركة لم تهدأ حتى ١٢ ليلا ، والقوات الجوية الاسرائيلية تستخدم اسقاط المشاعل المضيئة ، على مواقع لوائنا ، مع استمرار اطلاق نيران المدفعية والدبابات الاسرائيلية حتى استطاع اللواء المدرع المصرى الوصول الى الجفجافة تحت سيطرة جوية مطلقة للعدو ، والقوة المهاجمة ضعف القـوة المدافعـة المصرية ، وكان اللواء المصرى فى حالة تفوق مستمر ، تدعمه المهارة القتالية لرجاله ، والأســـلوب الدفاعى الفعال ، والتدريب الميدانى الممتاز وحسن التفـــكير والتصرف فى استخدام المواقف المعقدة ــ والتى تتحول فيها المعركة من اتجـــاه لآخر ، يفتح نيرانه الدائرية ، والمتقاطعة مما جعل العدو ومعلقيه العسكريين ، يقولون بحكم المهارة المصرية التكتيكية ، والاستخدام الصحيح لأرض المعركة .

●

● اننى أعرض بعـــد ذلك بعض المعـــلومات ــ التى عاوننى الصديق الـكبير اللواء حسن البدرى فى نشرها ــ وهو من أساتذة البحوث العلمية العسكرية ــ وقد أسندوا اليه بعد يونيو ١٩٦٧ ــ وحتى نهاية عام ١٩٦٨ ــ مهمة الاشراف على ما تنشره الصحف والمجلات المصرية عن الهـــزيمة العسكرية ــ وكان الرجل يعيد قراءة ما أكتبه وما يكتبه زملائى ، بعقل واع ومشاعر وطنية صادقة ، والصفحات القـادمة بعض ما كتبته عام ١٩٦٨ .

● ان النـكسة لم تكن هى النتائج العسـكرية التى ظهـــرت فى حرب يونيو ١٩٦٧ ، بل ان النـكسة هى عوامل ذات جذور قديمة تمتد الى عشر سنوات مضت ،

فبعد الانتصار السياسى الهائل الذى حققناه على المسرح الدولى اثر هزيمة العدوان الثلاثى المسلح علينا عام ١٩٥٦ ، ووقوف شعوب العالم اجمع الى جانبنا ، استغلت القيادة العسكرية العليا هذا الانتصار السياسى الذى حجب أسباب النكسة العسكرية ، وبدأت مراكز القوى تنمو داخل قواتنا المسلحة ، ثم أخذت القيادة العليا تبتعد تدريجيا بالقوات المسلحة عن طريقها الأوحد وهو الاعداد للحرب ، موجهة اكثر اهتماماتها وطاقاتها الى الشئون الداخلية للبلاد ، من أجل تدعيم سلطانها وقبضتها على الداخل متجاهلة لمطلبها الرئيسى وهو توفير قوة القتال التى تستطيع تحقيق المفاجأة العسكرية بالنسبة للعدو .. وقد انعكست هذه الروح على «بعض» المستويات العسكرية فى قواتنا المسلحة التى تسلمت قياداتها ليس لكفاءاتها العسكرية بقدر ارتباطاتها المصلحية والشخصية بالقيادة العليا .

● وكان طبيعيا أن تنتشر روح اللامبالاة بعد ذلك على مستوى القيادة العليا خلال السنوات الماضية ، والاهتمام بالمظهر فقط دون الجوهر ، والأخذ بمبدأ التهوين من أمر العدو وحجمه ، فلا اهتمام بمعلومات حقيقية ومتطورة باستمرار عن دفاعاته وتحصيناته ، ولا متابعة شاملة لتصرفاته واعماله ، يمكن الاستفادة بها فى حالة الهجوم عليه ، أو الهجوم المضاد بعد تلقى الصدمة الأولى .

● ولقد بلغ الغرور والاستعلاء برئاسة القيادة العليا العسكرية ان رفضت تحذيرا هاما وجهته اليها دولة آسيوية صديقة وهى الهند ، قبل وقوع العدوان بعدة ايام ، وكان التحذير يقول بدخول طائرات الاستطلاع

والتصوير الاسرائيلية الى مجالنا الجوى ، وقيامها بالعمل فوق مواقع وتحصينات وحشد قواتنا المسلحة على جبهة سيناء ــ غزة ، وقالت هذه الرئاسات : « لا يمكن أن يحدث هذا ، لأن بطاريات صواريخنا المضادة للطائرات ما كانت تتركها تمر على الاطلاق » ثم ثبت صحة ما جاء فى التحذير الهندى .

● كان كل شيء مركزا فى أيدى هذه الرئاسة ، ولقد حرم هذا التركيز المطلق المستويات العسكرية الأدنى من الحرية فى العمل بما يتمشى مع مطالب ادارة العمليات الحربية ، بل أحدث اخلالا شديدا بسلطات القيادة الفرعية ، وقيدها بشكل خطير مما يعوقها عن المرونة ، ويبطىء من وقت رد الفعل المستفرق للرد على المواقف المتغيرة ، كما حدث فى يومى ٦ و ٧ يونيو ١٩٦٧ .

● لقد ظلت رئاسة قياداتنا العسكرية العليا ترفض الاستماع أو مناقشة البحوث والتقارير التى يضعها الخبراء العسكريون المصريون ، وأسماء اكثر هؤلاء الخبراء ما زالت محفورة فى لوحات الشرف داخل ارقى المعاهد العسكرية العالية فى أمريكا وانجلترا وفرنسا والاتحاد السوفييتى ، بل ان أمريكا عرضت على البعض منهم التجنس بالجنسية الأمريكية لتفوقهم ونبوغهم العسكرى ، ولكنهم رفضوا هذا العرض وعادوا الى الوطن .. كانت ترفض مناقشة هذه البحوث والتقارير استعلاء واهمالا لأنها ــ أى التقارير ــ كانت تتحدث بصراحة حول امكانياتنا ووسائل تدعيمها ــ وامكانيات وقدرات وخطط العدو الاسرائيلى ، والاساليب الجدية القائمة على العلم العسكرى والفنون الحربية لمقابلة كافة الاحتمالات ..

القصور فى الدفاع الجوى

● يناير ١٩٦٧ ، وقد حدث فى بداية هذا الشهر من ذلك العام شيء مثير للغاية ، وأنا أنقل هنا عن معلومات لصديق دبلوماسى من الكتلة الشرقية ، قال لى ان خبراء التخطيط العسكرى المصريين أعدوا تقريرا فنيا حول القصور فى الدفاع الجوى المصرى ، ولخطورة مثل هذا التقرير جاء ضابط كبير من الاتحاد السوفييتى برتبة ماريشال جو ، واجتمع بالخبراء العسكريين المصريين ، وتدارسوا الأمر ، وكان من بين اقتراحاتهم الهامة تسيير سفن صغيرة مزودة بأجهزة الرادار لتعمل بحركة أوسع وعلى مقربة من مواقع العدو فوق مياه البحر الأبيض ، وعندما عرض هذا الاقتراح على الرئاسة العليا فى القيادة المصرية ، قال المشير عامر غاضبا : بلاش وجع دماغ !

مسئولية القوات الجوية أم البرية !

● قال أحد المفكرين العسكريين القدامى :

ـ « أفضل استراتيجية فى الحرب هى أرجاء العمليات الى أن يدب التشكك والبلبلة المعنوية فى العدو ، فيكون انزال الضربة الحاسمة به أمر سهل وممكن » .

فماذا حدث لنا .. ؟ .

● لقد تسلط على مسرحنا العسكرى لعمليات سيناء أحد أمراضنا الاجتماعية الخطيرة التى لعبت دورا رئيسيا فى الهزيمة العسكرية . ان فورات الغضب بعد

٦ يونيو جعلتنا نلقى بكل المسئولية على القوات الجوية لعدم تصديها للضربة الجوية المفـــاجئة المركزة على قواعدها فى الساعة ٨٫٤٥ صباح ٥ يونيو ــ فى الوقت الذى كانت فيه القوات البرية للعدو لابد قد أخذت تشكيلات القتال الهجومى خلال الليلة السابقة للهجوم ، أى قبل الهجوم الجوى المعـادى المركز بساعات على الأقل .

ولابد أن يكون هذا قد حدث فى جبهة سيناء ، ففتح القوات البرية الاسرائيلية للهجوم يستغرق وقتا طويلا ، وكانت هناك نقط استطلاع ومراقبة مصرية على طـول الحدود وخط الهدنة وليس ثمة شك فى أن تحركات عربات ومدرعات العدو المقتربة الى الحدود المشتركة وأصـوات جنازير الدبابات كانت مسموعة ومرئية من القوات الأمامية . وكل ذلك النشاط الذى سبق الهجوم البرى الفعلى فانه يمكن أن يدل على أشياء وأشياء لابد أن قواتنـا فى الأمام أحست بهـا بالضرورة ، ولـكنها تجاهلتها !!!

عمليات أبو عجيلة

كان الهدوء قد أخذ يسود مسرح العمليات فى سيناء فى الساعات الأولى من فجــر ٥ يونية ١٩٦٧ وقبيل الهجوم الجوى علينا مباشرة ، ولكنه الهدوء الذى يسبق العاصفة .. كان هدوءا مريبا ضـاق بالوقت فاندلعت الحرب .

وخاض رجالنا قتالا كله قسوة وعناد شديد وضراوة وعنف ، وفى هذه الحلقة أكتب عن المعارك التى دارت فى محاور « أبو عجيلة ــ العريش » ثم « رفح ــ القنطرة

شرق ـ الاسماعيلية » ، « فراس سدر ـ ضفة قناة السويس ـ شاطىء خليج السويس » .

● يقول العميد اريل شارون قائد مجموعة العمليات الاسرائيلية الجنوبية ، فى تقريره العسكرى الذى نشرته « الديلى ميل » :

ـ « كان واجبى هو تجهيز واعداد جزيرة دفاعية فى منطقة « نيشان بثروتيم » تسلمت أمر القتال لاختراق الدفاعات المصرية فى أبى عجيلة وكانت القوات المصرية مجموعة لواء مشاة مدعم بالدبابات ، وما يقرب من ست كتائب مدفعية ميدان ومتوسطة ، وكنت أعلم ان هذه المنطقة قد حصنها المصريون بدفاعات قوية على امتداد عشر سنوات مضت ـ ولكن أبى عجيلة ذات اهمية تكتيكية خاصة لكلا الطرفين .

« وبدأنا هجوم المجموعة الجنوبية فى محاولة لاقتحام النقط الأمامية مندفعين صوب الدفاعات الرئيسية التى تبعد حوالى ٢٠ كيلو مترا داخل الحدود ، وكان هدفنا من ذلك هو احضار مدفعيتنا وقواتنا الميكانيكية الى المكان الذى نستطيع منه شن الهجوم ، وقد ظللنا طوال يوم كامل وهو يوم ٥ يونيو نحاول تحريك القوات الى مواقع الهجوم فى الوقت الذى كانت فيه بطاريات المدفعية المصرية تطلق نيرانها علينا بفعالية شديدة ، فهبطت خلفها عناصر الاقتحام الجوى من رجال المظلات فى محاولة أخرى لاسكات هذه النيران ، وهاجم المشاة الخنادق الأمامية حتى يتمكن المهندسون الاسرائيليون من فتح الثغرات فى حقول الألغام المصرية حتى تمر مدرعاتنا .

« ولقد خاضت مدرعاتنا معركة عنيفة طوال النهار

بأكمله على طول المواجهة ، ثم هاجما المنطقة الدفاعية من المؤخرة والجانب الشمالى فى اتجاه الجنوب والشرق، واضطررنا أمام التحصين المصرى الى أعداد هجوم شامل منسق وبحشد كبير للمدفعية الاسرائيلية وخطة نيران كاسحة على الدفاعات المصرية » .

● كانت المعركة الرئيسية مستمرة فى أم كتاف وظلت مشتعلة حتى السادسة من صباح ٦ يونيو ، وتكبد الجانب الاسرائيلى خسائر كبيرة فى الأرواح والعتاد ، وصفها فى اذاعاته بأنها « نسبية » ثم أخلى المحور الأوسط ، ليتقدم لواء اسرائيلى مدرع من مجموعة ابراهام يوفيه على طريق العوجة ـ الاسماعيلية ، وينضم الى مجموعته الوسطى عند علامة الكيلو ١٦١ ، وكانت هذه القوات تضم مدرعات ومشاة ، ومدفعية ومهندسين ومظلات وقوات نظامية مختلطة بقوات احتياط ، وقد حاولت على طريق أم كتاف ـ أم مطامر فى اتجاه الجنوب الغربى عزل محور القسيمة الحسنة ، ودارت معارك نهارية وليلية حتى صباح ٧ يونيو ، كان أعنفها معركة رأس مطامر حيث وقفت سرية مشاة مصرية معززة بالدبابات تحطم موجات الهجوم المتتالية عليها باصرار وثبات وعناد مما دفع القائد الاسرائيلى الى تغيير اتجاه هجومه ..

وبعد يوم آخر استطاع العدو التقدم من الحسنة فى اتجاه نخل ، بخطة عزل القوات المدرعة المصرية المتمركزة حول الكونتلا ـ التمد ـ نخل » .

● ويقول « يوفيه » :

ـ « ولم نصل الا بصعوبة كبيرة لكثرة عمليات الاشتباك مع مؤخرة العدو المصرى ، ووعورة الأرض ،

وعلى حد قول الصحفى الأمريكى الذى صاحبنا دكتور جريج ، دفعنا الثمن فادحا ، لكننا نجحنا فى احتلال نخل قبل وصول لواء مدرع مصرى كان قادما اليها من التمد غربا نحو القناة ، ودارت معركة هجومية بشعة استمرت من ١٠ صباحا حتى ٣ ظهرا ، ثم تقدمنا نحو مدخل ممر متلا للهجوم ، ولقد سهلت المساندة الجوية الاسرائيلية عملياتنا حتى للمستويات الصغرى فوق الصحراء ، وخاصة فى معارك الدبابات التى لم نكن نملك في كثير منها التفوق فى التدريع ، الى جانب مدى المدفعية المصرية وهو مدى أطول من مدى مدفعيتنا » .

● ويقول « يوفيه » أيضا :

ـ « كان همنا الوحيد هو شل معنويات هذه القوات المصرية المتماسكة ، وليس احتلال الأرض ، بضرب من المناورة الجريئة حتى نتوغل فى عمق دفاعات العدو ، ثم نعود سريعا ، وبذلك يمكن احراز النصر على حداثة المعدات الحربية المصرية وكفاءة المقاتل المصرى » .

● لقد قاتل الجندى المصرى أشرف قتال ، قاتل وحالة الأعمال الهندسية الميدانية كالتجهيز الهندسى للدفاعات لم تستكمل بعد فى بعض مواقعه ، واشترك فى معارك أم كتاف والعدو يسيطر بسيادة مطلقة على الجو فوقه ، وخلال ذلك ينزل قواته المحمولة جوا على أجناب قواتنا ، ويركز نيرانه لشغل خط المواجهة المصرى ، ورشاشاته تنهال كالأمطار بطلقاتها وهى تدور فوق العربات نصف الجنزير ، والمدفعية والدبابات الاسرائيلية تحاول تدمير الجانب الآخر من قواتنا .

● لقد فرض المقاتل المصرى على العدو الدخول فى معارك تصادمية عديدة فوق الصحراء ، ويشتبك فى

الوقت نفسه مع قواته الهـــابطة من الســماء ، ومع الدبابات التى تعمل فى محاولة للضغط على مواقعه من أجل تدمير دفاعاتهـا ، وفى معركة « البـــاطور » دمر مدفعيته م . د ، فاستنجد بالطائرات الاسرائيلية ، وفى وادى الجميل دمرنا مدرعاته تماما فاستنجد مرة أخرى بالطيران الاسرائيلى ، وتورطت القوات الاسرائيلية فى حقل ألغام على طريق العوجة ـ أبو عجيلة ، وفقد العـــدو الاتصال ببقية جماعاته أكثر من مرة ، ولكنه كان يعيد الاتصال بكفاءة هندسية متفوقة ، وفى اتجاه أم بسيس حتى المدق التركى ثم سد جـريان ، وظلت القـــوات الاسرائيلية رغم ما يساندها من تفوق جوى ـ عاجزة عن احراز أى نجـاح ، ثم أخـذت الذخيرة المصرية تنفد ، وضرب الطيران الاسرائيلى جبل ضلعة ، وكانت القوات الاسرائيلية التى تنزل جوا فى الليل تضطر لاشـــعال القنابل الفوسفورية لتحـديد مواقعنا فتحصدهم نيراننا وهم الذين تحدثوا كثيرا عن تفوقهم فى القتـــــال الليلى ! .

● واستمرت قواتنا تقوم بالعمليات التعرضية ، ثم صدت الاختراق الاسرائيلى فى مواجهة العريش حتى منطقة أولاد على ..

خطتان بديلتان

● كانت خطة العـدو كما وضعها الجنرال اسحق رابين رئيس الأركان الاسرائيلى تعتمد على المباغتة ، وقد وصفها بأنها الحجر الأساسى لنظامهم ، بل قال انه يؤكد على ضرورة عدم الاهتمام بالأساليب المألوفة والمتعارف عليها فى المباغتة « ان قيمة المباغتة غير المتوقعة والغارات

الخاطفة والاستيلاء على مواقع دفاعية له أهمية كبرى بالنسبة للجيش الاسرائيلى ، وقد يكون عدونا المصرى قويا فى مواقعـــه ، وأمداداته مستمرة ، ولذلك فانه سرعان ما يعيد تنظيم قواته ويقوم بهجوم مقابل ، ويوقع بالقوات الاسرائيلية خسائر فادحة ، ولن ينقذنا من ذلك غير ارباك قيادة العــدو حتى نهاية العمليات ، وهــذا يعنى ان العمليات الناجحة في الماضي لا يجب استعمالها في المستقبل حتى لو توفرت نفس الظروف التى توفرت فى الماضى .

● وقال « اسحق رابين » فى تقـــريره الى مجلس الحرب الاسرائيلى :

« لابد من اتخاذ اكثر من خطتين بديلتين ، حتى تستطيع القيادة اتباع أى خطة منها بسهولة وبسرعة فى حالة تعذر وتطبيق أى خطة منها بسبب خطأ أو توقف التقدم للهجوم » .

● وقال شارحا ، « ان الحركة فى تفصيلات الاوامر لابد أن تمتد حتى تصل الى مستوى الفصيلة ، وقد تقع أخطاء كثيرة ، لـكن قد تكون النتائج أيضا باهرة ، تفوق ما قد تأتى به القرارات الصادرة من القيـــــــــادة العليا . ان المركزية فى القيادة سوف لا تجمد الحركة السريعة فحسب ، بل ستحطم معنويات قادة الوحدات فى ساحة المعركة » .

● وعلى محور « رفح ـ القنطرة ـ الاسماعيلية » كان العدو الاسرائيلى يحاول اختراق فرقة مصرية ، مشاة ، ولواء فلسطينى ، محاولا الاندفاع نحو العريش عن طريق محور الشيخ زويد ـ الجرادة ـ ثم العريش فى النهاية ، آملا فى الوصول حتى ضفة القناة ، وكانت

تشكيلات القوة المصرية ضعيفة التحصين لعـــدم توفر الوقت أمامها ولتكليفها بواجبين متعارضين هما الدفاع والهجوم ، والدفاعات تمتد الى العمق في كل من الشيخ زويد والجرادة وأمامهما، والعدو مستمر فى تطبيق خطته لتدمير قواتنا بطائراته كى يصل بجزء من قواته على المحور الشمالى مندفعا من العريش الى بير لحفن ثم الجفجافة فالقناة على المحور الأوسط ، وقال العميد اسرائيل تال فى تقريره العسكرى بعد العمليات :

« كنا على يقين من أن المعـــركة الاولى لاقتحام دفاعات رفح ستجعلنا نصاب بخسائر هائلة ، ولكنها كانت بالنسبة لنا معركة اختبار حقيقى فى القتال ! .

« وهاجمنا الدفاعات المصرية التى امتدت للخلف بعمق ١٢ كيلو مترا معززة بالمدفعيـــة والدبابات والألغـــام كمنطقة دفاعية من الطراز الأول ، ونفذ الهجوم الأيمن قرب الساحل شمال رفح ، وكانت المرحلة الأولى هجوم بالمواجهة تقريبا لاختراق دفاعات اللواء ٢٧ الفلسطينى ، وبعض دفاعات اللواء ١٦ مشاة المصرى ، وحاولنا تدمير المدفعية المصرية كأسبقية أولى » .

● واستمرت المعركة حتى مساء ٥ يونيو وكان العدو قد تدمر عموده الفقرى ، والقتال يتطور سريعا واستطاع الجنود المصريون توحيد صـــفوفهم فى دفاعات سريعة حول الجرادة ، وعزل القــوات الاسرائيلية المدرعة في العريش تماما .

● وعاد العدو يحاول فتح الطريق ، ونجح بصعوبة فى اختراقه واندفعت مجموعة عملياته الشمالية صوب العريش ،ثم انقسمت الى محورين ، الأول فى اتجـــاه بير العبد ـ رمانة ـ القنطرة ثم القناة ، والثانى جنوبا

نحو بير لحفن ، ودارت معركة ضارية حول مطـــار العريش ، واشتركت الدبابات خلالها ، وكانت دفاعاتنا تشكل آخر موقع محصن لمنع مجموعة العمليات الشمالية من المناورة العرضية نحو المحور الأوسط فى سيناء ..

وقام العدو بعد ذلك بهجـــوم منسق مع مجموعة العمليات الوسط فى اتجاه جبل لبنى ومجموعة تقاطع الطرق الحيوية فى قلب سيناء ، سقط فيهـــا مئات الشهداء من الجانبين ، وتكبد العدو خسائر كبيرة فى الأرواح والعتاد ، واستطاع لواء مدرع مصرى أن يصمد من بعد ظهـــر ٦ يونية حتى منتصف ليلة ٧/٦ يونية ويمنع القوات الاسرائيلية من التقدم .

● يقول العميد اسرائيل تال :

« قام المصريون بهجـــوم مضـــــاد قوى ، وعملت الطائرات المصرية فوقنا ، وشن لواء مدرع مصرى هجوما ضاريا على طول عدة عشرات من الكيلو مترات ، وكنا نقوم بأعمـــال تعرضية ، حتى جاءت الدبابات المصرية ت ٥٥ ، لفتح محور بير الجفجافة من الخلف .. » .

● ويستمر العميد تال قائلا :

« تفوقت الدبابات المصرية فى هـــذه المعـــركة ، تساندها الهاونات الثقيلة ، ولقـد صمدنا أمام هـــذا الهجوم المصرى المتفوق حتى وصلت الطائرات الاسرائيلية، فتابعنا التحـــــرك بسرعة اندفاع أقل مما كنا نأمل ، اجتزنا ٥ كيلو مترات فى ٦ ساعات ، واضطررنا الى ارسال مجموعات قنـــاصة تعززها ٣ دبابات اسرائيلية لتعطيل النيران المصرية عن اصطيادنا .. فقد كانت هذه المعركة بالنسبة لنا معركة بقاء أو فناء ! .

وعندما بلغنا منتصف المسافة على محور العريش ـــ

القنطرة تحول الأمر الى مقاومات متزايدة من جانب العدو المصرى ، كلما اندفعنـــا غربا حتى واجهنا فجأة قوات مصرية ، قاتلت بضراوة ووحشية ، وجاءت الطــائرات المصرية مرة ثانية ، وعملت فوقنـــا ، واضطررنا الى الدخول في معركة معها طوال ٣ ساعات ، ولــكن نيران الطائرات المصرية نجحت فى وقف تقدمنا ، ولم نتحرك حتى اشتبكت معها الطائرات الاسرائيلية .

لقد كان هدفنا تحقيق الاتصال العرضى بين المحورين الشمالى والأوسط ، وأكثر المصريون خلالها من اطــلاق نيرانهم المركزة بلا انقطـــاع ، واستخدموا اعدادا من طائراتهم كانت بالنسبة لنا مفاجأة ، ثم فوجئنا مرة أخرى بالصواريخ المصرية ، وخضنا معركة جديدة لمواجهة هذه النيران ، واستمرت المعــركة حتى تسلمنا أوامر وقف النار » .

الهجوم المضاد .. والانسحاب !

● وبعد .. لقد رأى بعض القادة المصريين ممن كانوا يديرون ديناميكية القتال فى الجبهة المصرية وضع خطة هجوم مضاد والقيام به صباح يوم ٦ يونيو ، لاعادة اتزان الدفاع فى المنطقة الأمامية من سيناء ، ولقـــد خططوا أسلوبا آخر لادارة الأعمال القتالية فى حالة عدم الاتجاه الى شن هذا الهجوم المضاد ، وكان يقضى بتمسك القوات المصرية باصرار بالخط الثانى للدفاع عن سيناء من العريش شمالا — حتى الحسنة والتمـد جنوبا ، والدفاع فوق هذا الخط ، وصـــد هجمات العــدو وتحطيمها أمامه ، وكان مما يعزز هذا الاتجاه هو أنه

عندما تتلاحم القوات الاسرائيلية المهاجمة مع الخط الدفاعى المصرى ، سيتوقف عمل العدو جوا ، ويهبط تكثيف طيرانه ، اذ سيمنعه التلاحم فى القتال بين قواته وقواتنا ، بذلك الشكل المعقد قتاليا ، سيمنع قيادته من التضحية بقواتها البرية التي ستحصدها تماما نيران طائراتها اذا أستمرت تعمل فوق القوتين المتلاحمتين .

● وبهذا الأسلوب كان فى امكاننا أن نضيع على العدو ثمار الضربة الجوية المركزة فوق قواعدنا صباح ٥ يونيو ، وتتبدل كثيرا نتيجة المعركة ؟ .

● لقد تسلمت رئاسة القيادة العليا للقوات المسلحة الخطوط العامة لهذه الخطة وفى الوقت نفسه أصدرت قرارا مناقضا لها ، قرارا لم تعلم به نفس أجهزة التخطيط المسئولة فى قياداتنا عند صدوره ، وكان القرار يقضى بالانسحاب ! .

● ولقد أبلغ هذا القرار لبعض قادة القوات المصرية فى سيناء ، ولم يبلغ للبعض الآخر ، بل ان قيـــــادة الجبهة لم تعلم به الا بعد انقضاء عشر ساعات ونصف ساعة ، وتدمر فى هذا الانسحاب الجنونى ٧٩ فى المئة من معداتنا الحربية المدمرة ، خلال العمليات ، أو ٨٠ فى المئة كما ذكر الرئيس عبد الناصر ، ووزير الحربية أكثر من مرة فى خطـــــاباتهم .. وخلاصـــة القول ان أسلوب الانسحاب العام من سيناء بالشكل الذى أمرت به القيادة العليا كان مستحيل التنفيذ .. فالقوات التى استغرق حشدها فى سيناء ٢٣ يوما كاملة لم يكن فى الامكان أن تخلى سيناء فى ظرف عشر ساعات فقط هى كل ما أتيح لها من وقت كنص أمر الانسحاب الذى قضى باتمام اخلاء سيناء خلال ليلة ٦/٧ يونيو ١٩٦٧ !!! .

● ان الانتصـار الذى حققته اسرائيل هو أرخص الانتصارات عسكريا ، فمن خـــلال ما نشرته صحف الايكونومست ،وريتلى ريفيو ، وأير آفايا ، والانكونتر » نقلا عن القادة الاسرائيليين ، نجد أن القيادة الاسرائيليه خططت للحرب على أساس واحد ، وهو بالنسبه للجو عدم الدخول مع الطيران المصرى فى معركة جويه ، بل الانقضاض على الطائرات المصرية وهى رابضة فوق أرض مطاراتها ، وكان التدريب فى القوات الجوية الاسرائيلية طوال السنوات الماضية يتم على هذا النمط ، وبالنسبة للبر ، عدم الاشـــتباك مع أى قوات برية مصرية أو مواجهتها بقدر الامكان ، والالتفاف حول أجنحتها فى حالة وجود السيطرة الجوية للطيران الاسرائيلى ، ولقد حدث شىء مثير للغاية ، اذ قامت قوة لواء اسرائيلى بالمرور عبر طريق مدنى ـ خان يونس ـ رفح ـ بعد أن قامت بالتمويه والتضليل ، حتى يظن من يراها انهـا قوات عربية ، وبذلك لا تواجه القوات المصرية المتمركزة فى مواقعهـــا ، ولقد كانت قـــواتنا خلف هذا اللواء واشتبكت معه من الخلف قبل أن يهرب ...

أسلوب النازى

● ولقد قال جنرال تال قائد المدرعات الاسرائيلية ان معركة ســـيناء دارت تحت قيادته وقيادة جنرال « جافيش » وجنرال « ابراهام يوفيه »' وبريجادير جنرال « اريل شارون » وانهم طبقوا الأسلوب الألمانى الذى أتبعته القوات النازية فى الحرب العـــالمية الثانية ..

اخذ « تال »، واجب الهجوم شمالا ، و « شارون » للسيطرة على ابى عجيلة ، واختط « يوفيه » طريق الكثبان الرملية حتى وصل الى بير لحفن على طريق أبى عجيلة ـ العريش فى محاولة لقطع الطريق على القوات المصرية ، أما فى الجنوب الأقصى فقد تقدمت مجموعة قتال اسرائيلية الى الكونتلا فى مناورة تهدف الى جذب القوات المصرية لتكون فى مدى صواريخ الطائرات الاسرائيلية بعد التأكد من نجاح ضرب الطيران المصرى .

● وقال « تال » : « كان همنا أن نتجنب جبهات الألغام التى تبثها الفرق المصرية .. والتى انتشرت فى تشكيلات جديدة للدفاع والهجوم ، فمن ناحية .. كان المصريون فى وضع للانطلاق شرقا عبر النقب الجنوبى والاتصال بالقوات الأردنية وقطع الاتصال بين ميناء ايلات وبقية اسرائيل ، ومن ناحية اخرى .. كان المصريون يغطون الخطوط الرئيسية للتقدم عبر الصحراء بمواقع محصنة جدا ، وكان الخط الوحيد للتقدم غربا من الحدود الجنوبية لاسرائيل ، هو الخط غير المسدود بالتحصينات وهو الذى سيطر عليه جنرال « يوفيه » عبر الكثبان الرملية ، ومن المؤكد ان المصريين اعتقدوا انهم لن يتمكنوا من المرور فوقه .. كذلك نحن أيضا !! » .

اسرائيل تستخدم طرق العرب !

● وكانت منطقة رفح العريش تحت سيطرة الفرقة السابعة المصرية ، محاطة بألغام قليلة على شكل حدوة

حصان تصل حتى الشاطىء ولواء مدفعية ١٢٢ ، وكان « تال » كما قال يضع نصب عينيه تفـادى المدفعية المصرية ، وتفادى حقول الألغام ، مما قاده الى اختراق دفاعات رفح عن طريق خان يونس .. ولكن ذلك كان يعنى دحر جزء كبير من قواته ، فشق طريقه مستخدما الطرق الداخلية التى يستعملها العرب تحت ستار من التضليل والتمويه ...

● وقال القائد الاسرائيلى للصحف الغربية : « كان مصيرنا يعتمد على هذه المعركة ، وهذه المحاولات والا فالموت لنا » .

● وتحت نيران المدفعية الكثيفة ، والمدافع المضادة للدبابات ومدافع الماكينة وصـــــل اللواء الاسرائيلى الشمالى من قوات « جنرال تال » خارج خان يونس وقد دمرت له ٦ دبابات ، ومات ٣٥ قائد دبابة ، وكانت ضربة الطيران المصرى قد تمت ، ولم يعد لقواتنا البرية غطـاء جوى يحمى هجومها .

وقال « تال » بعد ذلك : « ان هذا الاختراق لم يتم الا بخسائر جسيمة فى الوقت الذى كان اللواء الثانى التابع لقيادتى يزحف الى الجنوب فى محاولة للالتفاف حول الأجناب المصرية والقفز خلف الحصـون وحقول الألغام المصرية أيضا متقدما جنوبا من رفح » .. وعندما قاموا بالهجوم على مؤخرة التشكيل المصرى كان هناك لواء مصرى يطلق نيرانا كثيفة من مواقعه المحصنة ، واستمرت النيران مفتوحة طـوال الليل تهل كالأمطـار حتى جاءت القوات الجوية الاسرائيلية لتلقى بصواريخها فوق مواقعنا ، بعد أن كبدنا العدو خسائر ضخمة فى الارواح والعتاد .

● يقول القائد الاسرائيلي : لقد كانت المدفعية المصرية مختبئة بين الكثبان في مخابيء خرسانية تحت الأرض تطلق نيرانها في دفعة واحدة علينا مثل البرق على طول أرض المعركة ، وكان من المتعذر اكتشافها ، ولم تدمر دباباتنا سوى القليل منها ، وكنا نتقدم على الضوء المنبعث من هذا الوميض ! .

● وفي الوقت نفسه كان « جنرال يوفيه » على بعد ٢٠ ميلا جنوبا عبر بحر من الكثبان الرملية تجاه بير لحفن مع لواء مدرع وفي مدى ٩ ساعات تقدم ٦٠ ميلا ، فوصل ١٢ مساء وهناك عمل على وضع قواته في موقع تعطيلي عبر الطرق الممتدة من جبل لبني وابو عجيلة الى العريش لمنع وصول أي تعزيزات مصرية ، فجاء لواء مشاة ميكانيكي مصري واصطدم بقوات يوفيه واستمر القتال ليل نهار حتى ظهر اليوم التالي حيث انسحبت قواتنا بعد توجيه ضربات جوية اسرائيلية اليها .

● ان السيطرة الجوية لاسرائيل هي وحدها التي مكنت من التقدم الاسرائيلي على طريق رفح ـ العريش ، ولقد كانت ابو عجيلة نقطة الاختراق الثاني حيث كانت قوة لواء مصري مدعمة اعترضت العدو الاسرائيلي بصورة فعالة في خط تقدمه الرئيسي بالقرب من العوجة الى الجزء الأوسط من شبه جزيرة سيناء ، وقال « أريل شارون » قائد مجموعة عمليات اسرائيل ضد أبي عجيلة :

« لقد عملنا على تجنب الهجمات المصرية الأمامية ، وكنا نخشى من القتال المتلاحم الذي يجيده المصريون ، ولم يكن امامنا غير الهجوم الليلي .

● واستمر القتال طوال يوم كامل ، وكان الليل مضيئا كالنهار نتيجه القنابل شديدة الانفجار ، والقنابل الحارقة التي تنفجر عبر المكان باكمله مضيئه بذلك المكان نه ، وقد تسلم « شارون » في هذه الساعات اقتراحا من قيادته الجنوبية يطلب منه ارجاء الاقتحام حتى تصله المعونة الجوية .

ويقول شارون : « كانت النيران مروعة ، فلم أر في حياتي نيرانا مثلها .

● كان « شارون يقود لواء مظلات ولواء مدرع ولواء ميكانيكى وكتيبة اقتحام جوى وست كتائب مدفعية ، ودار القتال المتلاحم بالرغم منه بين قواتنا وقواته ، وفى الليل كان الاسرائيليون المشاة يحملون مصابيح ترسل ألوانا حمراء وخضراء وزرقاء حتى لا تحصدهم نيران دباباتهم ، فحصدتهم نيراننا ، واضطر ضابط اسرائيلي برتبة ألوف مشنيه « عقد » اسمه « اساكار » دمرت قواتنا أكثر دباباته ، اضطر لجرها خلف الدبابات السليمة بواسطة أسلاك جر ، واستمر القتال بعد ذلك ثلاثة أيام وليلتين حاصرنا خلالهـا قوة مدرعة اسرائيلية ، ثم جاء لواء اسرائيلى لفك الحصار المصرى ، وفجأة ظهرت الطائرات المصرية تلقى عليه صواريخها ، وقال « العقيد أساكار » ، لم يبق لدينا أكثر من طلقتين لكل مدفع صالح للعمل ، ونصف صندوق ذخيرة عيار ٥٠ر مدفع ماكينة .

وعقب « جنرال تال » بعد ظهور الطيران المصرى فوق سيناء :

« ـ لقد خرجت من هذا الوادى كرجل عجوز بعد أن شاهدت القتلى والدبابات المحترقة وتصميم المصريين

على الحـرب بلا يأس ، وكانت الضوضاء وحدها تبعث الفزع فى اى قلب » .

●● وهكذا اثبت الطيـــــارون المصريون انهم فى المعركة ، لم يقض عليهم كما زعم البعض ، فالشلل الذى أحدثته الضربة الجوية المركزة لطائراتنا كان فى جهاز القيادة العليا للقوات الجوية وليس فى الطيارين ، الذين دخلوا معارك الجو بعد صباح ٥ يونيو ، وكل منهم على يقين تام باستشهاده لا محالة .

كيف حصلوا على مواقع صواريخنا ؟

● ان الحديث عن الطلعـــــات الانتحارية لطيارينا وجرأتهم واصالتهم ومعدن تربيتهم العسكرية الأمينة التى تحدث عنها العدو قبل الصديق ، ليس معناه تجـاهل الاهمال الجسيم الذى ارتكبته القيـــادة العليا السابقة للقوات الجوية ، مما جعل الصدمة مركزة قوية على قواتنا الجوية وقواعدها ، ودفاعنا الجـــوى وبطاريات صواريخه المضادة للطائرات المعادية .. غير ان هنـاك حقيقة فى وضوح الشمس ، وهى اعتماد الضربة الاسرائيلية الجوية المركزة على الأقمار الصناعية بالدرجة الأولى .

● لقد استطاعت القيادة الجوية الاسرائيلية الحصول على خرائط ببطاريات الصواريخ المضادة للطـــائرات ، ومواقع انتشارها ومدى عملها ، وقد قال أكثر من خبير عسكرى عالمى انه ليس فى استطاعة اى قوات جوية بوسائل الطيران تحديد مواقع هذه الصواريخ المنتشرة فى مليون كيلو متر مربع هى مساحة مصر على الاطلاق !.

● شيء واحد يستطيع تحقيق ذلك ، وهـو القمر الصناعى الأمريكى ، الذى مد اسرائيل بهـذه المعلومات كوسيلة من وسائل الدعم التكنولوجى الذى ألحت به اسرائيل ولولا ذلك الدعم لظلت السيطرة الجوية فى المعركة لقواتنا العربية .

● لقد كانت هناك كتيبة صواريخ فى دمياط ونقلت قبل المعركة بأيام قليلة الى بور سعيد ، وكانت اسرائيل على علم بها .. كيف يتأتى لها ذلك دون القمر الصناعى الأمريكى ؟! .

● ان الانجاز لأى قوة جوية فى العالم يعتمد على عدد الطائرات ، ثم نوع الطـــائرات ، ومستوى الخدمة الأرضية ، وتدريب الطيارين ، ونوع المهمة التى ستكلف بها القاذفة أو المقاتلة ، وأخيرا رحلة الذهاب ، والوقت المطلوب للعمل خلاله فوق الهدف ثم العودة، وبالحسابات الدقيقة والادراك المتفتح يمـكن أن تستغل أى قيادة عسكرية ، قوتها الجوية أفضل استغلال ، وبدون ذلك تنقلب الموازين رأسا على عقب ، كأن تفاجأ هذه القوة بما يشل قدرتها على أداء الانجاز المحسوب . ان التحليل العادى الموضوعى غير المنحاز يضع فى الاعتبار ان المفاجأة بالنسبة لنا كانت شبه كاملة ، لكن الاحصائيات الرسمية للتصرفات الشخصية التى وقعت من قادة الوحـدات الجوية حتى الطيار الرابض فى الطائرة غير المصابة ، تقول لنا بأن أبطالنا استطاعوا القيام بمائتين وخمسة وخمسين طلعة انتحارية بعد نجـــاح الضربة الجوية الاسرائيلية لقواعدنا ! .

● هذه هى المعجزة .. أن يقوم طيارونا وممرات مطاراتهم مضروبة بقنبلة الممرات ، والصواريخ المصرية ،

والمدافع المضادة للطائرات تعمل معا فى وقت واحد فوقهم والقنابل الزمنية تنفجر بلا توقف فى أركان المطارات ، ان يقوم طيارونا بطلعات انتحارية فى هذه اللحظات ، ويستشهد بعضهم أثناء الاقلاع ، والبعض الآخر يستشهد وهو يواجه عشرات من طائرات العدو تنتظر صعوده اليها وقد تربصت له فى أشد مناطق الجو حساسية ، وآخرون يقاتلون حتى ينفد وقودهم فلا يجدوا سبيلا للعودة ، ومن عاد وجد مطاره وقد دمرت قنابل الطائرات الاسرائيلية ممراته تماما .. ان يقوم طيارونا بهذه العمليات ، والصواريخ المصرية فى السماء لا تفرق بين جسم مصرى أو اسرائيلى ..

● قال « الجنرال مردخاى هود » قائد الطيران الاسرائيلى عام ١٩٦٧ فى تقريره الى مجلس الحرب :

« – ان سلاح الطيران المصرى ظلّ دائما مصدر تهديد رئيسى لنا ، وكنا نشعر بقلق حقيقى تجاه تهديد قاذفات القنابل المصرية المتوسطة من طراز «بادجر ت. يو ١٦» .

● واعترف بأنه خسر ١٩ طائرة خلال هجومه صباح ٥ يونيو و ٣٤ طيارا باصابة نيران الطائرات المصرية التى كانت تقوم بدورياتها فى الجو أثناء ضرب القواعد المصرية .

● وقال « مردخاى » للصحفى الأمريكى وارين ويتمور المحرر بمجلة « افيشن ويك أند سبيس تكنولوجى » الأمريكية العلمية :

« – منذ ١٦ عاما ونحن نعيش مع هذه الخطة التى طبقناها فى يونيو ١٩٦٧ ، كنا نعيش معها ، وننام معها ، ونأكل معها ، كانت كل شىء بالنسبة لنا ، ولقد قضينا

عدة أعوام بعد ذلك نتدرب على نوع معين من الهجـوم على الطائرات وهى رابضة فوق الأرض ، لا على القتال الجوى ، وكنا نتدرب فى النقب على أربعة أو خمسة أنواع من المدى » !! .

وعاد يقول :

« ولم يكن لمخابراتنا أى عمل غير نشاط وتحرك القوات الجوية المصرية ، ومواقع وتفاصيل قواعدها ، وانتشار طائراتها ومواقع صواريخها وراداراتها .

بداية العمليات

● قدرت اسرائيل فى حساباتها ســـاعتين وخمس دقائق لمهاجمة مطاراتنا ، وكانت هذه الحسابات دقيقة للغاية اذ حددت الآتى :

ــ اذا أقلع الطيار الاسرائيلى من مطار حاتسور أو اللد أو الرملة أو رامات ديفيـــد ، أو أى مطار وسط اسرائيل الساعة ٨ر٣٠ صباحا بتوقيت القاهرة ــ ٧ر٣٠ بتوقيت اسرائيل ، تكون الرؤيا فوق مناطق كثيرة من النيل وفوق الدلتا وقناة السويس واضحة حيث يزول الضباب الذى ينتشر فوق هذه المناطق فى ذلك الوقت من العام ، ويصـــل الطقس الى مثـاليته فى الثـامنة والنصف صباحا ــ ٧ر٣٠ بتوقيت اسرائيل ، وتبلغ الرؤيا بالنسبة للطيـــارين درجة عالية بسبب زاوية الشمس ، ووصول الهواء الى غاية سكونه مما يساعد على الدقة فى اسقاط القنابل على الممرات .

وثمة عامل آخر ، وهو استطاعة العدو الوقوف على نمط الحياة داخل قواعدنا الجوية ، كذهاب القادة الذين

تتمركز فى أيديهم كل السلطات حوالى التاسعة صباحا، فاذا بدأ الضرب قبل ذلك بخمس عشرة دقيقة سيكون هؤلاء القادة فى الطـــريق ، لا فى بيوتهم أو مكاتبهم ، والطيارون يعودون من وضع المظلة أو فى طريقهم الى دورات التدريب فتعجز القواعد المصرية عن الرد حتى يصل قادتها الى قياداتهم .

● ولقد أرسل الاسرائيليون عدة أجــــهزة رصد طائرات جنوبا فوق خليج العقبة مما أوحى بأنهم يخططون للهجوم بانحناء شمال الطريق الجنوبى من شبه سيناء بدلا من الهجوم بانحناء يمينى من فوق البحر المتوسط ولذلك عندما أقلعت طائراتنا من قواعدها جنوبا للقتال الاعتراضى شمالا ثم عادت الى قواعدها فوجدت الممرات غير صالحة للنزول ، وقع بعضها فريسة لكمين جـوى اسرائيلى بأضعاف أضعافها ! .

ولقد أقلعت الطائرات الاسرائيلية على فواصل زمنية زمنية محددة بهدف الوصول الى مطاراتنا البالغ عددها ١١ مطارا ، وذلك لتحقيق المفاجأة القصوى ، فى الوقت الذى كانت تنتشر طائرات العدو بين ٥٨ مطارا ! وطارت على ارتفاع لا يتعدى ٣٠ قدما فوق مستوى البحر حتى تبقى أسفل الرادار المصرى وقد كانت القيادة الاسرائيلية يساورها القلق من الردارات المصرية التى عملت بدرجة تكشف عالية ، ثم هاجمت رفوف أربع طائرات مستخدمة سلسلة انحناءات يمينية دائرية قصيرة فوق البحـــر الى القواعد القائمة حول القـــاهرة وسيناء والقناة ، والبعض الآخر من الطائرات المعادية أخذ شكلا مستقيما لمهاجمة قواعدنا فى الوجه القبلى ، وخلال كل ذلك كانت أجهـزة الاعاقة والشوشرة الالـكترونية قد بلغت ذروة

التشويش على الأجهزة المصرية ، والفضل فى ذلك يعود الى الباخرة ليبرتى وغيرها .

● كانت رحلة الذهاب بالنسبة للطائرات المهاجمة تستغرق ٢٠ دقيقة فى المتوسط . فاذا أقلعت ٨٫٣٠ صباحا تكون فوق الهدف المصرى ٨٫٥٠ وتظل فى مهاجمة المطار ، أبى صوير مثلا حتى ٨٫٥٧ ثم تعود وتستغرق فى العودة ٢٠ دقيقة أخرى حيث تصل قاعدتها ٩٫١٧ ، وتبدأ عملية ملء الخزان والتفتيش والصيانة والتزود بالذخيرة فتستغرق مابين٧دقائق ونصف دقيقة كأقصى وقت أو نصف ساعة ، وكل منها زمن قياسى لم يتحقق فى العالم من قبل ، اذن أن المعدل لهذه العملية ساعتان .

● ان الدعم التكنولوجى والمتطوعين الذين ذهبوا لاسرائيل كانا خلف نجاح هذا الأسلوب .

وقد حرصت اسرائيل على أن تغطى مطاراتنا بالنيران طوال الزمن الذى قدر للعملية ، وحرصت على تغطيتها أيضا خلال الدقائق الخالية لعودة سرب ووصول سرب آخر فجعلت من كل سربين خصصتهما لمهاجمة مطار مصرى ستة رفوف جوية ، الرف الأول يقلع ٨٫٣٠ صباحا ، والثانى ٨٫٤٠ ، والثالث ٨٫٥٠ ليكون الأول فوق الهدف ما بين ٨٫٥٠ حتى ٩٫١٧ ، ثم يتولى الرف الثانى العمل ما بين ٩٫١٠ حتى ٩٫٣٠ ، والرف الثالث حتى ١٠٫١٤ ، وهنا وجد « مردخاى » انه بين الساعة ٨٫٥٧ صباحا بداية الهجوم ، والساعة ١٠٫٠٧ دقائق ستكون المطارات المصرية طوال ٧٠ دقيقة دون غارات فوقها ، ولذلك خصص السرب الثانى لتستمر العملية حيث تغطى قواعدنا بطلعات مهاجمة طوال هذا الزمن

الخالى ، وبهذه الوسيلة اصبحت مطاراتنا غير مغطاة بالطائرات الاسرائيلية لمدة ١٣ دقيقة فقط .. كما تكفلت القنابل الزمنية بتغطية هذه الفترة ايضا .

● وقد القت إسرائيل القنابل الزمنية خلال هجماتها لتجعل استمرار العمل أو الحياة بالمطارات خلال هذه الدقائق الثلاث عشرة مستحيلة بواسطة الانفجارات الارضية التى شهدتها هذه المطارات ، كذلك استعملت القنبلة المعروفة بقنبلة الممرات تلقى ثم تعمل فى مؤخرتها صاروخ « كابم » لينوقف دفع القنبلة الى الأمام ، ويبدأ هذا الصاروخ المضاد فى تهبيط سرعتهـا حتى درجة الصفر . ثم تتحول القنبلة وتأخذ شكلا أفقيا فيرسل اليها صاروخ ثان غير مضاد ، أى فى الاتجاه الحقيقى له حتى درجة الصفر ، ثم تتحول القنبلة وتأخذ شكلا أفقيا فيرسلون اليها صاروخا ثانيا غير مضاد . أى فى الاتجاه الحقيقى له حتى يصل بالقنبلة الى سرعة الصوت عندما تصل الى مسافة ٢٠ قدما نحو الأرض فتخترق الممر الجوى من ٥ر١ حتى ٤ أمتار ، ثم تنفجر وتحدث حفرة نصف قطرها يتراوح حسب تربة الأرض بين متر وثلاثة أمتار ، وليس هذا فحسب ، بل ان بعض الصواريخ قد تنفجر بعد ساعة أو ٣ ساعات حتى تتسبب فى خسائر بشرية كبيرة ! وبهذه القنبلة يتعذر الى حد ما اصلاح الممرات الجوية سريعا ، اذ أن هذه القنبلة التى تزن من ٥٠٠ رطل الى الف رطل ما أن تخترق الخرسانة للتفجير حتى تقوم طابة زمنية تضبط وفقا لتأخير زمنى معين متغير بتحديد لحظة الانفجار ، فتظل الممرات فى حالة انفجارات بين لحظة واخرى ! .

● وبالرغم من هذه الخطة المكبلة لنا فقد قام طيارونا

فى يوم ٥ يونيو ب ٣٢ طلعة عمليات بقوة ٥٥ صنعة قتال جوى ، وفى اليوم الثانى ٤٩ طلعة عمليات بقوة ١٢١ طلعة طائرة ، وفى اليوم الثالث ٣٠ طلعة عمليات بقوة ٤٧ طلعة طائرة ، وفى اليوم الرابع ٢٢ طلعة عمليات بقوة ٣٧ طلعة طائرة ، وفى اليوم الخامس بعد توقف وقف اطلاق النار بواسطة مجلس الأمن قام ابطالنا بطلعتى عمليات بقوة سبع طلعات طائرة .

● لقد قام طياران مصريان الساعة ٨ر٥٥ صباحا يوم ٥ يونيو وكان مطار ابو صوير يضرب فى تلك اللحظة ، قاما منه بقيادة طائرتي ميج ٢١ ، لفك الحصار الجوى الاسرائيلى عن الممر ، وسقط أحدهما شهيداً فقد كان فى الجو ٤ طائرات ميستير تنتظره لحظة اكتساب طائرته للارتفاع والسرعة أثناء اقلاعها ، وفى هذه اللحظات الحرجة لا تستطيع الطائرة المقلعة اطلاق صواريخها بسبب الضغط الجوى ، وتكاد تصبح عزلاء من أسلحتها تماما ، وقام الطيار الثانى بعمل معركة اعتراض جوى ، وأثناء هبوطه دخلت احدى عجلات طائرته فى حفرة بالممر فاختل توازن الطائرة ، واستشهد البطل الثانى .

● لقد قام رجالنا الخالدون بخمس وخمسين طلعة فى اليوم الأول ، وبمائة واحدى وعشرين طلعة فى اليوم الثانى ، أى بمعدل ٨٣ طلعة فى اليوم الواحد ، وهذا أداء شخصى فردى بحت يعود الى الشجاعة والايمان والرغبة الصادقة فى اداء الواجب أنبل ما يكون الأداء دون أوامر او خطة عمليات .

●

ليس ما سبق من صفحات هو تسجيل كامل ليوميات

العمليات الحربية فوق سيناء خلال جولة ١٩٦٧ – ولـكنه محاولة اجتهادية قمت بها كصحفى ظل يطوف بمختلف التشكيلات العسكرية فى أنحاء مسرح المعركة حتى ظهر ٨ يونيو ... المهم ان التـاريخ سجل أبشع الهزائم التى لم يكن للمقاتل المصرى بها ادنى صلة – ولكنها ألحقت به عن عمد وكما يقول البعض عن خيانة !

● وجاء يوم ١٠ يونيو – وأصدر الرئيس الراحل قراره بتعيين الفريق أول محمد فوزى قائدا عاما وقيل يومهـــا أن ماضى هـذا القـــائد كفيل بارهاب أى ضابط بقى فى الخدمة ومنعه من التفكير أو التساؤل أو مناقشة مسئولية جمـال عبد النـاصر فيما حدث من خسـائر ونكبات ، وكان هذا صحيحا وقد اعترف بذلك محمد فوزى لعدد من كبـــار قادته العسكريين عام ١٩٦٩ – وكانوا يتندرون ببطشه بعيـدا عنه – كمـا اعترف به عبد الناصر أيضا عام ١٩٧٠ ، وهـو يزور القنطرة غرب وقوات المشاة هناك ..

● ومرت الأيام بطيئـة كئيبة وعبـد الحكيم عامر وشمس بدران وأعوانهمـــا فى عزلة تامة داخل بيت المشير بالجيزة – كل نشاطهم تحت رقابة سرية مكثفة – فرضها عبد الناصر عليهم – ولكنه كان فى نفس الوقت يخشى استطاعة عامر تحريك الجيش ضده وهو ما كان عامر يعتزم القيام به فعلا – وفى ليلة « ١٢ » أغسطس عام ١٩٦٧ – لبى عامر دعوة عبد الناصر وذهب الى لقائه فى منشية البكرى سعيا للصلح وقضى عامر هناك ما يقرب من خمس ساعات فى شبه محاكمة له – حضرها بعض أعضـــاء مجلس قيادة الثورة بدعوة من عبد الناصر ، وقيل أن « عامرا » فقد أعصابه أكثر من

مرة وحاول منع عبد الناصر من مغادرة حجرة الاجتماع — عنوة — فتصدى له الحرس ، ومزقوا له ملابسه وأرغموه على دخول سيارته التى عادت به الى الجيزة ، ليكتشف ان كل ضباطه قد قبض عليهم — وانه فى وضع أقرب الى الأسير ، وفى عصر اليوم التالى نقل عامر الى مستشفى المعادى محوطا بالفريق أول محمد فوزى والفريق الشهيد عبد المنعم رياض رئيس الأركان بعد النكسة — ومن المعادى الى احدى الاستراحات السرية بترعة المريوطية بالهرم — وفى الساعة السابعة والنصف من مساء « ١٤ » سبتمبر — ذهب الرجل المشير عبد الحكيم عامر الى لقاء ربه .

●

وبدأت المحاكمات العسكرية ، علنية وسرية محاكمات للضباط الذين انقادوا لعامر وحاولوا اعادته للسلطة أو خلع عبد الناصر عن السلطة ، وبعض الضباط الذين تقاعسوا عن أداء واجباتهم المريبة فى الميدان فجاءوا بالهزيمة ... وأقول « بعض » الضباط لأن عددا ليس بقليل من المسئولين عن الهزيمة لم يحاكم ، بل بقى فى مواقعه ونال الترقيات مكافأة على وفائه واعلان رفضه الصريح لعامر ورجاله — وبين هذه المحاكمات تبرز محاكمة قادة الطيران التى تعنينا بالدرجة الأولى ونحن نتحدث عن ١٩٦٧ .

●● ان من حق المرء أن يتساءل بعد مرور ١٣ سنة على تلك النكبة السوداء .. لماذا لم نسمع عن مسئولية اللواء — الفريق أول فيما بعد محمد احمد صادق مدير المخابرات الحربية قبل فترة قصيرة من يونيو ، والى

عام ١٩٦٩ ، حيث تولى منصب رئيس الأركان خلفا للواء المشير فيما بعد أيضا أحمد اسماعيل ؟ .

● هل كان دوره الذى قام به فى تصفية ضباط عامر والقبض عليهم ــ خلف تجاهل محاسبته كمدير لادارة المخابرات الحربية أثناء النكسة ؟ .

● لماذا لم نسمع دفاع العقيد مسعد الجنيدى المسئول عن الاشارة والشفرة فى القيادة العامة ــ لنعرف لماذا تغيرت الشفرة السرية صباح ٥ يونيو بين عجلون بالأردن ، والقاهرة ؟ .

● ان هذه الشفرة السرية لو لم تتبدل صباح ٥ يونيو لما وقعت الكارثة ــ هكذا قال الشهيد الفريق عبد المنعم رياض أمام المحكمة العسكرية برئاسة الفريق صلاح الحديدى والتى حاكمت قادة الطيران !! .

● لماذا لم نسمع ما لدى الفريق متقاعد صلاح محسن قائد الجيش فى سيناء حتى يونيو ١٩٦٧ ــ ومساعد وزير الدفاع بعد النكسة ؟ .

● لقد قال قادة الطيران أثناء محاكمتهم انهم قدموا ورقة فى شكل تعهد وقعه الرئيس الراحل ويقول فيه ستكون الضربة الجوية الأولى من نصيب قواتنا الجوية ــ وتاريخ هذه الوثيقة ٢٨ مايو ١٩٦٧ ــ وروى لى اللواء طيار متقاعد اسماعيل لبيب رئيس شعبة عمليات الطيران المصرى وقائد مخابراته حتى ٥ يونيو ــ بعد أن غادر السجن عام ١٩٧٤ ــ روى لى ذات لقاء معه فى الأيام الأولى من يونيو ١٩٧٧ ــ عن هذه الوثيقة فقال ان الفريق صلاح الحديدى رئيس المحكمة أمر بضمها الى القضية ثم عاد صباح اليوم التالى ورفض الحديث

غثها أو مناقشتها — بل وثار غاضبا على هيئة الدفاع — قائلا — انها وثيقة تتصل بالقيادة السياسية ونحن هنا نجرى محاكمة عسكرية ميدانية ! .

● وصمت الجميع ...

● وها قد طال الصمت ...

● وعدد ليس بقليل ممن حوكموا عسكريا بسبب النكسة وغادر السجن قبل منتصف السبعينات يقول انه يجب اليوم أن يسمع الشعب دفاعنا ، وأن تذاع كل الحقائق ، لا أدلة الاتهام والادانة ثم الأحكام فقط .

●● لقد آن لنا أن نكسر هذا الحاجز الرهيب من الصمت ، قبل أن يصبح من الصعب والمستحيل وصولنا الى الحقيقة ...

فهرس

أسعار البيع للجمهور في البلاد العربية :

ثمن النسخة في البلاد العربية لهذا العدد فئة ٣٠ قرشا للقارىء في مصر

سوريا	٤٠٠	ق.س
لبنان	٣٥٠	ق.ل
الاردن	٣٥٠	فلس
الكويت	٤٥٠	فلس
العراق	٥٠٠	فلس
السعودية	٥ر٥	ريال سعودي

الترقيم الدولي ٧ ـ ٦٧ ـ ٧٠٣١ ـ ISBN ٩٧٧

رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية ٣٠٩٤/٨٠

وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

جدة - ص . ب رقم ٤٩٣
السيد هاشـــم على نحاس
المملكة العربية السعودية

انجلترا : THE ARABIC PUBLICATIONS
7. Bishopsthrope Road
London S.E. 26
ENGLAND

البرازيل : M. Miguel Maccul Cury.
B. 25 de Maroc, 994
Caixa Postal 7406,
Sao Paulo. BRASIL.

أسعار البيع للجمهور فى البلاد العربية للاعداد العادية من « كتاب الهلال » الشهرى بسعر ٢٠ قرشا للقارىء فى مصر .

سوريا : ٣٠٠ ق.س ثلاثمائة قرش سورى
لبنان : ٢٥٠ ق.ل « مائتان وخمسون قرشا لبنانيا »
الاردن : ٢٥٠ فلسا « مائتان وخمسون فلسا اردنيا »
الكويت : ٣٥٠ فلسا « ثلاثمائة وخمسون فلسا كويتيا »
العراق : ٤٠٠ فلس « اربعمائة فلس عراقى »
السعودية : ٤ ١/٢ ريال « اربعة ريالات ونصف ريال »



هـــذا الكتاب

ليس هذا الكتاب هو الاول او الاخير الذى يبحث فى تلك الفترة التعسة من تاريخ مصر – واعنى بها هـــزيمة يونيو ١٩٦٧ – بحثا عن – الحقيقية » التى لا غنى عنها مهما طال الوقت ومهما حاولوا طمسها – لا غنى عنها للتاريخ والاجيال القادمة ..

● « ماساة عبد الحكيم عامر » ليس كتابا يدور فى فلك الرجل الذى برز فوق مسرح السلطة طوال ١٥ عاما عرضا وطولا – اى ليس كتابا عن القائد الذى انتهت حياته بماساة كبرى الحقها ببلاده ، قبل وفاته بقدر ما هو « اضافة » لم تنشر من قبل الى المحـــاولات الجادة الصادقة التى تؤرخ عن معايشة كاملة لتلك الفترة من عمر ثورتنا – ثورة يوليو ١٩٥٢ .

● ولقـــد حرص المؤلف على « الموضـــوعية فى ... فصـــول هـــذا الكتاب ، مبتعـــدا عن التحليـــلات وا... ذلك لان تلك الفترة بداية بعام ١٩٥٢ ، حتى وقوع « النكسة ... عام ١٩٦٧ – وما بعدها حتى عام ١٩٧٠ – ورحيل جمال ... – لم تكتب بعد حتى الان بموضوعيه صـــادقه – تسمح ... واصدار الاحكام .

● اننا مطالبون امام الاجيال الجديدة من شعبنا ب... كل ما لدينا من معلومات دون حجبها او حجب بعضها على ... وقد لا يمكن تحقيق هذا الهدف على الوجه الاكمل ، ولكن ... المحاولة تلو المحاولة .

٣٠ ...